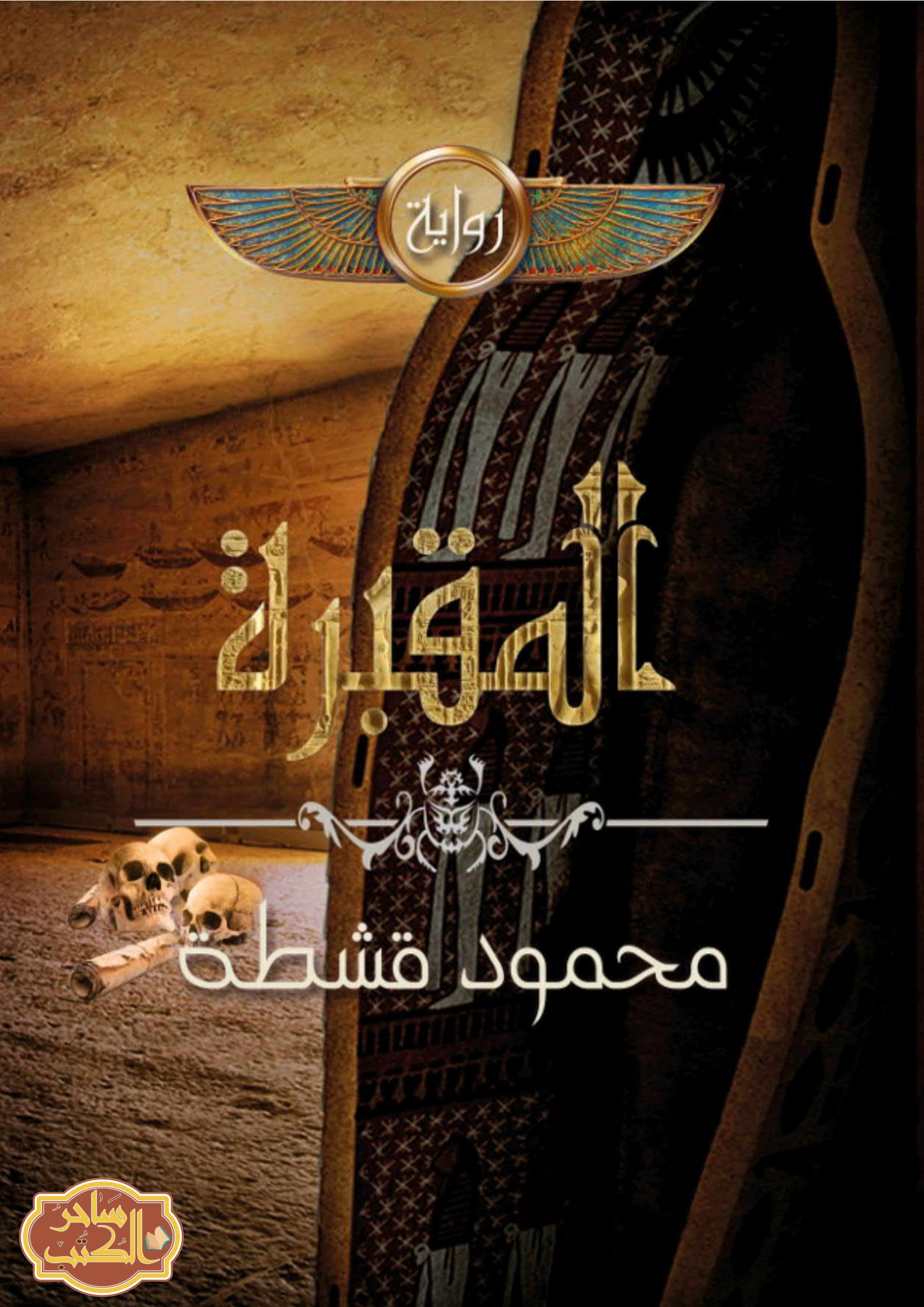

رواية
المقبرة
محمود قشطة
ساحر الكتب

إهداء

والدى العزيز..

كم كنتُ أتمنى أن ترى هذا العمل يخرج إلى النّور بعد أن أشدْتَ به سابقًا لكن العمر قد مضى دونما أن تكون معى فى هذه اللحظة الفارقة.

رحمك اللّه يا أفضل الرّجال رحمةً واسعةً وأسكنك فسيحَ جنّاته.

والدتى الغالية..

أتمنى أن ترينى يومًا ما الابن الذى تفخرين به.

المقبرة

لكلٍّ منّا أسرارُه التى يحتفظ بها ولا يبوح بمكنونها حتى ينتقل إلى عالمه الآخر، ولكل مقبرة أسرارها التى تبوح بفحواها وتحتفظ بجوهرها، كل منها تختلف عن الأخرى وكل سِرٍّ ينبئ عن عالمٍ كاملٍ غامضٍ وراءه، عالمٌ قد يكون بجوارك فى كل وقت وحين ولكنك لا تشعر به، لذا نحن سنفتح المقابر ولكن مقبرتنا تلك مختلفة، فإن كنتم تخشون عا المقابر فلا تجتازوه معنا..

أولاً: عليكم أن ترددوا معنا:

"نحن الأولون ولسنا الآخرين، ونحن السّابقون ومن بعدنا كُثُرٌ آتون، نعلم أننا هالكون أو أننا لأنفسنا مُهلِكون، نحن من العلمِ ناهِلون، بنورٍ أوزوريس وعلم إدريس وما تركه هرميس نحن له حافظون، نحن للسِّحرِ حامِلون ما تركه النّمرود وما علّمه للنّاس هاروت وماروت وما أتى به كل ساحرٍ طاغوت، نحن للألواح حافظون ألواحَ إنوت العزيز، إنّه أيضًا إدريس وهو العالم هرميس وروحه تجلّت فى أوزوريس، فى لوح قرمزى محفوظ نحن منه ناهِلون ومن عِلمِهِ لمتعلّمون ولأنفسنا لمهلِكون، فنحن من خلَفنا السّابقين وبعد أزماننا سيخلُفنا آخرون. أنا إليه لتابعون ولعلوّه لَعاملون.. إنّه لوسيفر العظيم، وهذا سِرُّنا المكنون لِلْعِلْم فمنْه ستعلمون أسرارَ الكونِ المكنونِ."

***

قبل ثلاث سنوات..

اعتادَ هذا الفتى الصّغير ذو الأربعة عشر عامًا أن يرتعَ ويلعبَ دائمًا فوق تلك التَّلة الرّمليّة التى توجد خارج قريته فى الصّعيد المِصْرى حيث تبعُد عنها بِبِضْعة كيلومترات.. لمْ يكنْ يعلم ما هو السّر فى ذلك لكنّه دائمًا كان يأتى إليها بمفرده؛ فقد أحبَّ العُزلة بعض الشّىء.. لكنّه فى هذا اليوم أخذه الإرهاق فألمَّ به النّوم نِتاجًا لذلك، لمْ يستيقظ إلا مع ضُوءِ القمر واللّيلُ قد أحلَّ به.. رأى شبح شخصين يقتربان منه. ربما أهله فى البلدة قد سعوا من أجـل البحـث عنـه.. لكنـهما يرتـديان حُـلـلاً وملابـس عصـريّة لا تتناسـب مع أهـل بلدته؛ ظنَّهما غـريبين قد ضلا طريقهما لكنّه وجدهما رجلاً وامرأه، فظنَّهما عشيقين قد استكانا للهدوء فى المكان ولمْ يعلما بوجودِهِ اقتربا منه بشدة، رجلٌ كثيفُ الشّعرِ يتـدلى إلـى كَتِفـة، حَلـيقُ الذَّقنِ ذو شاربٍ أصفر، ونظّارة طبيّة لامِعة، وامرأة من بين أجمل النّساء اللاتى رآهن فى حياته.. أخذ يتـأمّل فـى عينيـها المسـحوبتين بـدقة عاليـة كأنهما مرسومتان رسماً على يدِ أبرع الفنّانين، وأنفٍ دقيق وفمٍ رائع مع تناسق مُبهر فـى الجسـد والقـوام الممشـوق؛ شَعَرَ برهبـة منهما قليلاً قبل أن يتحدث إليهما..

- من أنتما؟ وماذا تفعلان هنا؟!

قالها متلهفًا ومرتعبًا منهما قبل أن يجيبه الرّجل..

- من نحن؟.. نحن أهل المكان.

- لكن من أنت يا فتى؟ فنحن نلحظ وجودك دائمًا هنا..

- أنا يحيى من سكان القرية القريبة من هنا.. لكن كيف تلحظانى وأنا لم أرَ أحدًا منكما هنا من قبل والمكان مفتوح ولا يوجد أى سكان هنا؟! من أنتما؟

اقتربت منه السّيدة مُبتسمة فى حديثها تسعى لبثِّ الأمان فى الأجواء محدِّثَة إياه:

- لا تقلق يا صغيرى.. أنا فيروزة.. وهذا هو أرشبان.. لكن ألا تعلم أين أنت؟
- أنا ألعب على التَّلة، آتى إلى هنا منذُ قُرابة العام ولم أجد أحدًا..
- ونحن كنا هنا نراك دائمًا.. وأنت أيضًا رأيتنا فى أحلامك.. قل لى ألمْ ترَ نفسك من قبل تطير؟
- نعم..
- نحن من كنَّا نحملك.. ألمْ ترَ نفسك من قبل فى جنّة؟
- نعم..
- نحن من كنّا نخدمك فيها..
- من أنتما؟
- قلنا لك يا عزيزى هى فيروزة وأنا أرشبان.. وأنت على أرضنا، فوق مقبرة الأزمان؛ فنحن حُرَّاسِ المكان.
- أى حرَّاس؟.. لا أحد يقطن هنا..
- بلْ نحن نقطن هنا لكن فى الأسفل.. فنحن من بنى الجان.

***

الثّالثة فجرًا.. فى قلبِ القاهرة..

قاربت السّاعة الثّالثة فجرًا عندما اجتاز بسيّارته شوارع القاهرة الخاوية من البشر إلا ما ندر من هُواة السّهرِ وعُشّاقِ اللّيلِ، انتهى هذا الشّاب لتوّه من أحدث نزواته النّسائية مع امرأة قد لا يراها فى حياته ثانيَّة كعادته مع نساء كثيرات عرفهن من قبل، شرد للحظات يعيد أمام ناظِرَيْهِ شريط حياته منذُ أن وطئت قدمه أرض القاهرة قبل ثمانية عشر عامًا فى عمرِ السّابعة عشرة، لمْ يكنْ مثل غيره ممن أبهرتهم أضواء المدينة و بهرجتها كفتى قادم من أحد أقاليم المحروسة، يعرف من اليوم الأول أنّه ليس كغيره، ليس ورقة عادية فى لعبة الكُورشينا، وليس رمية نرد يستاء لها راميها فى دور طاولة، وليس ورقة دومينو لا يُعتدّ بها، ولا جنديًّا صغيرًا على رقعة الشّطرنج؛ بل يرى نفسه ورقة رابحة، جوكر يلتهم ما أمامه فى الكُورشينا، ورمية نرد ينتُج عنها دشّ يقلب دور الطّاولة، أو ورقة تقلب دورًا فى الدّومينو تأتى بالقفلة التى لا يتوقعها أحد، أو أنه وزير ينتظر دوره لإنهاء معركة حامية الوطِيس على رقعة الشّطرنج، لمْ تشغلْ قبة جامعة القاهرة الشّهيرة التى تجذب انتباه القاصى والدّانى أى جزء من تفكيره وحتى رغم تفوقه فى دراسته كطالب فى كلية الآثار لم يُعطِ يومًا اهتمامًا لأن يكون معيدًا فيها يجلس تحت تِلك القبة التى جلس تحتها كبار قامات العلم فى مصر من قبلهِ.

سنوات الدِّراسة قضاها فى نهم وشغف بكل ما هو تاريخى وبكل ما يخرج من أسرار الحضارة والتّاريخ والآثار، حتى السّاعات الأسبوعيّة التى يقضيها فى المتحف المصرى مع زملائه فى تدوين ورسم إحدى الصّور الجدارية أو حتى مشاهدة مقتنيات توت عنخ آمون أو غيرها من الآثار، فهو له نظرة أخرى ووجهة

نظر فلسفيّة مختلفة عن الآخرين ينظر إلى جوانب قد يراها البعض غريبة حتى فى الرّحلات العلمية المتعددة التى تنقّل فيها بين آثار مصر من الفرعونيّة للرُّومانيّة للإسلاميّة، له فلسفته الخاصة..

فلسفة جعلته يشعر بأنّه مختلف، بأنّه ينتظر مستقبلاً مثيرًا مغايرًا لأقرانه، حتى إنّه لمْ يُعِرْ أى اهتمام لجواب التّعيين الذى أتى له كموظف فى هيئة الآثار فى أوائل الألفيّة الجديدة كونه من أوائل الخريجين، وحتى لم يحزنْ على فقدانه فرصة التّعيين فى الجامعة ولم يكنْ هذا أيضًا هو سبب فقدان معشوقته التى حصلت على موقع التّعيين فى الجامعة، وقتها ترك كل شىء أمامه.

فمع امتلاكه عدة مهارات من إنجليزيّة جيدة وألمانية مقبولة وفرنسيّة متوسطة مع بعضٍ من الإسبانيّة والإيطاليّة الرّكيكة، كل هذا نتج عن عمله على نفسه وتعلم أكثر من لغة حتى أتقنها بعد العمل بشكلٍ كاملٍ وألحق بها الهولنديّة والرّوسيّة، فهو يرى كل هذا ضروريًّا ما دام سيتعامل مع مختلف الأجناس واللّغات والألسن لكنه لم يتوقع يومًا أن يغوص فيما غاص فيه...

عالمٌ مختلف، عالمٌ جعله كل يوم يرى ما هو، عالمٌ بحد ذاته فى الآثار والتّاريخ، لم يكنْ عمله كمرشد سياحى هو السّبب؛ ولكن كونه مُثمّنًا وخبيرًا للآثار يفصل فيها ويزور كل يومٍ مقابرَ جديدة فى قرى ونجوع القُطر المصرى فى تجارة ليست بالشرعية-لكنه رآها حادثة العصر وأنها هى كل شىء- حتى وإن تم الكشف عن الآثار وذهبت إلى أيادى الدّولة، فبطريقة أو بأخرى ستخرج منها

مهرّبة دون أن يشعرَ أحد.. وكم من حادثٍ ما زال إلى الآن ضد مجهول.

عمل كوّن منه مالاً وعلاقات أكسبته الكثير على المستوى الشّخصى والفكرى والتّجاري أيضًا، شخص تغير تمامًا أنشأ شركته الخاصة للسّياحة، اضطرّ وقتها لبيع آخر ما تبقى من ميراث أبيه حتى يظهر أمام النّاس أن المال الذى استخدمه له أصول وحتى لا يضع نفسه تحت طائلة المساءلة المالية الأشهر: "من أين لك هذا؟". بدأت شركته صغيرة ولكنها ظلت فى نمو مستمر نتيجة لشبكة علاقات لا تتوقف؛ بل تنمو كل يوم ما دام الجميع فى حاجة إليه.

علاقات فى الدّاخل والخارج بين بائع ومُشترٍ ووسيط، علاقات قادته إلى شهوات الدّنيا، أفقدته زوجته وابنته بعد انفصال طال انتظاره.. انفصال لمْ يؤثر فيه؛ فلمْ تكنْ زوجته يومًا تغنيه عن أيّ من النّساء اللّواتى عرفهن، ذاق كل أجناسهن ومختلف أنواع رحيقهن بكل اللّغات ومن كل البلاد، منهن من عشقها ومنهن مَن عشقته، إحداهن يراها مرات وكثيرات لا يواقعهن إلا مرة.. من مصريّات ربّات حسبٍ ونَسبٍ إلى أوروبيّات ذوات شّعرٍ أشقر، وأخريات بطعم الأنوثة الأفريقيّة، أو صفراوات من الشرق الآسيوى أو امرأة من شبه الجزيرة الهندية، أو لاتينيّة بسحرٍ أخّاذ مع آثارٍ لشمسٍ أكسبتها لونًا برونزيًّا مميزًا عن غيرها، أو حتى من بلاد الخليج، اجتمعن كلهن من أجل لحظة سعادة تذكر معه..

كلهن يَدُرْن فى خلدِه الآن بعد تلك النّزوة العابرة التى أنهاها منذُ دقائق معدودة مع تلك الشّقراء الأربعينيّة التى هى إحدى

ضيفات شركته فى حفل وداع قبل سفرها، بعد أن قضت إجازتها الأولى فى القاهرة والتى تسعى لأن تكررها مجددًا، فتلك هى أول زيارة لها بعد تحذيرات كثيرة من أنّ مصر غير آمنة وأنها فى حالة يُرثى لها بعد الثّورة التى نشبت بها، لكنها وجدت أن الوضع فيه الكثير من المبالغة..

نعم ليس كما كان من قبل لكن ليس بهذا السّوء الذى يُرَوِّج له كثيرون على شاشات الإعلام المختلفة، فهنا يجب أن تعلم أنّ قاعدة الإعلام الأولى هى (اكذب ثمّ اكذب ثمّ اكذب حتى تُصدَّق).

ليس هذا فقط ما جعلها تنتظر عودتها إلى مصر من جديد فربما تحظى بقصة أخرى مع صاحب الشركة ومضيّفها فى تلك الرّحلة الذى أنهت ليلتها معه وهى فى طائرتها الآن لن تنساه؛ فهو مهتم بلياقته ومظهره بشكلٍ كبيرٍ مع ذلك الجسد الرّياضى الممشوق الذى يواظب وبانتظام على حميته وتمارينه الرّياضية، إضافة إلى شعره الأسود الذى يلمع فى شمس المحروسة ليعطيك لمسة بُنّيّة متدليًا إلى قُرابة كَتفه ولحيته الخفيفة التى تضفى عليه مظهرًا جماليًا مع لونها البنى، إلى عيونِهِ العسلية التى دائمًا ما تختفى خلف نظّارته الشّمسيّة، هذا كله لم يجعلها تنسى لياقته ولباقته واطّلاعه الدّائم على آخر صيحات الموضة وأفضل ما تقدمه بيوت الأزياء فى كل بقاعِ الدّنيا، مهتماً بما تقدمه لنساءِ الدّنيا قبل رجالها ورومانسيّته معها وفحولته التى استمتعت بها، أمّا هو فشروده قد زاد ولمْ يلحظْ حتى أنّ إشارة المرور قد فُتحت، حتى وإن ظلت مغلقة فهو لن يتوقف للإشارة فى مثل هذا الوقت؛ بل توقف ليحدد وِجهته القادمة فى هذه اللّيلة التى

توشك أن تنتهى...

بينما علت تلك الرّنة الصّاخبة والمميزة من هاتفه أخرجته من هذا الشرود، ودون أن ينظر إلى الهاتف عرف من هو الشّخص الحجرى الذى يطاوعه قلبه فى مثل هذا الوقت من اللّيل ليجرى اتصالاً به، فما بدر منه إلا أن ضغط على زر المكبر ليفتح الصّوت الذى أتى إليه:

- ألووو... إيه يا بنى هى طلعة النّهارده شديدة ولا إيه؟
- والنّبى أنت فايق ورايق..
- ههههه... فايق ورايق؟ دا أنت اللى باين عليك ضايع.
- أنت فين دلوقتى؟
- أنا لسّه داخل البيت حالاً.. ما تيجى تعدى شوية قبل ما تروّح.
- إيه أنت عزبنجى النّهارده ولا إيه؟!
- أيوه يا سيدى، نيفين خدت مالك وراحوا عند مامتها أصلها تعبانة... شغل نسوان بقى.
- خلاص، أنا جاى فى الطّريق وهعدى عليك قبل ما أروّح.
- تروّح؟ بقول لك عزبجنى؛ يعنى لو تنفع ترجع تجيب واحدة من اللى كنت معاهم هاتها وتعالى.
- ههههه ...... طول عمرك فقرى.
- ليه بس كده؟
- طيّارتها لسّه طالعة من ربع ساعة يا دكترة... وكنا بنعمل حفل وداع.
- يا ابن اللّذينا.. ولا مرة كده تشوف أخوك فى حاجة معاك.
- ما أنا لو عارف إنك ليك فى الغلط.. بس أنت ملكش... وبعدين

أنت عاوز نيفين مراتك تقيم عليّا الحد؟

- تصدق غلبتنى... المهم أنا فى البيت ومستنيك.

- ماشى، مسافة الطّريق وأكون عندك.

أغلق هاتفه وقد حدد وِجهته بالفعل، مكان يستلقى فيه حتى الصّباح مع صديقِهِ الوحيد الذى تعرّف عليه للمرة الأولى منذُ ستة عشر عامًا مرت كأنّهن ستة عشر يومًا.. تذكّرها جميعًا فى طريقه إلى منزله فلمْ يعدْ يبقى له إلا ذكريات من الماضى، وما انغمس فيه من عمل أنساه كل شىء، ووجّهَ كامل تركيزه وطاقته إليه غير مُبالٍ بأى شىء آخر يجرى فى الدُّنيا من حولِهِ، حتى متناسيًا ابنته وطليقته -التى تزوجها سابقًا- لا يراهما إلا بشكلٍ دورى على سبيل الأبوّة المزعومة وسط رغبات مُلحّة من زوجته للعودة إليه من جديد، توسط فيها كل من هم على ظَهر الأرض لهم صلة به وبها لكنه دائمًا عند قراره لم يعدْ هناك مجال للعودة لتلك الزّوجة التى أحبته رغم أنَّه متيّم بغيرها، وظلّ دائمًا يخونها وهى تعلم ومُتحمّلة لكل ذلك فحبَّها له يُنسيها كل شىء إلى أن أتى الوقت الذى شعرت فيه بكمٍ هائلٍ من الإهانة المتتالية لكرامتها التى لمْ تعدْ تتحمل مجددًا فأغلقت الأمر نهائيًّا وتأقلمت مع حياتها راهبة عاكفة على حياة ابنتها التى تُذكِّرُها دائمًا بحبّها الوحيد...

***

نصفُ ساعة أو يزيد قليلاً كانت مدة كفيلة بانتقاله إلى الكومباوند السّكنى الموجود بالتّجمعِ الخامس فى ظلٍّ خلوِ الشّوارع من المارة، ومع سرعة تكاد تكون جنونيّة بسيّارة ذات دفع رباعي مرتفعة عن الأرض لم تجعله يشعر بأى من المطبات

الاصطناعيّة التى التهمها فى طريقه إلى منزل شريف الذى لمْ يتوانَ فى فتح الباب له وأشار إليه بالدّخول، حيث بدا فى مظهر يعكس روح كل بيتٍ يخلو من سيدته، وروح كل زوجٍ يجدْ نفسه فى مأزق كبير يدخل فيه إلى أعمق أسرار عالم المرأة، حيث مطبخها، يسعى جاهدًا لتحضير وجبة عشاء له ولصديقه واضعًا مريلة المطبخ التى تمنع اتِّساخ ملابسه دون أن يشعر وما كان منه إلا أن بادر "كريم" يسأله:

- أجيبلك إيه معايا تتعشى بيه؟
- شكرًا يا دكترة.. أنت بس تتكرم عليّا كده بفنجان قهوة.
- وكمان بتتشرط ما تقوم تعمل لنفسك مش شايف اللّخمة اللى أنا فيها؟
- إيه.. مش أنت اللى عزمت وفتحت صدرك وقلت أجيبلك إيه معايا... وبعدين دا أنت دكتوراه فى القهوة؛ أنت تسيب شغل الطّب بتاعك ده وتبقى أحسن قهوجى فى مصر كلها.
- يعنى دى آخرتها.. قهوجى!!.. طب تصدق أنا غلطان إنى أويتك فى بيتى.
- أويتنى؟.. ماشى يا دكترة هآجى أساعدك أهوه بس أنت ضارب لخمة كده ليه وموسّخ هدومك أنت بتعمل إيه بالظّبط؟
- (ساخرًا): مفيش يا سيدى بحمر بطاطس وكمان بقلى بيض مع تقطيع بعض طرنشات من الخيار والطماطم بالإضافة إلى لانشون وجبنه رومى.. عاجبك ولا أطلب لك دليفرى؟
- لا، عاجبنى يا دكترة.. هكمل أنا واعمل أنت القهوة.
- ماشى يا كيمو يا جامد.. ما أنت دلوقتى ملك المطبخ فى

البيت بقى لوحدك يا سيدى..

- ملك المطبخ!!.. ده على أساس إن أنا بدخل البيت أصلاً؟

- أنت اللى مش بتسمع الكلام يا كريم.. أنا قلت لك ارجع لمراتك وبنتك وأتحايلت عليك كتير وانتَ اللى مش راضى.

إن واقع علاقة كريم وشريف يسمح لهما بالتَّحدث فى أدق تفاصيل حياتهما؛ كل منهما يعتبر الآخر صُندوقه الأسود الذى يُودِع فيه كل أسراره.. علاقة دامت ستة عشر عامًا عندما التقيا لأول مرة فى رحلة جامعية أعلن عنها لقضاء إجازة الشّتاء فى الأقصر وأسوان، رحلات دوريّة تقوم بها رعاية الطّلاب فى كل جامعات مصر..

أولاً: من أجل تشجيع السّياحة الدّاخلية.

وثانيًا: لزيادة وعى الطّلاب عن حضارة البلاد.

وأتى تجاورهما معًا فى قطارِ النّوم الذى شقَّ طريقه من القاهرة إلى الأقصر؛ ليجعلهما يبدآن بحديث جانبى من أى نوع.. خاصة أن كانا بعقليتين مختلفتين مثلهما.. كريم، وهو من عرفناه، أمّا شريف فهو طبيب بالوراثة، فهكذا اعتدْنا فى مصر أن تكون كما كان عليه أبواك، كل عملٍ بالوراثة؛ فالطّبيب لا يُنجب إلا طبيبًا، والمهندس لا يُنجب إلا مهندسًا، والضابط لا يُنجب إلا ضابطًا، والقاضى لا يُنجب إلا قاضيًا، ودكتور الجامعة لا ينجب إلا دكتور جامعة...

لا يُهم كفاءتك، المهم هو سيرة عائلتك الذّاتيّة ما دامت تمتهن المهنة نفسها إذن فأهلاً ومرحبًا بك فى رَكْبِ المنتفعين.

شريف وُلد لأحد أشهر أطباء الباطنة فى مصر، وأُمّه دكتورة رائعة فى مجال التّحاليل.. وأى شخص ينشأ فى بيت كهذا عليه أن يتعلم منه الكثير؛ خاصة أن شريف هو الابن الوحيد المدلل الذى لا يحظى برؤية والديه كثيرًا؛ نظرًا لانشغالهما بالعمل الذى كرهه كثيرًا لكن رغماً عنه امتهنه، فهو يسبق كريم فى العمر بثلاثة أعوام، لكنهما بدآ التعارف على متنِ القطار.. بضع ساعات مضت، حكى كلٍ منهما عن نفسهِ للآخر كثيرًا، ليجدا بعضهما فى نهاية الطّريق صديقين، ويعرفان بعضهما منذُ زمنٍ طويل، فقط بضع ساعات لكنَّها مرّت كسنوات، استمر الأمر بعدها وازدادت العلاقة حينما أقاما فى الغرفة نفسها فى نُزُلِ الشّباب لتتوطَّد علاقتهما خلال الأسبوعين.

تعرَّفَ كل منهما على الآخر حق المعرفة وصارا صديقين إلى الآن، أمّا شريف فأنهى دراسته وبعدها عمل فى مجال أبيه ووجد نفسه مسئولاً عن مستشفى خاص تركه الوالد الذى فارق الحياة؛ نتيجة لإصابته بالفيروس اللعين كضريبة يدفعها كثير من الأطباء وهو أحدهم، أمَّا والدته فظلَّت على قيد الحياة إلى أن تزوج ورُزِقَ بابنه وبعدها توفيت عن عمر يناهز السّتين، أمَّا هو فعلى النّقيض من صديقه.. رجلٌ اعتادَ كونه طبيبًا، عمله فرضَ عليه أسلوبًا فى شكله ومظهره من ملابس كلاسيكيّة دائمًا إلى تلك البدل ذات الماركات المعروفة التي لم يستسِغها يومًا، وشَعْر أقرب للقصير ونّظّارة طبيّة؛ نتيجة لقِصَر فى النّظر، أمّا هو فلا يجد نفسه إلا مع صديقه الوحيد فى هذه الدّنيا حيث شقّا طريقهما معًا كل منهما فى مجاله وفى مكانه الذى اختاره لنفسه.

هنا تنهّد كريم تنهيدة كبيرة دلّت على كلِّ ما يعانيه قبل أن

يجيب عليه.

- انتَ عارف يا شريف إنه معادش ينفع... ما خلاص حياتى مع نور بقت مستحيلة.

- يا أخى عشان خاطر بنتك على الأقل.. دى ملهاش غيرك ونور شارياك رغم كل اللى انتَ عملته فيها.

- عملته فيها؟.. إنتَ محسّسنى إنى متجني عليها كده ليه.. هيّا اللى عملت فيّا كتير...

- أنت عاوز تفهّمنى إنك ملاك طاهر نازل من السّما... يا أخى حسّ على دمك دا أنت مكنتش بتفوّت يوم إلا أمّا تخونها فيه.. ولا شغلك التّانى مش خايف مرة تروح فيها.

- خيانتى ليها!!.. عارف يا شريف أنا قبل نور كنت بتسلى طيش يعنى.. وقلت لما اتجوز هعقل.. لقيتنى بعد الجواز بجرى ورا الحاجات دى اكتر... نور كفيلة لوحدها إنى...

- يعنى عاوز تفهّمنى إنها هيّا اللى ظلمتك.. كريم متضحكش عليّا، انتَ لحد الوقت دا مش قادر تنسى "مايا.."

- ....!

- أهوه سكوتك علامة الرّضا... بس متنساش إنّك أنت اللى سِبتها بمزاجك... وإن نور أنت عرفتها بعد كده... ومكانش ليها ذنب فى أى حاجة...

- وأنا كمان مكانش ليّا ذنب... و "مايا" مكانش ليها أى ذنب... بس نور...

- بس إيه؟.. أنت فاكر لمّا جيت تتجوز أنا قلت لك إيه.. انسى اللى فات ومتظلمش البنت معاك.

- حصل. بس أنا... مش قادر يا شريف مش قادر... بالله عليك اقفل الموضوع ده دلوقتى...

- ماشى يا عم كريم.. ولو إن أنت عارف أنا لا بآخد منك حق ولا باطل... بس الموضوع الثّانى أقفله برده؟

- ! .....

- شُفت؟ أهوه سكتّ برده ومش هطلع منك بحاجة مفيدة.

- الموضوع الثّانى ده شغل وأنا فهّمتك قبل كده إن دى تجارة.

- (ساخرًا): ودى تجارة القاهرة ولا عين شمس بقى... امسك قهوتك أهيه وروح اقعد على أمّا أجيب الأكل وأجيلك.. نتكلم على رواقة.

مر الوقت بينهما ولمْ يشعرا به فى تناول الطّعام واحتساء القهوة وتخلّل الأمر ضحِكات كثيرة منهما على مظهر شريف؛ الذى لمْ يكنْ يشبه شخصًا خرج لتوّه من المطبخ بعد إعداد وجبة العشاء، ولكنه بدا كأنّه للتوّ أنهى معركة حربية دائرة فى وحل الطّين، لمْ تعدْ ملابسه البيضاء بنصاعتها وبريقها السّابق.. أمرٌ قد تعنّفه عليه زوجته كثيرًا، حالها كحال كلِّ الزّوجات..

لحظات من الصّمت سادت بينهما قبل أن يعاود شريف مناورته الحربية التى يعلم مُسبقًا أنها ستبوء بالفشل.

- أدينا يا سيدى اتعشينا وشربنا القهوة وغيرنا جوّ... مش ناوى تفتح قلبك لأخوك بقى؟

- افتح قلبى وأقول لك إيه؟.. ما أنا قُلت اقفل الموضوع يا شريف..

- أنا مبكلمكش على موضوع نور... أنا بكلمك على السّكة الثّانية اللى أنت فيها دى..

- بص يا شريف.. قُلت لك قبل كده إن السّكة الثّانية دى اللى مش عاجباك هى اللى خلّتنى أوصل للى أنا فيه دلوقتى.

- والحمد لله ربنا كرمك وبقيت مش محتاجها... يبقى نسيبها ونشوف مصلحتنا..

- هيه... يا شرشر أنا قلت لك متقلقش... وبعدين أنا لا ببيع ولا بشترى أنا مجرد مُثمِّن وفهّمتك قبل كده..

أعاد هذا الأمر إلى ذاكرة شريف ذلك الحوار والجدل السرّمدى الذى دار بينهما من قبل، والذى شرح له كريم فيه كل صفات هذا العالم وتلك التِّجارة التى يتقسم فيها الأمر إلى ثلاثة أركان: أولاً البائع، وثانيًا الوسيط، وثالثًا المشترى، ويُقسَّم المال بين الثّلاثة بالتساوى.

البائع وهو الذى اكتشف المكان، والوسيط هو الذى يقوم بتسويق تلك الآثار أو المساخيط التى يتم العُثور عليها، والمشترى هو من يتحصل عليها ويخرجها للخارج...

كل هؤلاء متصلون فى خيوط لعبة واحدة تتحكم بها الأصابع الكبيرة نفسها، التى لا يمر شىء إلا تحت ناظِرِهم.. لا قطعة تخرج أو تدخل إلا بعلمهم وبعمولتهم معها.. لا يوجد شىء للصُّدفة ولا يوجد شىء للصِّغار، فدائمًا لا يقع إلا الصّغار الذين يكونون خارج تلك الترسانة الكبيرة فيقدمونهم لُقمة سَائِغة للرّأى العام ليتسلى بها، وتلهيه عن أمور كثيرة تحصل فى هذا العالم لا يعلمها أحد خارجه، فكل مَن بها يتحرك فى دورة من أجل مصالح

من هم أصحاب النّفوذ والسُّلطة فى تلك اللعبة التى ترتبط بألعاب كثيرة غيرها لك أن تتخيّلها...

- والمخاطرة يا كريم.. مش يمكن تروح فى الرّجلين ولا حاجة؟
- أروح فين... هههههه... شريف أنت مش عاوز تفهم ليه؟.. دى لعبة بيديرها أكبر ناس فى البلد ومش أى حد بيدخل فيها... ومش أى حد بيتمسك..
- بس البلد أتغيرت دلوقتى، وبقى فيه نظام جديد..
- برده بتكابر... جديد ولا قديم ولا بين البينين كله زى بعضه، كله ماشى فى نفس الفلك.. كله شريك فى الموضوع... رجال أعمال ولا سياسيين بارزين أو حتى أثريين مشهورين أو رجال دين... كله فى نفس المركب...
- وانتَ دورك على المركب إيه؟.. تقدر تقول لى أنت تسوى إيه؟
- أنا ماسواش حاجة.. أنا واحد بيقوم بوظيفة وبيقبض عليها... ومش عاوز اكتر من كده.. وأوقات بسوّق لو لقيت مشترى تقيل .... بس كله بإذنهم... وطول ما أنا تحت طوعهم أنا فى أمان...
- وانتَ عاجبك حالك بقى كده؟
- أنا!! تعرف وأنا بعمل كده بكون فى أسعد لحظات حياتى؛ بعيش فى العالم بتاعى، بدخل مقابر وسراديب مقفولة، بعرف أسرار وبشوف فنون لو قعدت عمرى كله مكنتش عرفتها..
- وبتعرف إزاى بقى؟!!
- يعنى من برديّة فى مقبرة، رسمة جداريّة، كلمة على تمثال.. كل حرف بيعلّم... تعرف إن أنا فى مرة دخلت مقبرة لكاهن كبير

فى الأسرة ال 18 ... وبعد ما خلّصنا شغلنا وأكدت ليهم إن المقبرة دى مهمة كاكتشاف أثرى.. خلّصنا كل حاجة وحطينا قطع شبيهة بالأصل الموجود وبرده أثرية وتم فتحها عن طريق هيئة الآثار.. واتعمل ليها ضجّة كبيرة... وتقول لى بعرف إيه وأخاف ليه؟!

- يعنى عاوز تفهّمنى إن كل اللى بتعملوه ده بعلم المسئولين عن الآثار وبعلم الدّولة؟

- لأ، مش بعلمهم، دا بمشاركِتهم وانتَ الصّادق... شريف النّاس دى كده كده هتسرق الآثار فيا تكون معاهم وتستفيد يا تقعد بعيد ومتتكلمش لأنك فى كلا الحالتين مش هتوقف اللى بيحصل.

- وآثارنا اللى بتتسرق وتاريخنا ده.. إيه ملوش أى معنى أو لازمة عندك؟

- طول عمره بيتسرق وطول عمره بيتنهب ومش من دلوقتى، لأ، من أيام الرّومان والبيزنطيّين ومع دخول الفتح الإسلامى وكل العصور اللى مرت عليك مماليك ولا عثمانيين ولا فاطميين وحتى مع الفرنسيين والإنجليز.. عارف فيه كام قطعة أثرية ومخطوطة متهرّبة بره بلدك، عارف الحاجات دى فيها علوم وآثار قد إيه وجاى تتكلم علينا إحنا؟ دا إحنا يدوب بنلحق قعر ألبير قبل ما يجيب آخره، ولمّا بنلاقى حاجة مهمة بنعلن عنها ولمّا بنبيع حاجة بندخّل فلوس وعملة صعبة للبلد بطريق بقى شرعى ولا غير شرعى المهم بتدخل وطالما كده كده هتتسرق يبقى نسرقها إحنا بدل ما يسرقها الغريب.

لمْ يتخيلْ شريف هذا الشّخص الذى أمامه.. ليس صديقه الذى عَرفَهُ من قبل؛ فما كان منه إلا أن انفعل عليه بكل ما يملُك من

- أنت عاقل ولا فاهم أنت بتقول إيه؟ عارف يعنى إيه تبيع تُراثك وتاريخك؟ عارف يعنى إيه تبيع هويّتك؟ لا يا كريم أنت بقيت واحد تانى غير اللى أنا أعرفه، بقيت بتجرى ورا الفلوس والبيزنس وشهواتك وبس. يا أخى بلاش بلدك شوف مراتك، شوف بنتك اللى أنت متعرفش عنها حاجة، يعنى ضيّعتهم وكمان بتشارك فى ضياع البلد دى؟!

- ضياع البلد؟! أنت محسّسنى إن أنا السّبب فى كل اللى إحنا فيه، إن أنا السّبب فى الفساد السّياسى والاقتصادى والأمنى والفنى والثّقافى، أو إنى اللى بوظت التعليم وأفسدت الصّحة.. إنى أنا اللى سرقت الشّعب وهربت برّه.. إني أنا اللى صدّرت ليهم فكر مدمر على إنّه فن وثقافة.. إني أديتلهم إعلام فاسد.. إني سرقت أرضهم وقوتهم وقُلت مستثمر..

.. أنا إيه يا أخى؟!! أنا واحد عاوز يعيش مع اللى عاشوا.. أنا ترس فى مكنة مبتُقفش، ولو وقفت قدّامها هَتفرِم.

أنـا إيـه... أنـا واحـد خسـر كل حاجـة حُبّه وبيتـه وأهلـه... أنـا إاااااااايه ......

حدث بينهما شِجار لمْ يتوقعاه، أفرغ كل منهما كبتًا ما بداخله. أشفق شريف على صديقه الذى يرى فيه مرآة لعالم آخر تمنى أن يدخله يومًا.. لكنهما استلقيا إلى أن غلبهما النّوم بانتظار إشراقة يومٍ جديد....

***

المقبرة.. الحاديةَ عشرةَ مساءً..

ظُلمة دامسة أفقدت الجميع القدرة على الإبصار ليس لكون الليل قد أطل بروحه على المكان فى ليلة لم يظهر فيها البدر وأقسمت النّجوم على ألا تسطع حزنًا على غيابه ولكن لكوننا قد غصنا فى أعماق الأرض لخمسة عشر مترًا من الهبوط إلى سرداب يؤدى إلى مقبـرة قـد فتحـت منذ أيام معدودة، أضواء الكشافات تضىء المكان فى نهاية الدّرج لتعطى بصيصًا من الضّوء أعمى أعين الهابطين وفى مقدمتهم "كريم"..

فبعـد أن غالبـه الـنّوم هو وشريف غادر فى الصّباح مع سميح، الوسيط، دون أن يشعر به شريف أو يكون قد استيقظ بعد، بِناءً على موعد مسبق قد تم الاتفاق عليه بمعرفة ومباركة أحد كبار اللعبة من أجل الذهاب إلى مقبرة جديدة لم يسأل كريم حتى عن موقعها، فقط استلقى فى السّيارة وأكمل نومه، يستيقظ تارة فى الطّريق يحـدث سميح وأخـرى يعود لنومه مجـددًا تـاركًا سميح الذى يعتبر أحد أشهر الوسطاء فى تلك اللعبة، هو رجل المخاطر الدّائم إذ يذهب إلى كل مكان وكل بقعة يسمع عن وجود شىء ما بها ليقوم بعمله واتصالاته مع من هم أعلى وأرفع شأنًا ويأتى بمن يثمّن الأمر هل يستحق أو يتغاضى عنه تمامًا، هو فى اللعبة منذ أكثر من عشرين عامًا أعطته الكثير من الخبرة لرجل فى نهاية عقده الرّابع قد زحف الصّلع على رأسه من هول ما رأى فى هذا العمل، يتمتع ببدانة بسيطة بالإضافة لأنفه المحدب وخفة دمه التـى لا تختلـط بـالعمل أبدًا فهو حـذر بشكل كبير، علّمه البحر

الكثير فهو من أبنائه كونه من الإسكندرية لكنه يطوف كل أرجاء مصر فى عمل أفاده كثيرًا جدًا. وصل كريم لكرم الضّيافة الذى يمتاز به أهل الصّعيد فى ضيافة عمران، أو الحج عمران، متعهد المقابر فى تلك المنطقة والرّجل الذى يعرف كريم بشكل كبير فقد التقيا من قبل عدة مرات..

لم يكن عمران كغيره فهو رجل يتمتع بصيت كبير فى هذا العمل، اكتشف عددًا كبيرًا من المقابر لو تم إحصاؤها لمُنح جائزة نوبل كأفضل أثرى فى العالم، رجل لا يتعامل معه إلا الكبار فى تلك اللعبة، وهو نفسه من كبار المنطقة التى يقطنها وحوله كثير من التابعين والعزوة، عمره يقارب السّتين أو يصغره بسنوات قليلة، يمتاز بحكمة وسطوة ومال منحته النّفوذ إضافة إلى علاقات يخشاها الجميع مع رجال وأشخاص قادرين دائمًا على جعله فى أحسن المواقف إضافة لشعر قد زحف فيه الشّيب منذ زمن أعطاه وقارًا على وقار ومنحه هيبة كبيرة، إضافة لزيّه التقليدى من جلباب واسع تعلوه عباءة تخبئ تحتها جسدًا عملاقًا يمتاز بالشّباب رغم تقدم العمر، له عينان لا يخيب ظنهما أبدًا تعلوان أنفًا كبيرًا يجلس فوق شارب صعيدى الطّراز يقف عليه الصّقر إن لزم الأمر.

انتظروا حتى يحل الليل ويذهبوا جميعًا إلى مرادهم وغايتهم، مقبرة جديدة عملوا عليها لأشهر حتى تم فتحها استلزمت جهودًا لعمال ومسخرين للجان وتلك هى اللحظة الحاسمة فهذا هو الرّجل الذى ينطق بالقول الفصل ليحكم فى الأمر هل يساوى العناء أم أنه لا يستحق.

لحظات أمضاها كريم فى المكان يتأمل النّقوش والرّسومات على الحائط.. لم ينسَ يومًا كونه ملهماً بالفن والآثار؛ فهذا هو أفضل أوقاته فى تلك المهنة عندما يدخل مقبرة جديدة خاصة إن كانت مميزة، وهذا ما استشعره لأول وهلة فى تلك المقبرة التى هى عبارة عن سرداب يؤدى إلى غرفة للدفن فيها صندوق يحوى مومياء قد امتلأت بعبق التاريخ، وغرفة أخرى مليئة بالأوعية والآنية والتماثيل بأحجام تتراوح من حجم راحة اليد إلى ما يقارب ارتفاعه المتر ونصف المتر.

طافت عَيْنا كريم المكان تتغنى بما رآه من لوحات فنية معبرة على جدران المقبرة كلها تتعلق بتقاليد وطقوس غريبة ليست معتادة للفراعنة.. طقوس قد تراها فى طوائف ذات أفكار فلسفية غريبة لكن كلها لأشخاص يبدو عليهم الهيئة الفرعونية.. كلمات كُتبت ونُقشت، منها ما هو بالهيروغليفية وأخرى باللاتينية.. أخذ يتأمل المكان الذى استشعر قيمته.. مقبرة لم تكن بالطراز الرّسمى لكنها مليئة بالأسرار.. شعور استولى عليه بأن الأمر يتعدى أبعاد الآثار.. هنا كسر عمران الصّمت:

- إيه يا أستاذ كريم.. المجبرة عجباك إيّاك؟
- وانتَ بييجى من طرفك حاجة وحشة يا حج عمران.
- يعنى على كده الحاجة اللى فيها تساوى كتير إيّاك..

تدخّل سميح ملاحقًا لعمران فهو يريد الشراء بأقل الأسعار والبيع بأعلاها بالطبع:

- استهدى بالله يا حج عمران.. الرّاجل لسه ماشتغلش حتى عشان يقدّر...

- البضاعة كليتها جُدّامه أهاه يا سميح والرّاجل شكله مبسوط...

- استنى يا حج عمران.. سميح عنده حق فى كلامه إحنا لسه ماشتغلناش..

- وإحنا مانعينكم ولا إيه.. شوف شغلك يا ولدى.. إنتَ طول عمرك وش خير علينا..

- اللّٰه يخليك يا حج عمران.. بس مبدئيًّا المقبرة دى مش مقبرة رسمية...

- يعنى إيه الكلام ده عاد يا أستاذ كريم؟.. إحنا هنغشيكم ولا إيه.. إحنا ناس كلامنا زى الذهب.

- لا، ماقصدش يا حج عمران.. أنا قصدى إن المقبرة دى صاحبها مش شخصية رسمية كاهن مثلاً أو كاتب أو مسئول أو حتى من النّبلاء..

- وإحنا يهمنا إيه بصحابها.. أهم حاجة المساخيط اللى لجيناها تساوى ولا متساويش.. أما صاحبها فزى ما بيجولوا إكرام الميت دفنه..

- مين اللى فتح المقبرة دى يا حج عمران؟

- اللى فتحها عتمان الدّندراوى.. ما انتَ عارفه إيّاك.. اللى كان فتح لنا مجبرة عمنول.

- طيب يا حج عمران.. عاوز عتمان دلوقتى أعرف منه شويّة حاجات قبل ما نشتغل.

- ليه عاد يا أستاذ كريم؟.. عتمان خلص شغله وكل حاجة جالها أنا أجولهالك..

- معلهش يا حج عمران.. ده فيه خير لينا وليك..

تردد عمران قليلاً... أخذ يحك ذقنه مفكرًا قبل أن يتخذ قراره؛ فهو سيفعل أى شىء من أجل البيع والحصول على المال فهو يعرف أنه الآن يتعامل مع كبار الأمر وإن لم يأخذوا شيئًا لن يجرؤ غيرهم على دخول هذا المكان من بعدهم حتى وإن عرض عليهم المقتنيات كلها بالمجان..

- إنتَ تؤمر يا أستاذ كريم... واد يا سالم.. روح هات عتمان من داره وتعالى دلوجيت.. جُل له الشّغل محتاجه.

- كده تمام يا حج عمران.. طول عمرى بقول عليك ملك الشّغلانة دى..

- اللّه يخليك يا أستاذ كريم.. شايف يا سميح؟ خابر الكلام الزّين من النّاس اللى بتجدّر... مش زيبيك.

- إيه يا حج عمران هو أنا اتكلمت دلوقتى؟

- خلاص يا سميح.. الحج بيهزّج معاك. المهم يا حج عمران إننا نشوف شغلنا دلوقتى..

- تمام يا ولدى.. شوف شغلك أمّال، إحنا عاوزين نخلّصو كل شى بسرعة عشان طبختنا ميطلعلهاش ريحة عاد.

بدأ كريم يتجول فى المقبرة بشكل أكبر، أخرج كاميرته الخاصة وبدأ بتصوير كل بقعة فيها سواء بصور فوتوغرافية أو مقاطع فيديو.. وبعد أن انتهى من ذلك بدأ بفحص الآثار الموجودة بداخل المقبرة من أوانٍ فخارية وأخرى ذهبية ونحاسية والتماثيل الموجودة أيضًا منها ما هو من البازلت وبعضها من الجرانيت، وقطعتان من الذهب، كل منها لها تقييمها ولها سعرها

وثقلها.. بدأ أولاً باستبعاد بعض الأشياء التى لا قيمة لها ولا دلالة قد تباع من أجلها فهذا أمر طبيعى فليس كل ما تحويه المقابر قابلاً للاتجار به، فقط الثّمين هو ما يلفت الأنظار.. بدأ العمل يأخذ منحَى أكثر جديّة؛ تعامل كالأثريين المحترفين المهتمين بالكشف عن عمر الآثار أما هو فعمل على تقييم الآثار ومعرفة مدى قيمتها بشكل سريع، أما التقييم الزّمنى فسيكون له مقام آخر يرفع من قدر السلعة فى مكان آخر؛ فهذا أمر لن يعنى عمران أو غيره.. أما كيفية الكشف عن العُمر فالأمر له أكثر من طريقة، أكثرها انتشارًا استخدام الكربون المُشع وأيضًا يستخدم طريقة أخرى حديثة عن طريق البوتاسيوم وجهاز يسمى "مُعَجِّل الجُسيمات" أو ما يسمى "تأريخ الأرجون"، كل هذا قد لا يعنى كثيرين فى تلك المهنة لكن بعض المتخصصين يعنيهم الأمر بالتأكيد خاصة إن كان بحثيًّا فإن تلك الأمور تكون واردة بشدة لتحديد قيمة الأثر المكتشَف.. أما فى عالم التجارة والتهريب فالأهم هو أن يكون هذا الشىء حقيقيًّا ولكلٍّ قيمته، وكلما ارتفع مستواك فى التعامل زادت رغبتك فى البحث عن الأفضل.. استغرق كريم الوقت فى العمل وكما هى عادته لا يقوم بإطلاق أى سعر مبدئي أو أى أمر مشابه فيجب أولاً معرفة رأى من سيقوم بالتمويل فهو يهمه الشراء بأقل الأسعار التى تعتبر للبائع كثير الكثير وبيعها بأسعار لا يتخيلها أحد، وفى زخم هذا الكم الهائل من الآثار وجد كريم رقعة صغيرة من بردية لا تتعدى فى حجمها راحة اليد فألقى نظرة سريعة عليها.

كلمة لفتت انتباهه كُتبت بالهيروغليفية واللاتينية التى ظن كريم من خلالها أنه قد عثر على ترجمة مبدئية لها وأنه أدركها وعرف

معناها أو هكذا اعتقد هو، معها تبادرت أمور وأسئلة عديدة إلى ذهنه بخفة سريعة.. أمور بادر لنسيانها وإخفائها فى الوقت الحالى بينما أخفى تلك الرقعة فى سترته ولم يلحظها أحد...

ما يزيد على نصف الساعة قضاها فى عمله وعمران على لهفة الانتظار وشوق المعرفة كأنه طالب ينتظر نتيجته التى ستغير كل حياته أو أنه أب ينتظر مولوده الأول أو كلهفة مشتاق لحبيبته ينتظرها تجر إليه كل معانى السعادة، ورغم كل هذا يعرف أنه لن يخرج بأى شىء اليوم فكريم سيرحل وسيأتى له بعد ذلك السّعر والاتفاق وإمّا يقبل به أو لا.. هكذا هى اللعبة وتلك قواعدها فإمّا يقبل أو يكون كغيره لقيطًا فى بحر من اللقطاء يبحث عن قشة يتعلق بها ولن يجد..

كسر الصّمت صوت أقدام على الدّرج تهبط إلى قلب المقبرة. هنا لم ينتظر عمران:

- مين اللى جاى؟
- أنى سالم يابا الحج... وجبت معايا عتمان...
- شَهِّل يا ولدى اكده... انتَ عوّجت كده ليه؟.. النّاس لسه قدامهم سفر وطريج.
- معلهش يابا الحج... أصلى كنت نايم لما سالم جالى... ويدوب على أما جُمت رديت عليه وجيت...

وبعدين بردك جايين من غير ما حد يشوفنا.

- وانت بردك حد يعرف يشوفك يا عتمان... يعنى مكنتش خابر إننا مشيعينلك إياك؟

- جُلت لك كنت نايم يابا الحج... بس خير إن شاء الله، فيه مشكلة فى الشّغل ولا إيه؟

- لا، خير إن شاء الله.. الأسّتاذ كريم عاوز يتحدت معاك يا ولدى بس.

اعتدل كريم من جلسة القرفصاء التى ظل عليها واقفًا وموجهًا نظره إلى عتمان الذى يعرف تمام المعرفة أنه يعلم فيما استدعاه، فعتمان ليس كغيره بل هو متمرس فى تلك المهنة، رجل خاوى الجن منذ كان شابًّا يافعًا، لم يفشل مرة أو يتوقف أمام مقبرة سعى لفتحها، يسخر العديد من الجان بكل طوائفهم فهم عالم بحد ذاته، عتمان هو الرّجل الذى أشرف على فتح المقبرة وقام بتولى كل الأمور اللازمة بالأمر.

فعادة إن عرف أحد مكان مقبرة يحدث أمران إمّا أن يكونوا مبتدئين ويحفرون ويسعون ويبحثون عن شيوخ وعديدين تعرضوا للنصب، ومنهم من يعرف الطّريق الصّحيح لرجال عرفوا بتلك القصة واعتادوا عليها ومشهود لهم فى تلك الأمور وبعضهم ينجح وبعضهم يفشل لكن تأكدوا لو أن الأمر مُجد ويساوى الكثير فسيتم فتح المقبرة مهما كلف من مشقة ومن أموال فهناك عالم بأثره يعمل فى تلك التجارة سواء فى الدّاخل أو الخارج، أما تلك المقبرة فعند معرفتهم بها أتى عتمان الذى أخبرهم بما فيها وشرح كل شىء بالدّاخل من فوق الأرض فلا تستغربوا لهذا فبأم أعينهم جميعًا رأوا الأمر مئات المرات ومرات يقول لهم لا تفتحوا فقد أتى من سرقها من قبل منذ قرون ولّت ومضت وأغلقت من

جديد فهناك غيرنا من امتهن هذا العمل فى سالف الزّمان وحصل على غنيمته.. عتمان فى حد ذاته هو عالم من عوالم تلك اللعبة، رجل عادى إن رأيته لا يأتى فى مخيلتك يومًا أنه قد يعرف عن قصص الجان شيئًا، رجل صعيدى فى زيه التقليدى وجلبابه الواسع الذى يظهر من أسفله صديرى قماش مميز يعلوهما كتفين عريضين يحملان عنقًا كبيرًا قد يغريك أحيانًا لأن توقع بيديك عليه لكن مع رجل مثل عتمان عليك أن تفكر كثيرًا قبل أن تفعل هذا فهو يمتلك نظرات ثاقبة كفيلة ببث الرّعب على مُحياك عند رؤيته بجبين عريض يعلوه شعر كثيف وشارب خفيف يعلو شفتيه، ولكن ليس عليه سبح وما إلى ذلك من أمور فلا تكونوا غارقين فى عالم السّنيما الذى يصور الدّجل بشكل هو أبعد ما يكون عن الواقع فمن تحدث عنه ربما لم يكن قد ارتاده فى يوم من الأيام، عتمان هو رجل فى بداية الأربعينيّات لكنه قضى نصف عمره بين بين، بين الجان والإنس فى عالمين فيهما الكمال كله إن اجتمعا معًا..

لم يهتز كريم أمامه وبادره بالسؤال فهما رجلان يعرفان بعضهما جيدًا فقد عملا معًا من قبل كثيرًا:

- معلهش يا عتمان.. صحّيناك من النّوم بس يا أخى أهو نشوفك دا انتَ ليك وَحشة...

- الله يحفظ مجامك يا كريم بيه، دا احنا نتشرفو بيك، بس يمين بالله ما أعرف إنكم جايين النّهارده وإلا كنت جيت لكم بنفسى من غير ما تشيّعوا لى مرسال.

- صادق يا عتمان من غير حلفان. المهم يا سيدى ندخل فى

الشّغل.. المقبرة دى بقى قصتها إيه؟

- ما أنا جُلت للحج عمران جَبْل كده وأجول لك تانى بردك.. بَجى المجبرة دى لكاهن فرعونى..

- تعالى دوغرى يا عتمان وانتَ فاهمنى كويس.

- أهـا، تجصـد المسـاخيط؟ بـص يـا سـيدى.. المسـاخيط اللـى لجيناها أهى كليتها فيها تنين دهب و...

- لا يا عتمان.. أنا عاينت الحاجة وأنا مش بتكلم على ده وانتَ فاهمنى كويس.

- أُمّال تجصد إيه يا سى كريم؟.. ما ده هو الشّغل وده اللى يهمنا فى الموضوع.

- لأ.. هتتكلم ولا أتكلم أنا؟

- لا، أنا اكده مش فاهمك عاد؛ جول اللى عنديك ونوّرنى...

- طيب، المقبرة دى بقى لا بتاعة كاهن ولا غيره وأنا عاوز أعرف الزّتونة بتاعة الموضوع.

- يعنى إيه مش بتاعة كاهن؟.. أنا هكدب عليك إيّاك ولا إيه؟.. لا يا أستاذ.

- اهدى كده وبالراحة.. أنا ما قُلتش إنك بتكدب والحاجة اللى فى المقبرة دى تساوى كتير بس لو انتَ قُلت لى بقى المقبرة دى قصتها إيه، الحاجة دى ممكن تساوى قد كده مرتين..

صمت الجميع وابتلع عمران ريقه مرتين متتاليتين فأن تساوى المقبرة أموالاً طائلة فهذا أمر رائع أما اكتشاف شىء آخر يؤدى إلى مضاعفة المال فهذا هو المُنى بحد ذاته؛ فالمقبرة ستكون بسعر اثنتين..

أىْ أموال تأتى من حيث لا تدرى ولا تحتسب.

- ما تجول له يا عتمان إياك لو تعرف حاجة جولها للأستاذ كريم.

...

- هو عارف يا حج عتمان وعارف كتير كمان بس يتكلم.
- أنا اللى عندى جُلته يا أستاذ كريم ولو مش مصدجنى هات حد غيرى يجول لك..
- مش محتاج أجيب حد تانى عشان أعرف يا عتمان؛ أصل ده شغلى وبلاطة المقبرة تشهد.
- وأنى كمان عارف شغلى وخابره زين بردك، والمجبرة وفتحتها وجلت اللى عندى.
- ماشى يا حج عمران.. لما عتمان يحب يتكلم انتَ عارف تتصل بينا إزاى.. يلا يا سميح.

شعر الجميع بجدية الرّجل فى كلامه وأنه اتخذ قرارًا لا رجعة فيه وهو الخروج من تلك المقبرة وعدم العودة إليها إلا عندما يتحدث عتمان ويبوح بما يعرفه من معلومات، وأيضًا يعلم عمران جيدًا أن خروجه قد يعنى ضياع كل شىء وأمواله التى صرفها قد تذهب هباءً.. أما سميح فلم يكن يعرف ماذا يحدث فهو لم يشاهد كريم بهذا التصرف من قبل لكن مهما حدث فسيجاريه فيما يفعل حتى تُحكم الحبكة فهكذا يتم العمل يجب أن لا نختلف أمام البائع دائمًا ونوحد كل آرائنا بينما يكون الخلاف فى مكان آخر، فعلى مضض ودون أن يظهر ذلك تحرك خلف كريم تجاه الدّرج للخروج من المكان قبل أن يوقفهم عمران:

- على فين يا بهوات؟ الحديث أخد وعطا مش اكده..
- وعتمان مش عايز يتكلم يا حج عمران.. عقَّله وإحنا نيجى ونتكلم.
- ما تجول حاجة يا سميح.. ولا انتَ هتفضل ساكت اكده؟
- والله يا حج عمران أنا مش عاوز أزعلك بس النّقطة دى فى الشّغل بتاعت كريم وأنا مقدرش أتكلم فيها وهو أدرى بمصلحة شغله.
- وانتَ بردك يا عتمان ما تريّح الرّاجل وتجول له اللى رايده.
- أنا اللى عندى جُلته يابا الحج..
- مش صح يا عتمان.. لا دى مقبرة رسمية ولا كاهن ولا غيره.. فيه حاجات كتير مش فى المقبرة دى..

فى تلك اللحظات تحدث كريم بصيغة الأثرى فقد شهدت المقابر الفرعونية تطورًا مختلفًا على مر العصور قد وصل إلى قمته فى الأسـرات الخامسـة والسـادسة حيث كـانت المقـابر تقسـم إلـى قسمين، البناء العلوى للمقبرة والغرض منه إظهار عظمة المكان والثراء والقيمة لصاحب المقبرة ومنع اللصوص والحيوانات من الوصول إليها واستخدامها كأماكن تؤدى فيها الشّعائر والطقوس وتقدم القرابين وتمارس العقائد الدينية وقد تطور البناء العلوى على مر الأسر الفرعونية وقد وصل التطور إلى أقصاه فى الأسرة الخامسة من زيادة عدد الغرف وإضافة فناء كبير يتقدمه بعض الأعمدة يزداد سعته ومكانته كلما زادت قيمة ومكانة صاحب المقبـرة، أمّا البنـاء السّفلى فهو الذى يحـوى القرابين والجثمان وهو عبارة عن غرف لحفظ القرابين والجثامين وكانت كبيرة فى

المقابر الملكية والمقابر الكهنوتية والرّسمية أما فى مقابر الأفراد فتشغل حيزًا أقل..

بعيدًا عن كل هذا لم يكن أىّ من ذلك ما جعل كريم يتحدث فى هذا الأمر بل لأنه استشعر شيئًا آخر، رسومات وطقوسًا وشعائر على الحائط لم تُشِر حتى إلى اسم صاحب المقبرة وما إلى ذلك، كلها لجماعة تقوم بأمور ليست معتادة فى الطّقوس الفرعونية وكتابات عديدة منها ما عرفها والأغلب هو ما جهله، أمور تتحدث عن علوم وفلك وطب وما إلى ذلك لكنه صوّر كل شىء حتى يقـوم بمراجعتـه بـدقة والتـدقيق فـى عملـه علـى تلـك المقبـرة بالإضافة إلى تلك الرّقعة الصّغيرة التى اختلسها دون أن يشعر أحـد ودسـها فـى سترته، شىء داخلى دفعه للاعتقاد بأن تلك المقبرة ليست مكتملة الأركان بعد وأنها تحوى وراءها الكثير من الأمور لا يعلم مداها بعد.

***

وقت الرّحيل.. الواحدة صباحًا..

لم تنجح كل محاولات عمران فى إبقاء كريم أو جعله يعيد النّظر فى قراره الذى أصر عليه ألا وهو الرّحيل وإيقاف تلك الصّفقة إلى أن يتحدث عتمان ويبوح بما يعرف، وأيضًا كريم فى المقابل يدور فى خلده الكثير فهو يسعى أيضًا لمعرفة الأمر من خلال تلك الرّموز والرّسومات الجدارية التى صورها وينوى أن يقوم بتفحصها من جديد وبتمعن حين يصل إلى مكتبه، حتى سميح الذى استشاط غضبًا من داخله لموقف كريم فلم يتكلم كل ما بدا منه هو تأييد موقف كريم الذى يرفضه تمامًا لكنه يعرف صدق

المعرفة أن هذا أمر سيعود بالنفع عليهم بكل تأكيد حتى وإن لم يعرف هدف كريم للآن، رحل الرّجلان ورحل معهما قلب عمران الذى شعر بسقوطه من عنان السّماء إلى أسفل الأرضين يهوى فى خفقان قلب شديد مع تقدمه هذا فى السّن قد يصيبه بشىء ما، حسرة على الصّفقة التى توقفت وتأخرت وعلى الأموال التى رآها بين يديه أتت ولكنها رحلت لمجرد خلاف بين رجلين.

قد يتوقف الكثيرون ويقولون لماذا هذا الإصرار المُبالَغ فيه من كريم على أن هذا الشّخص الذى يدعى التواصل بالجان عتمان يعرف أمورًا عن المقبرة أو مَن أعطاه الحق بأن يعرف من الأساس، حسنًا دعنا نتغاضَ عن هذه النّقطة لدى كريم عن عتمان فما رآه هو بنفسه فى المقبرة يقول بعين الخبير الأثرى أن عتمان لا يقول الصّدق، فرغم أنَّه لم يعمل فى الجامعة أو فى هيئة الآثار لكن هذا لم يوقف شغفه فى داخله عن القراءة عن التاريخ يومًا وتعلم الجديد بل إنه بعمله الجديد الذى يعمل فيه أصبح مكتبة بحد ذاتها وقادرًا على أن يكتب الكثير من الكتب عن التاريخ والآثار فقط إن أطلق عليها (يوميّات سارق للآثار)، وستجد كثيرين يسعون لمعرفة ماذا تحوى تلك اليوميات سواء من هم مهتمون بالتاريخ أو بالآثار أو بالسرقة.

عن عالم المقابر أو عالم الجان فى المقابر دعنى أحدثك بعدة أمور، لكن دعنى أعرف ماذا تعنى كلمة "جن" أو "جنى".. هى كلمة تعنى لُغويًا كل ما خفى عن نظر البشر بشكل مباشر سواء كان من الجان أو الشّياطين أو الملائكة أو حتى الأمور الكونية العادية.. كل ما يخفى عن أعيننا المجردة، أما عن مفهوم كلمة الجان الخاص فلتلعم التالى:

أولاً.. الجان يوجد منه العديد من الأنواع والطوائف وهذا لا يهمنا، لكن يوجد فريقان رئيسيان وهما الجن السّفلى أو الكافر بالله وهذا يترأسه إبليس، والجن المؤمن وهو منه المسلم والمسيحى واليهودى ومنهم من يؤمن بالزابور أو الحنفاء أو الصّابئين وهم فى صراع إلى يوم الدّين، وهذا ليس فى صلب عملنا أيضًا وبعيدًا أيضًا عن أنواع الجن من المائى للهوائى للترابى للسفلى، لكن هنا ما يهمنا هو جان المقابر، فلنعلم عدة أمور فهناك الجان الحارس وهو الذى يحرس المقبرة وهنا اختلفت الأقاويل فمنهم من يكون مسخرًا من قبل الفراعنة لحماية عرينهم ومنهم من يكون قد استوطن المكان واتخذه مملكة له وتولى حمايتها مانعًا أى أحد من دخولها، ومنهم الجان الذى يسكن المكان بدون أى شىء وهو مسالم فمنهم من يسكن المقابر أو الطّرقات أو البيوت فهم حولك فى كل مكان وقد يكون أحدهم معك الآن يقرأ قصتنا هذه وهم من يسمون "عُمّار المكان"..

أما الجن الذى يخاوى فهناك أنواع عدة لن نتطرق لها لكن سريعًا اعرف أنه يوجد الجن الخادم والعاشق والجن الذى يمس النّاس بالشر ومنهم الجن الذى يسكن كيان شخص ما بغية النّكاح..

كل هذا لم يُجيب عن سؤالنا بعد.. أعلم، لكن أنا أضع لك إيضاحًا بسيطًا لعالم الجان الذى قد نوضح عنه إن استلزم الأمر فى قادم الأحداث، كما عرفنا الجن الحارس فبعض المقابر بها جن حارس وبعضها لا، لكن أحدهم سيقول ساخرًا وهل سيظل هذا الجنى فى هذا المكان كل هذا الوقت صامدًا؟

أقول لك إن المسخرين يتعاملون إما بالطلاسم والسحر أو

بالمخاواة والعهود.. وأيًّا كان النّوع فإن القدماء قد سخروا الجان وأخذوا عليهم العهود والطلاسم لحماية تلك المقابر ذات الأهمية العظمى..

وهنا يأتى عمل عتمان، ومن هم مثله، فهم يقومون بالتواصل عن طريق ما يملكون من جان هم مسخرون لهم، مع الجان الحارس وهناك أحد أمرين إمّا أن تنتصر عليهم أو ينتصروا هم عليك، فقد يكون ما تسخّره من جان قدرته أقل بكثير من الجان الحارس وقد يكون ما تسخره أنت أقوى بكثير فالجان كعضلات الجسم كلما مرّنتها وأعطيتها جرعات أكثر زادت قوتها، هكذا الجان الخادم كلما أعطيته أعمالاً ومهامّ أكثر مهما كانت بسيطة فهى تزيد من خبرته وقوته فأنت وهو تتعلمان معًا وتقويان معًا كأنكما شىء واحد...

يعلم كريم كل ذلك ويعلم أن عتمان بخبرته وقوته وتاريخه الحافل والمشرف فى تلك المهنة قد علم الكثير عن تلك المقبرة وهو لم يقل ما يقله فى كل مقبرة سابقة فتحاها معًا فعتمان يقول له أدق التفاصيل والأسرار عن تلك المقبرة وتاريخها وتاريخ مَن فيها لكنه لم يفعل هذه المرة، وهذا ما أثار الشّك لدى كريم وزاد من شعوره بأن المكان ما زال يحوى الكثير من الأسرار وهو لن يتم هذا العمل ما لم يعلم أى سر يحويه هذا المكان.

كل ذلك لم يكن قد راق إلى سميح فى أى لحظه وللآن لا يعرف كيف سيطر على كل الغضب الكامن فى داخله هذا بدون أن ينفجر بوجه كريم أمامهم أو حتى عندما غادروا المكان فقط التزم الصّمت واحمرّ وجهه من شدة الغضب الذى دفعه إلى أن

يضغط على المكابح بأقصى ما يملك من قوة لتقف السّيارة فجأة معلنة عن موجة من الغضب ستنفجر الآن:

- ممكن أعرف بقى انتَ عملت كل ده ليه؟ إزاى تضيّع الشّغلانة دى كلها وبمنتهى البرود ده؟

مع كل هذا الغضب من سميح، بدا كريم على درجة هائلة من البرود الذى يتمتع به من خبراته المتراكمة فى حياته، ونظر إليه بمنتهى الهدوء وبابتسامة لم تتغير قط:

- أنا عملت كل ده عشان مصلحة الشّغل، وبكره تقول إنى كنت على حق.
- أنهى مصلحة شغل دى؟ انتَ عارف إحنا ممكن نخسر كام؟
- لأ، أنا عارف أنا هكسّبكم كام؛ أنا مبلعبش يا سميح.

اعتدل سميح فى جلسته منتظرًا أن يشرح له كريم وجهة نظره التى هى ببساطة تتمحور حول شكوك تراوده عن قيمة المكان وقيمة الأشياء وشك يساوره تجاه عثمان الذى يخفى الكثير والذى مما أدخل الحيرة فى عقل سميح لكن لم يهدّئ هذا من غضبه حتى..

- يعنى انتَ ببساطة علمت كل ده عشان انتَ شاكك فى حاجات متعنيناش؟.. أيوووه يا جدعان.
- تصدق نسيت إنك اسكندرانى.. سمعنى أيوووه دى تانى كده..

- لا، دا انتَ فاضى وأنا لازم أكلم الباشا وهو يشوف انتَ مالك.
- طب ما تصبر على رزقك كده يمكن هو اللى يتصل..
- انتَ عاوزه يتصل كمان؟.. ده يسود عيشتنا.
- ما هو كده كده هيتصل، لو مكانش عشان يطمن ع الشغل يبقى عشان عمران كلّمه وحكا له.

***

لم يكن عمران ليخيّب ظن كريم قط، فبعد أن صبّ جام غضبه على عتمان وما فعله اليوم قام بإجراء اتصال من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه فتوجب عليه أن يتحدث مع من بيده الأمر بأكمله، الرّجل الذى تدور اللعبة كاملة تحت إمارته وتحت إشرافه.. أيضًا لم يكن بالأمر الهين عليه أن يقوم بالاتصال فى هذا الوقت المتأخر من الليل لكن العمل هو سيد الموقف:

- آلوووووو....

آلووو.. ما... مساء الخير يا معالى الباشا.

- مساء الخير يا حج عمران.. ها طمنى أخبار الشّغل إيه؟
- كل خير إن شاء الله يا باشا.. هو سميح وكريم مكلموش معاليك؟
- لا، لسّه يا حج عمران.. همّا مشيوا من عندك؟
- آه يا باشا، هما مشيوا دلوجيت، بس حصل مشكلة بسيطة اكده وإن شاء الله محلولة.. بنَفَسك معاليك معانا يا باشا.

- خير يا عمران.. إيه اللى حصل؟

لم يتوانَ عمران فى شرح كل شىء إلى الرّجل بداية من استقباله لكريم وسميح على الرّحب والسعة وأيضًا انبهار كريم بالمقبرة وتأكيده أنها ذات قيمة كبيرة وتحوى الكثير من الكنوز ثم مرورًا بالخلاف بين كريم وعتمان ومحاولاته المستميتة لإبقاء الرّجلين من أجل إتمام العمل وإصرار كريم على الرّحيل دون أى محاولة للتفكير أو البقاء.. وأيضًا تحدث عن عتمان وتعنيفه الشّديد له وأنه يستمحي الباشا عذرًا عما حدث وأنه يريد العمل على إنهاء الأمر من جديد..

- ماشى يا حج عمران.. اطمّن انتَ؛ أنا هكلم سميح وكريم وأشوف فيه إيه وربنا يسهل..
- وده العشم برده يا باشا.. إحنا خدّامين معاليك وآسفين على إزعاجك يا باشا.
- ولا يهمك يا عمران.. انتَ راجلنا برده وانتَ كبير عندنا.. هقفل أنا دلوقتى وأكلمهم..
- فى حفظ الله يا باشا... فى حفظ الله..

أنهى عمران مكالمته ثم نظر فى غضب إلى عتمان نظرة تأنيب تعنى أن الأمر لم ينتهِ بعد.

- روح انتَ دلوقتى يا عتمان.. بس تبقى عندى من بدرى لحد أمّا نشوف الباشا هيعمل إيه..
- ماشى يابا الحج.

- استنى من هنا لبكره تراجع نفسك وشوف انتَ مخبّى إيه وإلا جسماً عظماً لو الشّغلانة دى باظت محدش هيخلصك من تحت إيدى وإنت خابرنى زين وعارف إنى ممكن أعمل فيك إيه!! ....!

ما ألم بعتمان من حيرة وغضب وقدرة على عدم الحديث ظهر جليًّا الآن؛ فهو يعى تهديدات عمران بشدة وفى المقابل حاول عمران أن يحافظ على غضبه والانتظار لما سيحدث فلا يوجد أمامه الآن حل آخر سوى الانتظار.

لو وُجد أى شخص آخر مكان هذا الرّجل لاستشاط غضبًا وضاقت به الدّنيا مما فعله كريم وسميح وإهدارهما لتلك الصّفقة التى تم التحضير لها من قبل مقبرة جديدة تخرج للنور ولكنهم لم يتمموا الأمر رغم كل تأكيداتهم أنها مثالية، هذا حسب ما رواه عمران رجله الصّادق الذى يقوم بهذا العمل منذ عقود مضت ولكن لكونه الباشا فهذا يعطيه الكثير ليس فقط الكثير من المال أو السّلطة والنّفوذ فقط بل أيضًا حكمة وذكاء ودهاء.

لكن أولاً.. من هو الباشا؟

إنه أحد كبار اللعبة، لا يديرها بمفرده لأن اللعبة التى تدار من شخص واحد فى الغالب ستسقط وتنتهى سريعًا أما اللعبة التى يتحكم بها أكثر من طرف مجتمعين على قلب رجل واحد فهى على الأرجح الأكثر نجاحًا، خيوطها مجتمعة تغزل حبلاً قويًّا يمكنك به أن تلجم من تشاء وأن تطوّعه..

الأمر ببساطة كلجام الفرس فهل تلجمه بخيط يعبر من سَمّ الخياط أم تلجمه بحبل غليظ يمكنه أن يتحمل سفينة ترسى فى

قلب المحيط ثابتة أمام أعتى الأعاصير..

لكنه تفصيلاً كرجل نتحدث عنه هو الباشا الذى يهابه الجميع.. إنه فريد المرشدى، أحد أكبر رجال الأعمال فى البلاد، رجل ذو سطوة ونفوذ سياسى رغم عدم وجوده فى أى حزب لكنه ممن اعتادوا العمل فى الخفاء، رجل تزوج من الحكومة منذ عقود ولّت ولعقود قادمة، شريك فى أغلب المشاريع المهمّة فى البلد، يطلق عليه اللقب الأشهر لكل من أردت إخفاءهم عن النّاس "مستثمر رئيسى" لكنه على الوجه الآخر يعتبر أحد أشهر رجال الأعمال المصريين، محبوب ويلقى احترامًا شديدًا من معظم طوائف الشّعب المصرى حتى وإن كنت لا تعرفه فأنت بالتأكيد ترحب بجمعيّاته ومؤسساته الخيرية التى لا تتوقف عن مد أيادى العون لك فى أى وقت وأى مكان وهذا بالمناسبة ليس نوعًا من الرّياء أو من النّفاق من الرّجل أو محاولة لإخفاء شىء ما، ولكنه وبكل بساطة يسعى لرد جزء مما قدمه إليه هذا البلد وبقناعة وسعادة كبيرة يفعل كل هذا وبيقين تام أنه يرضى المولى عز وجل بهذا الأمر.

لكن عن كونه رجل أعمال فهو يمتلك عدة فضائيّات من منوعة إلى فنيّة وإخباريّة وحتى رياضيّة..

"حاول أن تلبّى طلبات الشّعب أيًّا ما كانت"، هذا هو شعاره، أما أساس عمله فيقوم على ما ورثه من الآباء سلسلة شركات متنوعة المجالات من المقاولات لسلسلة فنادق قام هو بتنميتها فى المدن السّياحيّة الجديدة لشركة خدمات بترولية بالإضافة لكونه شريكًا فى أغلب أسهم الشركات الكبرى فى البورصة، رجل

لا يخسر أبدًا، دائمًا ما يشترى فى الأزمة وقت هبوط الأسعار ولكنه لا يبيع فهو لا يريد المال بالإضافة لشركات للغزل والنّسيج وتوكيلات لبعض الماركات العالمية من السّيارات وشركات لاستيراد ماكينات ومحركات مختلفة الأنواع.. أنا شخصيًّا لا أعلم كيف يمكنه متابعة كل تلك الأمور فى الوقت نفسه إضافة لتجارة الآثار وإشرافه على بعض صفقات السّلاح..

كل هذا ليس مهمّاً ما دمت لا تملك السّلطة وهو رجل دائمًا لا يدخل فى السّلطة لكنه يملك مَن فيها ويتشارك مع من يديرونها، رجل بعيد عن كل الشّبهات ولكنه يمارسها جميعها، دائمًا ما يكون له الغطاء القانونى والأمنى لكل ما يقوم به فهو يتحرك بالقانون مع فريق كامل من المستشارين الخاصين به وعلاقات طيبة بقادة الدّولة مع غطاء أمنى قوى وسلطات قد لا يملكها وزير الدّاخلية على جهاز الشرطة الخاص به.

قد ترانى أتحدث عن أسطورة ولكنه فريد المرشدى، الرّجل الكبير، رجل التقى كريم منذ ما يقارب ثلاثة عشر عامًا، كان كريم وقتها شابًّا يافعًا فى الثّانية والعشرين من العمر أعجب به كمرشد سياحى وشاب ملهم بالآثار ويكره نظام إدارتها فى مصر، عرض عليه العمل معه ولم يتردد كريم يومًا.. عملا معًا حتى أصبح المثمّن الخاص بفريد المرشدى، هو الآن رجل قارب السّتين من العمر، ذو شعر أشيب خفيف بعض الشىء، ووجه محمر دائمًا يعود لأصول تركية فى عائلته مع ابتسامة لا تغادر فمه وعينين تغرق فى بحورهما؛ فهما دائمًا لا تكونان سهلتَى الفهم.

رجل يجيد الإقناع ويجيد العمل والتواصل مع الآخرين، لا يريد

شيئًا إلا ويتحصل عليه، لكن هذه المرة لم يتحصل على مقبرته العزيزة..

استمع إلى كل ما قاله عمران بهدوء الواثق فقد اعتاد أن يسمع من الجميع قبل أن يُصدر أحكامه. الآن عليه أن يستمع إلى سميح وكريم ويرى ما يحملان فى جعبتيهما له من أخبار. وعلى الفور لم ينتظر أنهى مكالمته مع عمران وعاود الاتصال بسميح متحدثًا فى هدوء ليأتيه الرّد من سميح أولاً..

- آلوو.. مساء الخير على معاليك.
- مساء الخير يا سميح أو صباح الخير أحسن.
- اللى تشوفه معاليك أحسن هو اللى يكون.
- ها، مزعّلين الحج عمران ليه؟.. الرّاجل بيتصل يشتكى.
- أأأ... أصل.... أصل كريم وو.... وعتمان ماتفقوش.
- طب إدينى كريم.
- إنتَ تؤمر يا باشا.. امسك يا كريم؛ الباشا عاوزك.
- أهلاً يا فريد باشا.. أخبار معاليك؟
- أهلاً يا كريم.. خير فيه إيه؟
- لا يا باشا، الكلام مينفعش فى التليفون؛ محتاجين نشرب فنجان قهوة مع معاليك.
- طيب توصل انتَ وسميح وأشوفكم بكره بالليل.. هستناكم على عشرة..
- انتَ تؤمر يا باشا، وقلبها نكون موجودين.
- لأ، قبلها لأ؛ عشرة تبقى عشرة بالظبط.. أشوفكم على خير.
- بإذن الله يا باشا.. فى حفظ الله.

- سلام.

أغلق الرّجل الخط ثم استنشق نفَسًا من سيجاره الكوبى الفاخر قبل أن ينفث دخانه فى سماء غرفته مستغرقًا فى التفكير ليس فى هذا الأمر ولكن فى عالم بأكمله يديره بين يديه.

***

لم يكد سميح يلاحق أنفاسه المتتالية من الانزعاج وقد تندى جبينه بالعرق الذى سال على وجنتيه وغمر سائر جسده بينما كريم فى منتهى الهدوء أنهى المكالمة وقام بوضع هاتف سميح فى مكانه فى السّيارة قبل أن يلقى برأسه من جديد على مخدع كرسيه منتظرًا من سميح أن يسأله عما حدث، فهذه هى واحدة من أهم اللحظات بالنسبة له وهى عملية استفزاز لسميح فدائمًا ما يجيد هذا الدّور ويتلذذ به ولكن سميح فى هذه المرة لم يمهله كثيرًا ولكن بهدوء نسبى بعد أن أنهى كريم المكالمة:

- ها، الباشا قال لك إيه؟
- مفيش يا سيدى، بكره هيستنانا نروح له السّاعة عشرة بالليل.
- طب، وما قال لكش حاجة يعنى؟
- لا خالص، الرّاجل مستنينا بكره.
- يعنى ما كانش باين عليه إنه متضايق ولا زعلان ولا متنرفز؟
- ومن إمتى الباشا بيبان عليه حاجة!!.. لا يا سيدى كان هادى جدًا ومزاجه حلو.
- يبقى ربنا يستر. المُهم انتَ هتقول له إيه وتخرّجنا من الورطة اللى إحنا فيها دى إزاى؟

- سيبها على الله.. وبعدين إنتَ ما لكش دعوة؛ أنا اللى عملت المشكلة..

منزل كريم.. التاسعة صباحًا..

قاربت الساعة التاسعة صباحًا عندما وصل كل من كريم وسميح إلى منزل الأول، كان على سميح إيصال كريم لأنه هو الذى أقلّه من البداية ليتحمل بعدها فترة العودة من التجمع الخامس إلى بيته فى أكتوبر، ترجّل كريم من السّيارة فى حالة مزرية وجسد مُنهَك من أثر السّفر يحتاج إلى الرّاحة والنّوم بعد أن تواعد هو وسميح على اللقاء ليلاً عند الباشا.. أمّا سميح فجاهد من أجل إبقاء عينيه مفتوحتين على العالم أمامه مصارعًا تلك التّوبات من النّوم التى اجتاحت كل جسده لكنه استدار بسيارته متجهًا إلى منزله ليرتاح هو الآخر.

تقدم كريم نحو منزله قبل أن يتوقف إثر صوت شريف الذى رآه وهو عائد فخرج له ليقابله، لم يُجب كريم عليه ولكنه اكتفى بالإشارة له بأنه منهك وأن يأتى معه إلى منزله...

جلس كريم نصف نائم فى إرهاق شديد لكنه استكان لطلب شريف بالحديث معه قبل أن يتوجه شريف لتحضير فنجانين من القهوة ليحتسياهما معًا.. وفى هذه الدّقائق المعدودة أغمضت عين كريم مستسل للنوم بينما شريف تقدم فى طريقه نحو مطبخ كريم المهجور إلا من "صباح" التى تأتى إلى منزل كريم عدة مرات كل أسبوع من أجل إبقاء المنزل على حالة جيدة وتحضير بعض الوجبات الخفيفة ودسها فى ثلاجة المنزل حتى يتقوّت منها كريم إن شعر بالجوع يومًا فى منزله فبعد انفصاله

عن زوجته لم يدخل المنزل أى امرأة أخرى إلا صباح للاعتناء به حتى نيفين زوجة شريف لم ترد الدّخول حزنًا على صديقتها التى كانت سيدة هذا البيت رغم إلحاح كريم عليها بأن تظل فى عش زوجيتهما السّابق لكنها أصرت على العودة إلى بيت والديها الثريين فهناك ستشعر بالرّاحة، أما صباح فهى من احتلت وبجدارة لقب سيدة البيت الأولى، احتلت مكان "نور" فى كل شىء، فى مطبخها وفى بيتها من أعماله المنزلية المتتالية حتى فى فراشها؛ ف "صباح" هى الأخرى لم تمر على كريم مرور الكرام بل ضمّها إلى قائمة نسائه اللاتى واقعهن، فهو يراها مختلفة عنهن بعبق شعبى يريده أحيانًا بعدما يذوق أرقى الحلويات الشرقية والغربيّة وكأنه يجزع من كثرة السّكر فيهن فيحتاج لطبق مقبّلات من الطّرشى، وصباح هى هذا الطّبق رغم كونها متزوجة إلا أنها انهارت أمامه وأيضًا المال له أحكام مع قسوة من زوجها وعدم قدرته الدّائمة على تلبية متطلباتها، فكريم هو ملاذها الوحيد كلما استطاعت أن تغريه فى أى مرة تواتيها تلك الفرصة لكن فى هذا اليوم كانت صباح قد غابت عن المنزل بمدة كافية لجعله أشبه بمغارة على بابا، وقف شريف أمامه لدقائق يتأمل هذا الوجه الملائكى النّائم والذى لا يأبه بأى شىء حوله مع فم مفتوح ببلاهة الأطفال ويسيل منه لعابه، تأمّله مخاطبًا ضميره كثيرًا لكنه فى النّهاية قرر إزعاجه:

- إيه يا عم انتَ لحقت تنام؟
- هاااا...

فزع كريم على صوته كمن كان يحلم بالجنة تحيط به وأنهارها

تنساب أسفل منه مع إحدى الحور العين تداعبه وقطع كل هذا فى اللحظة الخاطئة ليجد شريف يجدد حديثه له ثانيًا:

- هاا، إيه؟ بقول لك هجيب لك قهوة عشان تفوق أرجع ألاقيك نايم.. فوق يا عم كريم شويّة كده..

بحركة لا إرادية مسح كريم لعابه الذى سال على ذقنه معتدلاً فى جلسته فاركًا عينيه حتى يستطيع أن يفتحهما ليرى أمامه ولو لبضع سنتيمترات:

- يا أخى أنا نفسى أعرف انتَ دكتور إزاى!!
- مفيش يا سيدى دخلت كلية الطّب ونجحت وخلصت وبعدين أخدت ماجستير ودكتوراه وبقيت دكتور زى ما انتَ شايف..
- لا، وليك نفْس تهرّج يا أخى.. انتَ شايفنى جاى تعبان ومرهق ومُصِر إنك تقعد معايا ورُحت تعمل قهوة جيت لقيتنى نايم؛ سيبنى بقى.
- لا، تصدق عندك حق، عمومًا يا سيدى أنا آسف. بس اشرب القهوة دى وفوق كده..
- برده مفيش دم... مش عارف أنا إيه اللى مصبرني عليك كده!!
- عشرة السّنين يا كوكو... هاهاهاها.....

غادر النّوم جسد كريم بلا رجعة، أقسم على أن لا يعطيه ما يرضى بعد أن علم عقله أنه لن ينتهى إلا عندما ينتهى شريف من مراده، نظر إليه فى غل الصّديق لصديقه المبتز مع نظرات انتصار ورضا من شريف فأخذ كريم فنجان قهوته وبدأ فى احتسائه

بينما شريف لاحقه أولاً:

- أولاً كده إنتَ هربت منى إمبارح ورُحت فين؟
- مفيش يا سيدى، كان عندى شغل فاضطريت أسيبك وأمشى.
- شغل إزاى يعنى إذا كان أنا اتصلت عليك فى الشركة وقالوا إنك مارُحتش ليهم؟
- ما ده طبيعى لأنه مكانش شغل خاص بالشركة.
- شغل من إيّاه برده يا كريم؟ انتَ مش هتبطل يعنى ولا كأنى كنت بأذن فى مالطا معاك ليلتها!!
- يا سيدى متكبّرش الأمور قوى كده، كله شغل يا دكترة، المهم كنت عاوزك تبقى معايا..
- ليه.. كان فيه نسوان حلوة هناك؟
- نسوان إيه يا عم انتَ عاوز الصّعايدة ياخدوا مننا بالطار!!
- أُمّال كنت عاوزنى ليه؟ آجى أقف لك ناضورجى لحد أمّا تخلص سرقة الآثار؟
- يا أخى بطل فرجة على الأفلام العربى دى اللى لحست مخك. وبعدين تصدّق انتَ خسارة إن الواحد يحكى لك حاجة. عمومًا خلاص انتَ الخسران.

قالها كريم بأسلوب تشويقى مع بعض من الجدية فهو يعرف صديقه جيدًا، سيتناسى أنها سرقة وسيطلب منه فى لهفة سريعة معرفة ما يريد أن يرويه له، يعلم كريم أن كلامه فى تلك الأمور غير مسموح به بالمرة وأنه قد يودى بحياته فى مرة ما، لكنه لم يكن يتحدث مع أحد إلا شريف فيعلم أنه يخاف عليه أكثر من نفسه، يعلم أنه ضميره الحى وأنه إن أقلع عن كل ما يرتكب من

موبقات يومًا فسيكون بسببه، لكنه الآن أمام طفل ألقى له بقطعة من الشيكولاتة فسال لعابه عليه راغبًا فى المزيد منها:

- خلاص، خلاص.. أنا آسف يا سيدى، إحكى لى إيه اللى حصل..
- لا، مش قايل؛ خلاص انتَ قفلتنى.
- انتَ هتعيش فى الدّور بقى، ما تحكى يا أخى.
- (نظر إليه مبتسماً): ماشى يا سيدى، كانت حتة مقبرة ما دخلْتِش زيّها قبل كده من كمية الآثار اللى فيها وغرابتها وغرابة الكتابات اللى فيها.. مقبرة غريبه بكل شىء..

استرسل كريم فى وصف كل ما شاهده أو وقع عليه نظره إلى صديقه شريف الذى شعر وقتها أن كريم فى ملكوته الخاص يروى له عن أسرار مكنونته، رأى فى عينيه وقتها هذا الشّغف نحو الآثار والتاريخ الذى شاهده فى عينيه حينما كان طالبًا، رأى أمامه صديقه القديم الذى لم يشغل حياته وقتها أمر سوى كل ما هو أثرى، شعر بقمة السّعادة فى عينيه وهو يصف له المكان، بل إنه أخرج كاميرته الخاصة به وبدأ يطلعه على ما تم تصويره من مقاطع للفيديو للمكان، شعر أن كريم مشدوه بالأمر فقليلاً ما يراه هكذا عندما يعود من عمل مماثل يشعر فى عينيه بفرحة كمن عاد منتصرًا باكتشاف علمى كبير لكنه يلحظ دائمًا فى عينيه نزعة من الحزن تلقى عليه لمعرفته أن هذا العمل لن يكتمل للنور وسيظل مطموسًا فى الظّلام..

- عارف يا كريم.. أنا أول مرة أشوفك كده من إمتى؟

- من سنين، لأن دى مقبرة مش عادية رغم إننا مكملناش شغلنا بس حاسس إنها مختلفة..

- مكملتش شغلك إزاى يعنى؟

- لا، دى بلاش منها أمّا أكمّله أكيد هحكى لك.

- ماشى يا بطل، أنا مش هضيّع عليك الفرحة اللى فى عينيك دى واقعد اتجادل معاك، هسيبك دلوقتى تنام وترتاح وبعدين نتكلم..

حقًّا شعر شريف أنه استعاد صديقه القديم لبضع دقائق فلم يُرِد أن يحوّل الأمر إلى عراك أو صراع فكرى بل تركه واتجه نحو منزله بعد أن اطمأن عليه، بينما كريم اتجه إلى غرفته استلقى فيها مرهقًا يبحث عن النّوم الذى لم يَغِب عنه ثوانى رغم ما تجرعه من القهوة؛ فقد كان فنجان القهوة ذلك كفيلاً بدفعه إلى النّوم كرد فعل عكسى لشرب المنبهات.

***

انتهت صباح لتوّها من مهامها فى منزل كريم بعد أن أجرى اتصالاً سريعًا بها قبل أن يخلد إلى نومه طلب منها أن تأتى لتقوم بأعمالها المنزلية وأن تحضر له بعض الطّعام وأخبرها أنه سيترك لها نسخة من المفتاح أسفل الباب، لم تتأخر صباح بل أتت مسرعة، قامت بكل ما طلبه منها، من غسيل ملابس متسخة لا تجد من يقوم بتنظيفها إلى بيت فى حاجة إلى الترتيب ولمسة أنثوية تضاف إليه ومطبخ ممتلئ بالآنية المتسخة تم تنظيفها وتحضير بعض الوجبات الخفيفة لقاطن هذا المنزل يتقوّت منها وقت الحاجة.. أنهت كل ما طلب منها ثم توجهت مباشرة إلى

حمام المنزل لتغتسل من آثار ما قامت به من عمل بل أخذت تتجمل من أجل حبيبها.. نعم؛ فهى تعشق كريم رغم زواجها، هو يعتبرها نزوة وهى تراه حبًّا، بعد أن انتهت من هذا كله تأكدت أن الساعة قد قاربت من الرّابعة عصرًا حيث أخبرها كريم أن توقظه فى هذا التوقيت مخبرًا إيّاها أنه سيغلق هاتفه حتى لا يزعجه أحد.

ارتدت صباح قميصًا أسود يبرز صدرها المثير، قصيرًا، بالكاد يغطى أردافها الممتلئة، فهذا هو أبرز ما يجذب كريم لها، هى متوسطة الطّول قمحية البشرة مع عينين سوداوَين وشعر أسود فحمى وأنف دقيق وفم مماثل، ممتلئة بعض الشىء لكنها ليست فيلاً يتحرك على الأرض من فرط السّمنة، دلفت إلى غرفة كريم الذى استلقى نائمًا يظهر عليه علامات التعب والإرهاق، فما بدر منها إلا أن اعتدلت فوقه جالسة تنظر إليه فى شوق ولهفة، مالت بجذعها إلى الأمام متكئة بثقل نهديها على صدره مطوقة يديه بذراعيها، بدأت فى تقبيل وجهه متلهفة فاستيقظ على شفتيها تقبل شفتيه، وقبل أن يعلم من هى بادلها القبلات، فهو يمتلك منطقًا خاص به (أيما امرأة أرادتنى فعلىّ أن ألبى النداء)، فتح عينيه ليجدها صباح وقد تزينت لتظهر أمامه فى أبهى حللها، فقد اشتاق إليها فلم يرَها منذ أسبوعين على الأكثر:

- إنتى جيتى إمتى؟!

- أنا جيت بعد ما كلمتنى على طول.. كنت فين كل ده، وحشتنى.

- كنت مسافر يا صبوحة؛ كان عندى شغل.

- والشّغل ينسّيك صبوحة كده؟

- ما أنا بقول لك تيجى معايا سفرية أطلعك شرم ولا الغردقة ولا حتى أوروبا وإنتى مبترضيش.

- وأسيب جوزى والعيال لوحدهم.. المهم إنك رجعت تانى والصّبوحة معاك أهيه.

- هى الساعة كام دلوقتى؟!

- الساعة أربعة زى ما انتَ قُلت لى أصحّيك، وبعدين إحنا هنقضى اليوم كله كلام ولا إيه؟

أنهت كلماتها منقضة على شفتيه بشفتيها فبادلها القبلات مرتويًا من رحيقها، إلى أن شعرت به راغبًا فيها فرفعت جذعها عائدة إلى الوراء مُحكمة جلستها من فوقه تعيد شعرها إلى خلفها تداعب صدره بيديها، نظرت إليه فى لهفة ورغبة مليئة بشهوة الأنثى، أحكم قبضتيه على أردافها فمالت بجذعها عليه مقربة نهديها من وجهه تغرقه بينهما متلذذًا هو بتقبيلهما، فانهالت قبلتها عليه وشفاههما تقبّل بعضها ترتوى من عطش الشّهوة، اتخذ قراره بعد أن أثارت كل غرائزه بداخله فقام بوضعها أسفل منه وهو من فوقها، أخذ يرتوى من رحيق جسدها ينهم منه قدر استطاعته، وهى ترتوى من عبق رجولته التى دائمًا ما تشبعها لم يعلما كم مر من الوقت عليهما بعد أن تجرّدا من ملابسهما ووصلا معًا إلى قمة نشوتهما ونالا من الغرام ما روى ظمأهما.. أشعل سيجارة لم يكن من هواة شربها بشراهة لكنه اعتاد شربها بعدما ينتهى من مضاجعة إحداهن، ظلت صباح مستلقية على كتفه وهى تحت تأثير نشوتها تشعر بلذة اللقاء الذى طال انتظاره عليها.

لم تكن تعلم ما سر كل هذا التعلق به وشعورها معه برغبة

مختلفة، فصباح يأتى صباحها دائمًا بين أحضان كريم الذى يعلم جيدًا كيف يراوغها، أخذت تشاركه فى سيجارته مقبّلة إيّاه علّها تحظى بمضاجعة أخرى.

***

أوشكت صباح على الرّحيل بعد أن انتهت هى وكريم من وصلات حبهما فقد تبعا رحلتهما الأولى بثانية لم تقل عنها فى الإثارة أو الرّغبة فى فراش قد امتلأ بكل معانى النّشوة والتلذذ بينهما، عشيقان يتبادلان الحب بكل ما أوتيا من قوة لم يكن بينمها شىء غير مباح، واقعها كيفما يريد هو وكيفما تتلذذ هى، لم يكن بينهما حاجز فقد أقسما معًا على أن ينهلا من بعضهما بعضًا ولا يتوانيا فى أى شىء قد يزيد سعادتهما معًا، تناولا الغداء معًا مما أعدته من طعام هى تطعمه وهو يرتوى من رحيق فمها بعد أن أنهيا غداءهما أبدلت لباسها حتى تعود من حيث أتت محملة بالطعام لبيتها وأبنائها فقد أعطاها كريم منه ما تشتهى، مع مال قد تضطر لعمل فى بيت آخر فى شهر كامل وقد لا تحصل عليه أيضًا.

كل ذلك لم يشغل بالها لكن أكثر ما أسعدها أنه قد لبّى نداءها وأعطاها من الحب ما ترضى، أحاطت رقبته بيديها محتضنة إياها، طبعت قبلتين على كلتا وجنتيه اتبعاهما بلقاء بين شفاههما ودّعته فى حب وودعها فى سعادة فللآن لا يعلم ما سر تعلقه بها، فهى غير كل النّساء أمامه يشتاق لها ويسعى دائمًا لحبها، قد يكون هذا لبساطتها أو لأنها حقًّا تحبه، يعلم أنه يعطيها من المال أكثر مما يستحق عملها لكنه يعلم أنها تعطيه من الحب أكثر مما يُرضيه.

بحث عن كاميرته الخاصة وبدأ فى عمله، أفرغ محتوياتها على اللاب توب الخاص به وبدأ فى مشاهدة ما تم تصويره مع تدوين بعض الملاحظات فى مفكرته مستعدًا للقاء الليلة فيجب أن يكون قوى الحجة أمام الباشا حتى لا يرى من الغضب ما لا يهوى، انغمس فى عمله وفجأة تذكر شيئًا قد غاب عن خاطره، قام متلهفًا يبحث عن ملابسه إلى أن وجد سترته فأخرج منها تلك الرّقعة الصّغيرة من البردى التى اختلسها وأخذ ينظر إليها وقد بدا على وجهه علامات السّعادة والدهشة وبدأ يحلل ما فيها من كلمات، علّها تجيبه عن شىء ما..

***

منزل عمران.. الثّامنة مساءً..

أمر عمران باستدعاء عتمان من جديد بغية أن يعلم منه ما يخفيه.. انتظر حتى يهدأ لكى لا يحدث بينهما صراع فمهما بلغ الأمر من تعقيد فعتمان هو رجله الوفى الذى يخرج له الكنوز من باطن الأرض..

أتى عتمان فى هيئة لم تختلف كثيرًا عن تلك التى كان عليها وقت رحيله من غضب وأسى ونظر إليه عمران مبتسماً ساعيًا لبدء الحديث بشىء من الود بينهما:

- إيّاك تكون لسّه واخد على خاطرك منى يا عتمان؟
- لا يابا الحج، ما عشت ولا كنت عشان أعمل إكده.
- أُمّال مالك يا ولدى جُل لى على اللى جواتك طمّنى عليك.

- مفيش يابا الحج أنى كل اللى أجدر أجوله جُلته..

- ماشى يا ولدى صادق فى كلامك ومصدّجك كمان وبعدين انتَ راجلى وش الخير.

- أهاه يابا الحج أديك اللى جُلت إنى راجلك وإنى جلاب الخير يبقى تزعل منى ليه؟!

- بس بردك يا ولدى انتَ لسّه جايل إنك جُلت اللى تجدر تجوله يعنى معناة ده إن لسّه فيه كلام متجالش.

- (متلعث رد عليه عتمان): هاه أنى جُلت إكده؟

- إيوه يا ولدى متخافش أنى مش هزعل منيك ولا حاجة؛ إنتَ بس احكى لى عشان ميبقاش شكلنا عفش جُدّام الكُبرات.

- والله يابا الحج أنى مانى خابر أجول إيه ومش خابر إذا جُلت إنتَ هتصدّجنى ولا لاه..

- هو إيه اللى انتَ مش خابره يا ولدى جُل لى وطمّن جلبى متجلجنيش عليك.

- بص يابا الحج.. كل اللى أجدر أجوله إن الأستاذ كريم كلامه صح..

- (قالها عمران بحدة): عاتجول إيه؟ الرّاجل كلامه صح؟

- أيوه يابا الحج كلامه صح. بس...

- بس إيه يا ولدى؟ انتَ كده هتخلى شكلنا عفش جُدّام النّاس.

- اسمعنى الأول يابا الحج.. أأأ.... أنى...

- إنتَ هتتهته لى.. مالك يا ولدى؟

- بصراحة كده أنى متاخد عليّا عهود.

- (نظر إليه عمران مرتعدًا): يعنى إيه يا ولدى؟

- يعنى أنا اتسمح لى افتح اللى فتحته وأجول اللى جُلته بس أكتر من إكده ماجدرش يابا الحج.

جلس عمران فى ريبة من حديث عتمان، فإن صدق فيه فهذا يعنى أن الأمر خطير، فعتمان ليس بالرّجل الهين فى عالم الجان حتى تؤخذ عليه عهود كتلك فى فتح مقبرة ما، أو أن يكون بهذا الوهن والضعف الظّاهر عليه، فتروّى قليلاً مفكرًا ثم عاود حديثه من جديد مع عتمان:

- خلاص يا ولدى.. جوم انتَ دلوجيتى ويحلها حلال.
- يعنى مش زعلان منى يابا الحج؟
- لاه، انتَ ولدى وأنا مارضالكش بضرر، وطالما انتَ شايف الموضوع إكده يبجى خلاص..
- يعنى إيه يابا الحج؟
- مش عارف يا ولدى.. بس جوم انتَ على دارك دلوجيت والصّباح رباح.

لم يفكر عتمان كثيرًا بل انصاع إلى أوامر عمران مغادرًا المكان متجهًا إلى بيته شاعرًا بالعار، فإنه ولأول مرة منذ عمله مع عمران يبدو أمامه ضعيفًا هكذا، لكنه يعلم أن الحمل ثقيل وأن تلك المقبرة مختلفة عما قبلها، تذكر كل محاولاته لإثنائهم عنها لكنه فتحها فى النّهاية، ولم يكن يعرف أنها مجرد بداية لكل ما سيأتى بعد...

أما عمران فلم ينتظر كثيرًا.. اتصل على الفور بالباشا مخبرًا إيّاه بكل ما حدث مرتجيًا منه السّماح والصّفح عنه وعما ارتكبه عتمان من خطأ، على الجانب الآخر استمع الباشا فى هدوء وبكل رويّة مُبديًا تفهّمه للأمر واعدًا عمران بإيجاد حل سريع للأمر،

مطمئنًا إيّاه ألا يقلق وأنه سيجد الحل الأمثل لهذه المشكلة..

***

فى عالمها الآخر عادت صباح من بيت أحلامها مع كريم إلى حقيقة واقعها، بيت فى مساكن الزّلزال التى أعطتها الحكومة للمتضررين أشبه بالعشوائيات أو أسوأ حالاً، فهذا هو المسكن الذى دبره لها زوجها للحياة فيه رفقة والدته التى ظلت معهم لستة أعوام قبل أن تصعد روحها إلى بارئها، فزوجها عامل بسيط، يومًا يعمل وآخر لا، اضطرت للعمل هى الأخرى لتلبى طلبات منزلهما، لم يكن يعارض لضيق ذات يده، عادت لتوها من بيت يغدق عليها بالمال والحب وكل ما تشتهى لكنها لا تظهر أيًّا من هذا، أعطت زوجها مائة وخمسين جنيهًا وادعت أنها ما تحصلت عليه من عمل اليوم، فرح بها زوجها مع وجبة طعام للأسرة بأكملها لم يتعب فيها فى شىء، بينما دست قرابة 2000 جنيه بين ثدييها استعدادًا لوضعها فى اليوم التالى فى حسابها البنكى الخاص، أهداها إيّاه كريم واضعًا لها فيه مبلغًا ليس بالقليل يحرص دائمًا على أن يودع فيه كل فترة من المال ما يكافئها به بخلاف ما تتقاضى من مال، علمت فى آخر زياراتها للبنك أن رصيدها قد قارب 300 ألف جنيه، لم تكن تعلم سر هذا كله من كريم تجاهها ولا هو حتى يعلم سر ما يفعله معها، لكنها أحبته حبًّا جمًّا، خصوصًا عندما عرض عليها مرة أن تطلق نفسها من زوجها وأن يتزوجها هو، حتى وإن كان هذا مجرد هذيان تحت تأثير نشوتهما فى مرة جمعهما الفراش إلا أنها سعدت بما طلب، لكنها عادت لواقع بيتها وأهلها وأطفالها فلم تكن تقدر على فراقهم حتى وإن كان من أجل من أحبت قانعة بلحظات من

السّعادة تختلسها من عمر الزّمن معه راضية بكل ما يغدق به عليها من حب، أمّا المال فقد تركته لمستقبل لا تعلم عنه شيئًا، متخذة قرارًا فى أعماق نفسها أن هذا المال من أجل أبنائها فقد يقولون يومًا أمنا لم تكن تنسانا حتى وإن فعلت هذا على حساب شرفها لكنها ترى أن عرضها يهتك كلما اقترب منها زوجها وليس من قبل كريم فهكذا زيّن لها الشّيطان إفكها.

تركتهم يأكلون وتأملت نظرات السّعادة بين أعينهم متجهة إلى حمّام منزلها الضّيق بعكس ما كانت فيه من رحب فى بيت كريم تأخذ حمامًا علّه يطهرها مما ارتكبت من إثم تتحسس كل بقعة فى جسدها وتتذكر ما قضته من وقت مع كريم تتلذذ بما فعله معها، تفتح عينيها فتتذكر واقعها لتغلقهما مسرعة عائدة إلى أحلامها.

***

قاربت السّاعة العاشرة مساءً عندما وصل كريم لقصر الباشا، فرغم أنَّ كريم يقطن فى منزل رحب بحديقته الخاصة مكون من طابقين فى هذا الكومباوند السّكنى الرّاقى فهو بمنزله هذا إن قارنه بقصر الباشا فهو يكون بمثابة النّملة التى تتحدى الفيل، يعرف قدره الحقيقى لكنه يمتلك ثقة كبيرة فى نفسه، فى كل مرة يتأمل تحفة التصميم المعمارى لهذا المكان ويعلم جيدًا أنه قد يكلفه ثروته كاملة وأكثر منها بكثير إن فكر فى يوم ما أن يمتلك مكانًا مماثلاً.

لم يخطئ حَدْس كريم، فقد علم مُسبقًا أنه سيجد سميح قد سبقه بوقت كافٍ؛ ليروى ما حدث فى تلك الرّحلة المشئومة التى

لم تنتهِ كما أراد، نظر إلى سميح مبتسماً فقد قرأ كل ما فى عينيه من ارتباك موجهًا حديثه له:

- إنتَ صحيت إمتى؟
- (رد سميح مرتبكا): ها.. صحيت إيه؟
- مش إنتَ لمّا وصّلتنى الصّبح قلت لى هتروح تنام؟
- آه، رُحت نمت زى القتيل قمت على الساعة خمسة كده..
- وبعدين جيت للباشا تحكى له اللى حصل قبل ما أنا آجى..
- فيه إيه يا كريم؟ مش وقته الكلام ده الباشا زمانه على وصول.
- أمّال هو فين يعنى؟
- مفيش، كان معايا وجاله تليفون قام يرد عليه.
- طيب آدينا مستنيين..
- بص.. أنا قلت للباشا إن...
- (أشار إليه مقاطعًا): متقولش حاجة أنا مش محتاج أعرف.

ساد الصّمت بينهما، أبدى كريم لا مبالاة بوجود سميح أو بأنه قد أخبر الباشا بما قد حدث، بينما بدا سميح مرتبكًا متشككًا، ينظر فى ريبة إلى كريم الذى بدا واثقًا من نفسه كثيرًا ربما لديه ما يقوله للباشا يكسب به وده أكثر من سميح الذى اعترف بكل ما حدث للباشا فقد انسال لسانه بكل شىء كدلو مملوء قد سال على الأرض يفرغ كل ما فى جعبته مرة واحدة دونما عناء..

كسر وقع أقدام فريد المرشدى حاجز الصّمت بين كل من كريم وسميح، ارتعد سميح منتظرًا الباشا بينما كريم استقام معتدلاً

لاستقباله بكل ثقة واحترام معًا، ابتسم فريد المرشدى محيّيًا كليهما، وطلب منهما الجلوس، أخذ نفَسًا من سيجاره الغليظ لينفث بعدها دخانه لتمتلئ به الغرفة.. تنحنح سميح معتدلاً فى جلسته فنظر إليه الباشا فى صمت قبل أن يبدأ حديثه معهما:

- الحج عمران كان معايا على التليفون..
- خير بإذن الله يا باشا.. هو فيه جديد؟
- خير يا سميح.. الرّاجل قال لى إنه اتكلم مع عتمان وقال له إن كلام كريم كله كان صحيح.
- هاه، يعنى الحج عمران قال لمعاليك إن كريم صح..
- بالظبط كده يا سميح، بس ده ملوش دعوة بإن اللى عملتوه انتم الاتنين إمبارح كان غلط..
- إحمم.. تسمح لى يا باشا أتكلم؟
- اتفضل يا كريم.. أنا هنا عشان اسمعكم انتم الاتنين.
- تمام.. أولاً، أنا عارف إن اللى أنا عملته غلط وعارف برده إن الآثار اللى لقيناها دى تساوى، وتساوى كتير كمان.. بس عارف برده إن اللى فى دماغى صح وده اللى اتأكدت منه النّهارده.
- وهو إيه اللى صح؟
- بص يا باشا.. اللى اتفتح ده مش أكتر من بوابه مدخل لمقبرة كبيرة.. مبدئيًّا أنا أتوقع إن فيها أكتر من اللى إحنا لقيناه، ولو مكانش فهيكون على الأقل قده، ودى يا باشا هتبقى أكبر مقبرة فتحناها فى تاريخنا كله..
- أمم.. طيب هأفترض إن كلامك ده صحيح.. إيه اللى يخلى عتمان ميقولش كده..

- ده بقى اللى أنا مش عارف أفسّره معاليك، بس لما راجعت الحاجات اللى أنا صوّرتها لقيت فيه اللى بيأكد كلامى إن لسّه المقبرة الأصلية ماتفتحتش، وإن ده مجرد تمويه.. كمان يا باشا لقيت حاجات تانية تعد اكتشافات أثرية فى حد ذاتها، يعنى مثلاً إن المقبرة دى تابعة لتنظيم من الكهنة يوازى للمعبد عند الفراعنة، بس تنظيم سرى تقريبًا، والمعبد كان بيشرف عليه.. لحد دلوقتى لسّه مش متأكد بس فيه كتابات بلغات قديمة أنا لسّه مش عارف أترجمها..

- وليكن إن كل اللى بتقوله ده صح هيفيدنا فى إيه؟ إحنا كل اللى يهمنا الآثار اللى هنطلعها بره أيّا كان بقى هى تبع إيه مش مهم.

- بس يا باشا معاليك عارف إن فيه ناس بره بتهتم بالحاجات دى والتاريخ وخلافه وعندهم استعداد يدفعوا فيه كتير وكتير قوى كمان غير إن ده هيعلى من سعر آثارنا اللى هنبيعها..

- هيعلى إزاى يعنى؟!

- أنا أقصد يعلي مكسبنا، لكن عمران ياخد اللى بياخده هو كل مرة، وبعدين برده يا باشا يمكن نعمل من ورا المقبرة دى شغل وتبقى اكتشاف أثرى جديد ودكتور حسين موجود ويشيل الليلة..

- (أخذ تنهيدة طويلة): طيب أنا معاك فى كل اللى قلته.. إيه بقى اللى انتَ بتفكر فيه؟

- ده اللى أنا بأستأذن معاليك فيه، هأستعين بصديق مش تبعنا ومش هياخد حاجة ولو طلب يبقى من نصيبى أو أنا اللى هأدفع.. بس ياريت بس يوافق يساعدنى هو..

- على مسئوليتك يا كريم؟

- رقبتى يا باشا.. انتَ عارفنى..

- مش هتكفيك يا كريم لو حصل حاجة هتبقى رقبتك ورقبته سوا..

- (بامتعاض): متخافش معاليك أنا المسئول..

- طيب، أقول لك بقى اللى عمران قاله ليّا.

- (تدخل سميح): قال إيه يا باشا.. خير؟

- قال إن عتمان أكد كل كلام كريم وقال كمان إنه مش هيقدر يتكلم أكتر من كده..

- إزاى يعنى يا باشا؟

- بيقول عليه عهود وكلام فارغ من ده.

- خلاص يا باشا يبقى اتحلّت.

- إزاى يا كريم؟

- نجيب حد تانى غيره وليكن صابر مثلاً هو راجلنا برده وزيّه زى عتمان وأحسن كمان..

- تمام، ده اقتراح كويّس، ودى مهمتك يا سميح كلم عمران وربّط معاه..

- تمام معاليك، أنا هأكلم عمران وهأرتب معاه الأمور وأشوف صابر برده.

- تمام، قوموا بينا نتعشى سوا..

رغم أنَّ كريم كان متخماً من تلك الوجبة التى تناولها مع صباح فإنه لا يقدر على رفض طلب لفريد المرشدى.. منصاعًا جلس على مائدته التى حملت كل ما لذ وطاب من طعام واستمتع بوجبة العشاء الدّسمة تلك، تبعها حديث بينهم جميعًا فى أمور مختلفة قبل أن يستأذنا عائدين، كل منهم إلى مكانه.

لم يلتفت كريم لكل ما قاله له سميح أثناء خروجهما من تبريرات واعتذارات، مبررًا ما قام به مكتفيًا بالنظر إليه ببرود، فقط تحدث بكلمات مقتضبة:

- تانى مرة يا سميح أمّا أقول لك حاجة ابقى اسمع كلامى فيها...

***

جامعة القاهرة.. العاشرة صباحًا..

عاد كريم مجددًا إلى أسوار جامعة القاهرة للمرة الأولى منذ زمن بعيد، بعد تخرّجه أتى إلى معقل العلم هذا لمرات قليلة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، لكنه اليوم أتى من أجل مساعدة ما، فيبغى أن يساعده أحدهم، شخص شاركه فى حياته سابقًا، لم يكن يعلم هل سيقبل مساعدته أم لا؟ ولم يكن يعرف كيف سيواجهه بعد كل تلك السّنين؟.. اتخذ طريقه الذى يعرفه عن ظهر قلب متجهًا إلى كلية الآثار، أخذ يمر بين طرقاتها يعرف سبيله إلى أين سيتوجه إلى أن توقف فى مكان ما مُوقفًا أحد السّعاة:

- لو سمحت.. فين مكتب الدّكتورة مايا راجح؟

أرشده السّاعى إلى مكتب الدّكتورة مايا، التى لم يجدها فعلم من سكرتيرة القسم أنها فى محاضرة على وشك الانتهاء، ظل فى مكتبها ينتظرها بعد أن تذكره أحد الإداريين بالقسم وطلب له فنجانًا من القهوة فجلس هو فى هدوء ينتظرها، لم يكن يعرف

كيف ستقابله بعد كل تلك السّنوات، نعم التقيا بعد فراقهما بضع مرات لكن على سبيل المصادفة (فلا تعتقد أبدًا أنك إن أنهيت علاقة ما فإنها قد طُمست للأبد فيومًا ما ستقابل أحد أطرافها ليس فقط فى الحب بل فى كل شىء فى الحياة).

أخذ يرتشف بضع رشفات من فنجان القهوة أمامه، يدرس كل الأمور فى عقله باحثًا عن ترتيب منطقى للأمر، فأولاً سيلتقيها بعد مده ليست بالقصيرة، وثانيًا سيطلب مساعدتها وفى أمر غير شرعى، يعى أنها قد تنهى حياته كلها، لكنه يعلم قدر حبّها له وحبّه لها ويعلم أنها لن تشى به أبدًا، نعم لم يلتقيا لكن كانا دائمَى التواصل على الأقل فى المناسبات ولو بشكل روتينى.. ازداد شروده وتفكيره فى تلك الآونة إلى أن دلف أحدهم إلى المكتب فتعرف عليه سريعًا:

- إيه المفاجأة السعيدة دى؟ كريم باشا بحاله هنا!!
- (اعتدل محيّيًا إيّاه): أهلاً دكتور صلاح.. إزىّ حضرتك؟
- أنا تمام الحمد لله، بس دكتور إيه يا عم إحنا هنا لوحدنا يبقى تقول لى "أبو صلاح".

سبق صلاح كريم فى الكلية بسنتين وتعين معيدًا فيها ودرّس لكريم فى سنته الدّراسية النّهائية لكنهما حظيا بعلاقة صداقة أو زمالة آنذاك، لم يلتقيا منذ مدة بعيدة إلا أنهما فى الآونة الأخيرة قد جمعتهما الأقدار عندما تصادف لقاؤه مع كريم فى إحدى الرّحلات السّياحية الخاصة بشركة كريم فما بدر منه إلا أن أعاد له ما دفعه من رسوم، رفض صلاح الأمر فى البداية لكن إصرار

كريم جعله يرضخ فى النّهاية، مستعيدًا أمواله التى دفعها، مستمتعًا برحلة ترفيهية مجانية، والتقيا بعدها بضع مرات وجمعتهما بعض المناسبات الاجتماعية الرتيبة.

- ها، مقُلتليش، بتعمل عندنا فى الكلية إيه؟
- لا، مفيش كنت جاى للدكتورة مايا..
- آه يا عم، هتعيد الذى مضى بقى..
- أعيد إيه؟ وبعدين مش هى متجوزة؟
- لا، ما جوزها (الله يرحمه) اتوفى من سنة تقريبًا أو أقل شوية.
- لا حول ولا قوة إلا بالله.
- ليه؟ هو أنت متعرفش ولا إيه؟
- لا، أول مرة أعرف منك دلوقتى.
- خير.. المهم شغل ولا حاجة تانية.
- لا والله، شغل يا دكترة استشارة تاريخية يعنى..
- طيب، تمام يا سيدى، ولو احتجتنى أنا موجود ولو إن أنا أولى بالشُّفعا من الأول.
- لا والله مش كده، بس انتَ عارف مايا متخصصة فى اللغات القديمة وأنا عاوزها فى حاجة قريبة من المجال ده.
- ماشى يا سيدى، عمومًا أنا موجود.. عندى بس اجتماع صغير فى مجلس الكلية وراجع تانى.. ومايا قُدّامها عشر دقايق تقريبًا وتخلص محاضرتها وتيجى على طول.
- تمام يا أبوصلاح، وأنا لو احتجت حاجة هقول لك على طول.
- ماشى يا ريس، هستأذنك أنا بقى.

ذهب صلاح إلى مكتبه الذى زامل به مايا فى تلك الغرفة أخرج

منه بعض الأوراق ثم توجه إلى خارج الغرفة متجهًا لاجتماع مجلس الكلية المزعوم.

رغم أنَّ الدّكتورة مايا راجح صغيرة سنًّا على حصولها على درجة الأستاذ المساعد إلا أنها مجتهدة ودؤوبة فى عملها الجامعى، دراستها متخصصة فى مجال الفن والمصريات القديمة، هى الآن فى الخامسة والثّلاثين من العمر فهى تزامل كريم عمره يومًا بيوم، هو حب حياتها الوحيد لكن لم يكتب لتلك القصة النّجاح وهما لم يعرفا لماذا إلى الآن، وجهت بعدها كامل تركيزها فى عملها إلى أن تزوجت عندما قارب عمرها الثّلاثين تحت إصرار من الأهل...

لم يخرج زواجها عن الإطار الرّوتينى لكن قدرها أوقعها فى رجل أعطاها كل ما يملك من حب وعطاء وإخلاص، لكنه لم يُنسِها كل ما فات؛ فالقلب دائمًا ما يشتاق إلى الحب الأول، شعرت معه بالسعادة الحقيقية، بادلته الحب والإخلاص، رزقهما الله بابنتهما الوحيدة.. ثم تُوفي زوجها منذ عام إثر حادث؛ خيّم عليها الحزن وعادت من جديد تركز فى عملها لكنه أصبح فى المرتبة الثّانية بعد ابنتها العزيزة..

أنهت محاضرتها وأوقفها بعض الطّلاب والطالبات يستفسرون منها عن بعض الأمور فهى محبوبة فى أوساط طلابها لتواضعها وتعاملها معهم كإخوة صغار وأيضًا لعلمها وجهدها الكبير فى العمل، تتشح بالسّواد فى زيها، بدلة رسمية سوداء فضفاضة وقميص أبيض، مع حجابها الذى تزين به رأسها، عيناها خضراوان مع بشرة بيضاء تَسُر النّاظرين، وفم مبتسم دائمًا يجعلك راغبًا

فى قطف رحيقه، وأنف يعلوه فى تناسق بديع، مع غمّازات على وجنتيها وذقنها تضفى على جمالها جمالاً، لكنك أبدًا لن تغفل لمسة الحزن تلك التى تكسو ملامحها..

أنـهت حوارهـا مـع طلابها عائـدة نحـو مكتبها، ليخبرهـا أحـد الإداريـين أن هنـاك أحـد ينتظرهـا فـى مكتبها منذ قرابة نصف الساعة، توجهت إلى المكتب تتساءل من يكون.. دار فى خلدها كل من يقطنون الكرة الأرضية إلا واحدًا.. عندما رأته لم تخطئه عينـاها أبـدًا حتـى وإن لم يرَها هو بعد، فكيف تخطئ فى من أحبته طيلة السّنين، ومن ظلت راهبة لفترة على ذكراه، أبدًا لم تشعر تجاهه بأى نوع من أنواع الغبطة أو الحقد أو الأسى على الفـراق، فراقـهما خـاص بهما أمـر مبهم للجميع لم يفـهمه أحـد غيرهما، وهما لم يفصحا به لأحد...

هندمت من زيّها قبل أن تدلف إلى مكتبها متنحنحة فى دخولها بعد أن سعت جاهدة لتتمالك أعصابها وأن ترتب فى عقلها بعض الكلمات لتتلوها على مسامعه، التفت هو إليها سريعًا، لم يخطئها ولم يخطئ عطرها يومًا، ارتسمت على وجهه ابتسامة صادقة لم يصادف مثلها منذ وقت طويل:

- إزيّك يا مايا؟!

- أنا بخير الحمد لله.. إيه المفاجأة الحلوة دى؟ عامل إيه يا كريم؟!

- الحمد لله كويس.. البقية فى حياتك؛ معلش ولو إنها متأخرة..

- فى حياتك الباقية بس انتَ عرفت منين؟!!

- هااا، من صلاح.. دكتور صلاح، كان قاعد معايا من شويّة..
- هو مش هيبطل عاداته فى الحكايات دى؟
- حاولت أعرف أخبارك منه قدر الإمكان.
- (فى خجل وارتباك): إيه؟ هو انتَ بتشوف صلاح؟
- مش كتير، مؤخرًا كام مرة كده يعنى.
- تمام، عمومًا مش موضوعنا.. قالوا ليّا إنك عاوزنى.
- هو أنا معطلك عن حاجه؟!
- لا، أبدًا، بس مستغربة الزّيارة.. يعنى مش متوقعة.
- عندك حق، أنا نفسى مش عارف أبدأ إزاى!!
- ابدأ عادى من آخر الكلام بيكون أريح.
- (بتنهيدة طويلة): طيب أنا النّهارده جايلك فى شغل محتاج مساعدة منك بصفتك العلمية..
- وأنا تحت أمرك.. اتفضل قل لى فيه إيه.
- بس مش هينفع هنا.
- ليه؟ هنا مكان الشّغل.
- وأنا مش جاى أسألك سؤال تاريخى عامل ليّا إرباك ولا حاجة
- أمّال إيه بالظبط؟
- أنا جاى أستشيرك فى حاجة ممكن تغير مسارك العلمى كله وتغير حاجات فى التاريخ فى حد ذاته.

أنهى كلماته الأخيرة بجديّة كبيرة لا تخلو من أىّ نوع من أنواع الحذر والحزم.. أثار هذا الارتباك والفضول فى نفسها، فقد شاركته دائمًا وجهات نظره فى العلم سابقًا ودائمًا ما أُعجبت بفلسفته الخاصة، زد على ذلك الآن جديته وقدومه المفاجئ؛ فأخذت تفكر قليلاً مدركة أنها فى النّهاية سترضخ له..

***

"نور"، هى أكثر النّساء تعاسةً فى حياة كريم.. نعم، فهى من تحملت عبء أن تكون زوجته، قدمت كل شىء، بذلت من أجله الغالى والنّفيس، قدمت ما لم يعلم به، فأقصى ما تقدمه المرأة هو حبها وإخلاصها وكبرياؤها وكرامتها من أجل زوجها أو حبيبها وهى قد فعلت كل ذلك معه لأنها أحبته..

قدمت كل ذلك وهى تعلم أن قلبه ما زال معلقًا بغيرها، تعلم أنه كل يوم يخونها مع امرأة أخرى لكنه لم يكن يعلم أن هناك من بين النّساء من سيتحمله مثلها حتى وإن كانت مايا التى أحبها وأحبته، لكن الزّواج مختلف فلو تزوجته هى لما تحملته كما فعلت نور معه لكنها فى النّهاية لم تجد إلا الانفصال حلاً لكل ما ألم بها من أوجاع معه.. رأت أن هذا الأفضل من أجل ابنتها؛ ف "مريم" هى السّبب الوحيد لبقائها على وجه الأرض تحيا بين البشر بعد كل ما ألمّ بها..

جلست تُعِدّ ابنتها وتزينها، فاليوم هو الموعد التقليدى لقدوم كريم فى إجراء روتينى اعتاده هو من أجل رؤية ابنته والخروج معها قليلاً، حتى لو أنه يحبها أكثر من أى شىء فى الدّنيا وهذا حقيقى فإنه لم يُعطِها ما تستحق ولم يكرم أمها يومًا من أجلها على الأقل...

مريم هى ملاك يسير على الأرض، فتاة يحلم أىّ منا أن يكون أبًا لها ولو لساعة واحدة، مع عينين زرقاوين ورثتهما عن أمها، وشعر ذهبى يتدلى على كتفيها، وبراءة الأطفال تطل من بين ناظريها، فى الخامسة من العمر لم تعلم لم كل هذا البعد بين الأبوين ولم

تفطن له بعد لكنها تحب كليهما بشدة وقد يزيد حب كريم أكثر فلا تتعجبوا فمن غاب ازداد حبه فى القلب فما بالك بأب يحبّك حقًّا حتى وإن توانى فى حقك، وزد على كل ذلك أننا نتحدث عن ملاك صغير أقصى مشاكلها فى الحياة هو الذهاب لحضانتها وأعباء الواجبات من الرّسوم وغيرها...

أمّا أمّها (نور) فقد امتلكت من الجمال ما تتغنى به بين النّساء. نعم، كريم عشق مايا لجمالها لكن نور لا تقل عنها فى الجمال شيئًا، لكل منهما سحره الخاص؛ نور ذات العيون الزّرقاء والشّفاه المثيرة والشّعر الذى ينسال كسلاسل الذهب إلى أسفل ظهرها، زد على ذلك نعومة فى الإحساس وإرهاف فى الحس مع قدرة كبيرة على الوفاء والإخلاص، امرأة إن شاهدتها وعلمت أنها مطلقة لانهلت بكل سباب الدّنيا على من قام بهذا الجرم الفاحش وترك تلك الزّهرة الفاتنة..

لكنها عاكفة على حب ابنتها التى تجلس فى منتهى السّعادة فقد وعدها والدها بخروجة مميزة هذه المرة رغم أنَّه لم يتصل بعد أو يؤكد قدومه من عدمه كما اعتاد أن يفعل كل مرة..

- مامى.. هو بابى جاى النّهاردة؟
- إن شاء الله يا حبيبتى.
- بس هو مش كلمنى!!
- ممكن يكون بيعمل مفاجأة لمريومة حبيبة قلبه.
- مفاجأة!! هو قال لك حاجة؟
- مممممم.. مش هقول لك.

- لا يا مامى.. قولى لى قولى.
- لأ، بابى يقول لك هو؛ دى مفاجأته هو.

لم تكن تعرف ما تقوله لابنتها الصّغيرة فهى تتمنى من كل قلبها أن يحضر كريم حتى لا ينفطر قلب ابنتها الصّغيرة وأيضًا هى تشتاق لرؤيته حتى وهى تعلم أنه لم يعد من نصيبها بعد، لكنه الحب وما يفعله فى القلوب...

***

لم تكن تدرى "مايا" ما تجيب به عندما أنهى كريم حديثه فى سرد عمله الجديد لها، فلم تكن تتوقع أن ترى حبيبها فى مثل هذا الموقف، وهذا العمل غير الشرعى، خصوصًا أنه ظل مثلاً أعلى لها فى الشّغف بالتاريخ والآثار، رأت شخصًا على النّقيض من ذلك بعد أن وافقت على أن يذهبا معًا إلى أحد المطاعم ليروى لها فى أىّ أمر يريدها فانتظرها حتى تنهى عملها فى الكلية لكنها لم تكن تتوقع تلك الصّدمة التى تمر بها الآن..

- استنى استنى.. قبل ما تكمل أى حاجة، انتَ شغّال فى تهريب الآثار يا كريم.. انتَ!!
- مش تهريب آثار ولا حاجة يا مايا، بالراحة بس كده وافهمينى...
- أفهم إيه؟ أفهم إن كريم صاحب النّظريات الفلسفية التاريخية بقى دلوقتى وبكل فخر واحد من مهربى الآثار...
- مايا بالراحة شوية كده.
- بالراحة إيه يا كريم؟ انتَ عارف انتَ بتقول لى إيه؟

- حبيبتى.. اهدى شويّة صغيرين وأنا هأفهمك كل حاجة..

هذه الكلمة العفوية (حبيبتى)، التى خرجت من بين شفتيه والتى اعتـاد أن يناديها بها منذ سنوات مرت لم تكن تلك المرة بهذه البسـاطة بـل أصـابتهما بارتباك، خجـل تمكن منها فى مقتل مع حُمرة قد ملأت وجهها وكأنها تسمعها منه للمرة الأولى، وهو قد شـرد متأملاً فيها ولـو للحظات.. حـاولت أن تستجمع كل قواها متماسكة الأعصاب وبأقصى درجات ضبط النّفس كأنها فى بيان مهيب يلقيه أحد مسئولى الحكومة:

- عاوز تفهمنى إيه يا أستاذ كريم؟

- أستاذ!! ماشى يا دكتورة مايا سواء كنتى موافقة على شغلى ده ولا لأ لكن أنا جاى ومتأكد إنك مش هتؤذينى..

- ليه؟ ومنين جبت كل الثّقة دى؟

- مش مهم ليه ومنين، المهم الموضوع اللى أنا جاي لك فيه.. أنا كنت فى مقبرة من يومين بس مقبرة غريبة جدًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى..

- إزاى غريبة؟ من أنهى وجهة نظر؟ متنساش إن المقابر متعددة الأنواع.

- طيب، عمرك سمعتى أو قرأتى فى أى مرجع أو كتاب أو أى حاجة عن تنظيم من الكهنة موازى لقوة المعبد وبيشتغل فى السّر وتحت إيد المعبد فى الوقت نفسه..

- لأ طبعًا، بس بـرده متنسـاش إن كـل حاجـة كانت تحت إيد المعبـد، يعنـى الحكمـاء والمفكـرين والمعماريين والأطباء كلهم كانوا تحت إيده، فممكن يكون مقبرة لحد من الطّبقة دى.

- لأ، أنا بأقول لك تنظيم سرى لحماية أسرار العلوم المصرية موازى للمعبد وفيه بينهم وبين المعبد تواصل.

- لأ، أنا عمرى ما سمعت عن حاجة زى دى.

- طيب، شوفى كده البردية دى..

أخرج من جيبه تلك الرّقعة الصّغيرة التى احتفظ بها منذ كان فى المقبرة ثم أعطاها إيّاها، أخذت تتأمل فيها بكل دهشة واستغراب حتى إنها ارتدت نظارتها الطّبية المخصصة للقراءة وبدأت فى تفحصها بكل عناية:

- انتَ لقيت دى فين؟

- مش مهم لقيتها فين.. لكن الأهم إيه رأيك فيها؟

- رأيى إنها ملهاش مثيل.. يا تكون مزورة يا تكون بوابة لعالم جديد فى التاريخ...

- تمام قوى كده.. أنا بقى عاوزك تاخدى الفلاش ميمورى ده وتتفرجى على الفيديوهات اللى أنا مصورها عليه شوفيها وقولى ليّا رأيك..

- إيه؟ انتَ عاوزنى أشارك فى الجريمة دى؟

- لأ، دى مش جريمة، ده اكتشاف أثرى وأوعدك يكون اسمك فى قائمة أوائل المكتشفين.

- ده طبعًا بعد ما تنهبوا اللى فى المكان ده..

- مش وقته يا مايا.. أنا بجد محتاج مساعدتك وعاوزك تشوفى اللى أنا شفته وأوعدك مش هتندمى.. لا، دا إنتى هتبقى ملهوفة زيى كده.

- ماشى يا كريم.. أنا هأساعدك بس عشان الزّمالة اللى بيننا وده

مش معناه إنى موافقة عليه..

- تمام، بس بشرط محدش تانى يعرف عن الموضوع ده..

- هو أنا مجنونة أودّى نفسى فى داهية؟ هو انتَ مش خايف على نفسك ولا على بيتك..

- بيتى!! هو فين بيتى؟.. آه، مريم!!

- مين مريم دى؟

- دى بنتى.. تصدقى نسيتها لازم أروح لها عند مامتها النّهارده معاد خروجتها معايا.

- خروجتها هى مش فى بيتك!!

- لا، أصل أنا ووالدتها منفصلين.. ده موضوع طويل هاشرحه لك بعدين.. قومى بينا دلوقتى أوصّلك ونتكلم فى الطّريق..

***

مساكن الزّلزال.. الرّابعة عصرًا..

ظلت صباح طيلة النّهار تجوب أرجاء القاهرة فى شرود فقد أخبرت زوجها أنها ذاهبة لإتمام عمل فى بيت ما ومكث هو هذا اليوم فى البيت بلا عمل مع أبنائهما، بينما توجهت هى إلى البنك الذى يدخر لها كريم فيه المال لوضع ما أعطاها إيّاه أمس، لم تضع كل المال بل أخذت منه خمسين جنيهًا لتخبر زوجها أن هذا ما تحصلت عليه اليوم، وتعمدت أن يكون أقل من مبلغ الأمس حتى لا يتذمر ثانيةً من ذهابها إلى بيت كريم الذى يُغدق عليها بالمال...

أنهت ما ذهبت لأجله ثم خرجت وتناولت وجبة شهية فى أحد المطاعم المتوسطة فلم تكن بهذا الغباء لتبذر ما لديها من مال،

بعدها أخذت تسير على غير هدى تشرد فى حالها تارة وفى بيتها وأبنائها الصّغار تارة وفى حبها لكريم تارة أخرى إلى أن أتى وقت العودة فقد أُرهقت واستغربت عدم سؤال زوجها عنها وهاتفه المغلق الذى لا يجيب عليها أبدًا...

أوشكت على الوصول لكنها دُهشت من هذا العدد الكبير من السّيارات فى مدخل شارعها، وما زاد تلك الدّهشة سيارات الشرطة والمطافى والإسعاف، دار بخلدها كل شىء؛ أحريق شب فى الدّاخل أم أنها حملة أمنية لإلقاء القبض على بعض المطلوبين.. كل شىء دار فى خلدها لثوانٍ معدودة إلى أن تذكرت شيئًا مُهما أن هذا هو شارعها فقد يكون شىء قد أصاب منزلها...

اتجهت مسرعة فى طريقها إلى مسكنهم المتواضع تسمع صرخات النّساء تتعالى، كلما تقترب ترى أمام عينها الحقيقة، إنه انهيار لأحد العقارات المتهالكة فى تلك المنطقة رغم كل ما تقدموا به من شكاوى إلى المسئولين حتى مع قدوم هذا الإعلامى الشّهير وتصويره حلقة كاملة فى برنامجه الأسبوعى المشهور تحقق فيها من كل شكاواهم وسعى لإيصال صوتهم إلى المسئولين، وكان ل "صباح" ال شرف أن ظهرت فى حلقته ليست متحدثة ولكنها وقفت خلف المتحدثين بابتسامة بلهاء تعلو شفتيها حالها مثل حال كل من يرى التصوير التليفزيونى فى أى مكان..

لكنها كلما تقدمت خطوة سعت للعودة خطوتين إلى الخلف فلم تكن تريد أن تصدق ما تراه أمامها فهذا هو العقار الذى تقطن فيه

وبصحبته عقاران ملاصقان له زملاء وشهداء على حياة هؤلاء النّاس..

هنا أبى كل منها أن يترك زملاءه بمفردهم فأقسم ثلاثتهم أن يرحلوا معًا بانهيار كارثى أودى بحياة كثير من قانطيها فقد قرروا أنهم لن يقدروا على فراقهم وكأن لسان حالهم لقد بُلينا بكم فى الدّنيا ونحن سنصحبكم إلى آخرتكم.

عندما رأت المشهد أمامها بدأت تعقله ويدور فى عقلها ما هو متوقع ومنطقى.. ماذا عن زوجها وأبنائها الصّغار؟ إنهم الآن تحت الأنقاض بين ذراعى الموت إمّا أنه قد قُبضت أرواحهم أو ما زال يتلذذ بهم لاهيًا قبل أن يخرجهم من الدّنيا. لم يَدُر ببالها أى احتمال آخر لنجاتهم، فالعقل البشرى فى مثل تلك المواقف تقف قدرة استيعابه عند نقطة محددة مهما بلغ حجم معرفته وذكائه، فما بالك بامرأة عادية مثل صباح أقصى حدودها هى أن تخون زوجها فى فراش رجل آخر.

انطلقت تصرخ على غير هدى، كل ما تريده هو إنقاذ أبنائها، هرولت بصرخات الألم والضياع التى تخرج من كل ذرة فى جسدها، تشعر وكأنها أقوى من كل هؤلاء الرّجال وهى التى ستخرج أبناءها، إلى أن اعترضها أحد رجال الشرطة، التقطها بين ذراعيه مبعدًا إياها عن أنقاض ألقاها أحد الحفارات ليلتقطها من بعده نساء المنطقة ومن يعرفها منهن محاولين تهدئتها لكن وإن حدث ذلك فهو فقط هدوء يسبق العاصفة..

***

أجرى كريم اتصالاً ب "نور" يخبرها فيه بقدومه وإن تأخر قليلاً، عرج فى طريقه إلى أحد محال لعب الأطفال، ابتاع لابنته عروسة كبيرة لتضاف لقائمة عرائسها التى لا تنتهى، متذكرًا أيضًا آداب الزّيارة بابتياعه علبة شيكولاتة من أرقى الماركات ليقدمها ل "نور" لحظة دخوله إلى المنزل..

دخلت الخادمة وأخبرت نور ومريم أن السّيد كريم قد أتى بالأسفل وأنه برفقة والدة نور فى انتظار مريم ورؤيتها، وهى لم تكذب حدس أبيها بل هرولت إليه فى فرحة الأطفال وبراءتهم، كالقطار السّريع انطلقت لن تقف إلا فى محطة وصولها تلك المحطة التى اعتادتها كل أسبوع فى نفس الموعد فبقدر عمرها وخطواتها أسرعت المسير فى اتجاه أبيها لا تبالى بهذا الدّرج الذى ينقلها من الأعلى إلى الأسفل فى تلك الفيلا عريقة الطّابع كلاسيكية الطّراز، تصرخ بكلمة واحدة تنادى بها والدها تعبر عن كل فرحتها وسرورها لرؤيته كالسهم لا يوقفه شىء إلا صدر قتيله.. تلقفتها أحضان أبيها الذى هب للقائها عند آخر درجات السّلم بعد أن انطلق هو أيضًا من مقعده متجهًا لاستقبالها فى سعادة متبادلة؛ سعادة الأب عندما يتغنى طفله باسمه فى منتهى الفرحة...

- وحشتنى قوى يا بابى..
- وانتى كمان يا روح بابى.. إيه مفيش بوسه لبابى؟
- (مقبّلة إيّاه): دقنك بتشوّك..
- (مقبّلاً إياها بقوة): وكده بتشوك أكتر ولا لأ؟
- آه، بتشوك يا بابى..

- وإنتى روح بابى.. تعالى بقى وشوفى بابى جابلك إيه..

حملها ليريها ما أتى به حيث تلك العروس الكبيرة التى جذبت انتباهها مباشرة بينما نور ترجلت فى طريقها إليهم فى أبهى زينة وكأنها فى موعد مع حبيبها وليس طليقها، وهو حقًّا حبيبها ودائمًا ما تشتاق إليه رغم كل ما حدث ولا تريد أن تبدو أمامه إلا كأجمل نساء الدّنيا.

- إزيّك يا كريم؟.. حمد الله بالسلامة.
- الحمد لله.. إنتى أخبارك إيه يا نور؟
- بخير..
- إيه الجمال اللى إنتى فيه ده؟
- (بخجل): جمال إيه بقى ما خلاص مريم أخدت كل الجمال.. وبعدين ما كنت بين إيديك.
- وأخبار مريم عاملة معاكى إيه؟
- كوي...
- بابى بابى.. الشيكولاتة دى بتاعة مين؟
- دى بقى بتاعة مامى.
- وأنا لأ (قالبة شفتيها..)
- انتى ليكى العروسة وليكى بابى ومامى وكل حاجة.. وبصى بقى أنا جبت ليكى كمان إيه...

***

ظل سميح قرابة نصف الساعة فى انتظار ولم يتذمر أو يمل فهو من أتى مبكرًا كعادته خوفًا مُسبقًا من حالة قدوم متأخر يوبخه

عليها الباشا، ظل جامدًا فى مكانه يحتسى ما قُدم له من عصير، قلوق كعادته لكنه يعلم أنه هذه المرة قد أنجز ما طُلب منه..

تعمد فريد المرشدى أن يتأخر عليه قليلاً، لا لشىء محدد ولكن تلك هى طريقته فى التعامل، إلى أن أتى الوقت المناسب من وجهة نظرة لكى يقابل فيه سميح الذى تقدم نحو مكتب الباشا فى حذر شديد، فرغم كل ما يتمتع به سميح من خبرة فى هذا المجال وعمله مع الباشا لسنوات فهو ما زال إلى الآن يهابه ويرتبك أمامه وكأنه فى أول لقاء بينهما، أبدى فريد المرشدى انشغاله بتفحص أوراق أمامه على المكتب، مشيرًا إلى سميح بالجلوس، ثم توجه بالحديث إليه دون أن يرفع ناظريه عن أوراقه:

- ها.. عملت إيه يا سميح؟

- كل خير يا باشا، أنا كلمت عمران ورتبت معاه الأمور، قلت له إننا هنجيب واحد تانى من رجالتنا يدخل المقبرة ويشوفها مكان عتمان.

- تمام.. وصابر؟

- كلّمته يا باشا، هو فى مسافر وجاى بكره الصّبح، يعنى هنتحرك بكره.

- مسافر فين؟!

- ما هو سعادتك مع كامل فى الشّغلانة بتاعتهم..

- فكرتنى بيهم.. فيه حاجة تانية؟

- لا يا باشا، كله تمام، بس فيه حاجة بسيطة..

- حاجة بسيطة إيه تانى؟

- عمران، هو طلب إن عتمان يكون موجود.

- طيب مفيش مشكلة، وإنت فهّم صابر الموضوع وكلم كريم وعرّفه الجديد.

- تمام معاليك..

- فيه حاجة تانية دلوقتى؟

- لا يا باشا..

- خلاص، اتفضل انتَ..

انصرف سميح متراجعًا للخلف خشية من أن يدير ظهره للباشا، الذى لم يرفع عينه قط طيلة حديثهما مفتعلاً انشغاله، الذى أسرع فى إنهائه بمجرد خروج سميح من المكتب فأشعل سيجاره وأخذ منه نفَسًا عميقًا ثم نفث دخانه فى سماء الغرفة كعادته وأخذ يفكر مليًا فيما يحدث..

***

لم يشعر كريم بالوقت حقًّا؛ أمران يعشقهما -أو ثلاثة حتى أكون صادقًا- الآثار والنّساء، ومريم يداعبها ويلعب معها رغم أنهما لم يخرجا لكنه فى قمة السّعادة، قضى وقته معها فى حديقة الفيلا التابعة لمنزل والد نور هو وهى فقط وأعين نور تراقبهما فرحة بابنتها وأبيها وراغبة فى العودة لزوج كان فى الماضى أحن النّاس تجاهها..

نعم، ف "كريم" أحبها هى الأخرى رآها الزّوجة التى تلائمه، حب من نوع آخر لكنه حب، فالرّجل أحيانًا يعشق ألف امرأة وكل منهن لها طعمها الخاص، ف "نور" هى نور وبحق تضىء له حياته فى مرحلة ما تحملت معه صعوده فى عمله ومشاغله لكن فى بعض

الأحيان يكون البقاء صعبًا حتى وإن بقى من الحب شيء..

تجنب النّظر إليها، يعلم أنه ظلمها وأيضًا يحبها، جزء منه يرغب فى عودتها إليه وجزء آخر يرفض بشدة، ربما يبررها البعض بأنه الضّمير من أجل ابنته أو من أجل الأيام الخوالى التى تحمّلته فيها، لكن الواقع أنه من أجل حبه لها الذى ما زال يسكن فى قلبه مكانًا، فقلبه يتسع لاثنين ونور ومايا وربما هناك المزيد..

أمّا مريم، هذا الملاك البريء، فهى فى غاية السّعادة، تنظر بفرح وبهجة لكليهما، تقربهما من بعضهما البعض، كل حديث يدور بينهما هى السّبب فيه، يتبادلان النّظرات والضحكات وهى تشعل فى قلوبهما فرحة الأبوّة لطفلة باركها اللّه على الأرض بريئة من كل ذنب لم تدنسها خطايا الحياة بعد...

علا هاتف كريم مرارًا لكنه لم يرد متجاهلاً الجميع مكتفيًا بمعرفة من يطلبه، لفت نظره كثرة اتصال صباح به على غير عادتها فقرر هذه المرة أن يرد عليها:

- استنى كده يا مريومة أشوف مين..
- حاضر يا بابى.
- ألووو... .....
- إيه يا صباح مالك فيه إيه؟ .....
- إهدى كده بس وبطّلى عياط مش فاهم حاجة.. ......
- طب إنتى فين دلوقتى؟ .....
- طيب طيب أنا هاتصرف.. انتى اهدى بس وأنا جايلك.
- خير فيه حاجة ولا إيه؟!

- والله يا نور مش عارف أقول لك إيه.. دى صباح اللى بتيجى تنضف لى البيت بتكلمنى وبتقول لى إن بيتها وقع على جوزها وولادها..

- إيه.. يا ساتر يا رب..

- وهى فى المستشفى ومش عارفة تعمل إيه وملهاش حد فكلمتنى لما اتزنقت..

- طيب وهتعمل إيه دلوقتى؟

- هأضطر أستأذن وأسيب القمر الصّغير ده مع القمراية الكبيرة مامتها وأمشى..

- (باسمةً): طيب، خلي بالك من نفسك وطمّنى.

- حاضر. وانتى طمّنينى عليكى وعلى مريم على طول..

احتضن ابنته طابعًا قُبلة على وجنتيها مودّعًا إيّاها؛ لا يعلم ماذا يخبئ له القدر فى هذه الليلة وما حل بصباح بعد.

***

منزل عمران.. السّابعة مساءً..

أبرم عمران اتفاقه مع سميح الذى سيأتى وبرفقته رجل آخر غير عتمان وسيقوم كريم بإنهاء عمله فى الجزء الموجود الآن على أن يتم استكمال الأعمال على نحو آخر. ولم يكن عمران ليفوّت فرصة ثمينة مثل هذه، فهو يعشق المال ويتلهف لرؤيته مهما بلغ الأمر، لكنه اتفق مع سميح أيضًا على أن يوجد عتمان الذى استدعاه. وجلس عمران يحتسى كوبًا من الشّاى فى انتظار عتمان الذى تأخر اليوم فى القدوم إليه على غير عادته.. أمر ما أصاب عتمان بالرّيبة فللمرة الأولى فى عمله لا يقدر على إنهاء ما

قام به ويظهر أمام عمران بمظهر العاجز هكذا...

هو يعلم أنه ليس بعاجز وأن الكثيرين يتعرضون لمثل تلك المواقف، لكن عتمان مع شهرته تلك وصيته الكبير فى الوجه القبلى لا ينبغى أن يقع فى مثل هذا الأمر هو يعلم فى قرارة نفسه كيف يتم الأمر لكن يعلم أيضًا أنه ممنوع من الحديث بناءً على عهد تبادله فى مقابل أن يقوم بفتح ما تم فتحه الآن ولم يكن يتوقع يومًا أن يأتى أحدهم ليكتشف أن هناك بقية مثل كريم أو غيره..

تنحنح عمران قادمًا يهندم عباءته معتدلاً فى مشيته كمنتصر فى الحرب، فهو قد وصل إلى الحل الذى يرضاه، اعتدل فى جلسته متكئًا على تلك الكنبة البلدى التى تزينها شِلَت من القطن يجلس عليها وأخرى يسند عليها ظهره رافعًا قدميه إلى الأعلى، يمسك بين يديه لى الجوزة التى أعدها سالم، أخذ منها أنفاسًا عدة، ينظر إلى عتمان فى صمت بينما عتمان يجلس وكأن الطّير على رأسه يشتعل غضبًا فى داخله من تلك المعاملة الجافة التى لم يعهدها قط من قبل:

- اسمع يا عتمان.. أنا حليت الموضوع خلاص.
- إنتَ بتتكلم عن جد يابا الحج؟
- أُمّال هأضحّك معاك ولا إيه؟ أنا كلمت الباشا وخلّصنا الموضوع.
- على خيرة الله يا حج.
- بس فيه حاجة إكده صغيرة..

- جول يا حج أنى سامعك.

- سميح وكريم جايين بكره وجاى معاهم واحد تانى هيعمل صنعتك.

- ....!

- بس أنى اشترطت عليهم إنك تكون موجود.

- اللى تشوفه يا حج.

لم يكن عتمان فى موقف يسمح له بالمجادلة أو معارضة القرار الذى توصل له عمران، مكتفيًا بتقديره له واشتراط وجوده فى هذا الموعد...

- إنتَ يا واد يا سالم..

- أمرك يابا الحج.

- عاوزك من النّجمة تنضّف مندرة الضّيوف.. النّاس احتمال يجعدوا يومين ولا حاجة..

***

رغم كل خبرتها وعملها فى الجامعة وسفرها للخارج لأكثر من مرة لدراسة كل ما هو جديد فى "علم المصريات"، وتلك من ضمن الطّرائف والمساخر فى الواقع المصرى أن يتفاخر أستاذ فى الجامعة بحصوله على درجة الدّكتوراه فى التاريخ المصرى القديم من إحدى الدّول الأوروبية وكأن الفراعنة قطنوا بلادهم قبل نزوحهم إلى مصر فارين من الاستعباد هناك، لم يحدث هذا ولكننا نحن من استعبدنا فكريًا لنصل لهذا الحد ألسنا قادرين على أن نكون حتى أسياد أمرنا فيما يتعلق بتاريخنا..

هى تشعر بالضيق والضجر كلما فكرت فى هذا الأمر أو فى أى أمر مماثل أو حتى عندما ينتدب فريق بحثى أوروبى للتنقيب عن مقابر مصرية قديمة ويااللدهشة، للعلم كل تلك الخرائط أغلبها مسجل فى هيئة الآثار فقط فريق أوروبى يتحصل عليها ويعمل على إيجادها بأيدى مصرية خالصة هى من تحفر الأرض و تُخرج ما فيها، بعيدًا عن كل هذا شعرت بشىء مختلف لم تعرف ماذا تقول ما تراه من تسجيلات وصور لتلك المقبرة التى أعطاها كريم إيّاها يربكها. قد يفكر البعض فى اللحظة الأولى أن كل ذلك مصطنع ومقلد بدقة وحرفية عالية لكن ما يبعث فى نفسك الشّك إذا كنت دارسًا للأمر أن التاريخ الفرعونى بأكمله قد دُوِّن بعد انتهاء عصرهم بقرابة سّتة قرون.. يا إلهى، حتى هذا التاريخ قد يكون مغلوطًا؟ لا، ليس مغلوطًا لكنه منقوص، هكذا اتفق أغلب الباحثين والمؤرخين، هناك حلقات فى التاريخ المصرى مفقودة؛ ماذا قبل الفراعنة؟ لماذا انهارت الدّولة الفرعونية؟

كل ما لدينا مجرد قراءات لكن ليس الواقع بحد ذاته فالتاريخ ما زال منقوصًا من شىء ما..

"مايا" سعت لاستجماع كامل قواها والاستعانة بكل ما تملك من خبرة المطالعة لكل ما يفيدها من مراجع والعودة إلى أبرز المواقع المساعدة فما أراها كريم هو حلقة جديدة قد تُحدث طفرة فى التاريخ الفرعونى حتى لو بسيطة قد تؤكد شكوكًا وإشاعات متداولة.. لكن كيف نثبت هذا؟

عادت فجأة لتفكر فى أمر آخر تناسته من هول الموقف، أليست هذه سرقة؟ أليس تهريبًا للآثار والتاريخ؟ كيف نسيت أن تجادل

كريم فى هذا؟ لقد ألهاها العلم وحب التاريخ، ياللبلاهة التى تشعر بها الآن، لكن لم يَفُت الوقت بعد فما زال أمامها الفرصة أما الآن فعاودت لتكمل ما بدأته فى تلك اليلة وما تبدّى لها من أسرار لكن الأمر لن يكتفى بهذا بل يتوجب زيارة تلك المقبرة..

***

"صباح.. ماذا حدث لها؟"، هذا ما يسعى كريم لمعرفته واستيعابه.. مر الآن قرابة أربع ساعات، تعرضت لصدمة من هول المفاجأة أصابتها فاجعة كبيرة، زوج لم تحبه لكنه زوجها وأبناء ثلاثة فلذات أكبادها جميعهم تحت الأنقاض.. ما مصيرهم؟ انهارت من الصّراخ والبكاء، أصيبت بإغماء من الحادث تلقفها نسوة الحى حملنها وذهبن بها.

شعرت بالدّنيا تدور بها، رأسها لم يكن متزنًا، فتحت عينيها فى ألم شديد وكأن كل مطارق الدّنيا تضرب رأسها، رأت هذا السّقف فوقها يطبق على أنفاسها وتلك الوجوه الحزينة والمفجوعة بجوارها ترقد فى سيارة الإسعاف بين جيرانها، الدّق ما زال مستمرًا لكنه ليس فى رأسها بل على بقايا الأنقاض يسعى لاستخراج مَن بداخلها..

تداركت الموقف، عادت إليها ذاكرتها، هرولت مسرعة بالصّرخات نحيبًا على أبنائها، أدركت أنهم ليسوا فى عالمنا بل عادوا لبارئهم، جلست بعينين جاحظتين صامتة لا تعرف ماذا تفعل منهارة فى صمت إلى أن رأت هذا الرّجل يخرج حاملاً بين ذراعيه اثنين من أطفالها فركضت نحوه انتزعتهم منه تستجدى فيهم الرّوح التى قد فارقتهم فى كل ألم تلطم وجهها وتشق ملابسها، لم يلاحقها

الوقت كثيرًا بل رأت رضيعتها الصّغيرة ثالثتهما تخرج من تحت الأنقاض، ضمتها وأطلقت صرخة كبيرة على ما أصابها فهى لم ترَ مثله من قبل..

لم تتذكر إلا تلك الصّرخة عندما استيقظت تلك المرة لكنها ليست فى تلك السّيارة والدق لم يعد مستمرًا والرّكام ليس من حولها، سعت جاهدة لتتعرف على هذا المكان الجديد، عيناها تطل على سقف كثرت فيه الشّقوق وتلك المروحة التى تعمل فى رتابة متواصلة والعالم بجوارها أبيض، كل المارة يرتدون نفس الزّى وكلهم من النّساء فقط، جارتها تلك هى من تتشح بالسواد والكثيرون مُلقَون على أَسِرّة مثلها، لم تحتج كثيرًا لتعلم أنها فى مشفى حكومى تتلقى العلاج كإحدى مصابى الانهيار العقارى...

لكنها أصابها انهيار أكبر من هذا بكثير، سعت جاهدة لترتب أوراقها وتلملم نفسها.. تذكرته، هو أول من أتى على خاطرها فلم يبقَ لها أحد فى الدّنيا بعد، هى يتيمة الأب والأم منذ كانت ابنة الثّانية عشرة، تربت فى منازل الحارة، تزوجت وهى ابنة الثّامنة عشرة، ورزقت بثلاثة من الأولاد لكنها تعرفت على كريم قبل ثالثهم وتعتقد أنه والد تلك الرّضيعة التى وافتها المنيّة، تذكرتها فى أحضانها فدمعت فى صمت وأطلقت عيناها نهرًا من الدّموع لم يتوقف على من فقدتهم اليوم، بحثت عن هاتفها واتصلت به عدة مرات إلى أن أجاب، حدثته فلم يفهم منها شيئًا، فاعتذر من طليقته وابنته وأتى إليها يقف بين يديها.. الآن علم ما أصابها، الأطباء أشاروا إلى أنها تعرضت لحالة من الانهيار العصبى نتيجة الصّدمة. لم يتردد فى الاتصال بشريف، أحد أشهر الأطباء، وسعى لنقلها لمشفاه لكنها أصرت على توديع موتاها...

حضر هذا المشهد الجنائزى المهيب.. كل الأهالى تكاتفوا كأنهم فرد واحد، فالضحايا ليسوا قليلين، سبعة أطفال وسيدتان ورجل، لصباح فيهم نصيب الأسد فالرّجل زوجها والأطفال لها منهم ثلاثة والمصاب جلل لم تدركه بعد، لطمت وانتحبت عندما واراهم الثري بكل ما تملك المرأة من آلة للحزن والبكاء حزنت وبكت إلى أن انهارت هيستريا من الضّحك والبكاء التعاسة والشّقاء... وامصيبتاه وازوجاه.. أبنائى أين أنتم.. كلكم تركتمونى لمن كنت أحيا غيركم؟ لمن فعلت ما فعلت واقترفت الذنوب؟ لمن كنزت المال غيركم؟ أنا السّبب بحوزتى المال فلِمَ لم ننتقل لبيت جديد تركته للمستقبل، فأيّ مستقبل لى بعدكم؟ لم يبقَ لى إلا هو فهل سيتركنى أم أنه سيشعر بحبى له.

الآلام والفراق والبعاد.. كلها أمور شعر بها الجميع يومها لكن ليس مثلها، حتى كريم شعر بها فاحتواها وضمّها أمام الجميع رغم تلك النّظرات التى اخترقتهما إلى أن أصابها التعب وهلك جسدها وخارت قواها، حملها مخترقًا الصّفوف إلى تلك السّيارة التى استدعاها شريف من مشفاه وأودعها فيها..

بقيا بجوارها هو يراقبها بقلب مفطور عليها والآخر يتابعها بعين الطّبيب بعد أن أعلمه بحالها، يجب العناية بها.. لا تقلق يا صديقى سأودعها فى مشفاى حتى تشفى يومين أو ثلاثة على الأكثر اطمئن؛

فكل شىء تحت السّيطرة..

***

فى طريقه، ظل يفكر "ماذا أصابنى؟ هل هو شعور بالذنب تجاهها أو أنها شفقة على حالها أو ربما إحساس بالمسئولية تجاهها من واقع أنها خادمته أم أنه حب دفين فى قلبه تجاهها.. هل يعقل هذا؟

هل أحببتها؟ نعم اشتهيتها وواقعتها أنهل من أنوثتها وأتلذذ بمضاجعتها أعتبرها نزوة لكن ما حدث شىء مختلف فأبدًا لم أكن أميل لامرأة عرفتها من أجل المتعة كما أميل لها "... هذا ما يدور فى خلد كريم.

ظل كريم صامتًا يدّعى النّوم فى الكرسى الخلفى من سيارة سميح الذى تركه هو وصابر فى المقدمة فى طريقهم إلى عمران.

صابر على دراية بالأمر بعد أن أطلعه سميح على ما حدث..

- ها يا صابر، هترفع راسنا قُدّام النّاس ولا هتعمل زى عتمان؟
- عيب عليك يا سميح، هى أول مرة؟ تلاقى بس عتمان ده مخوّخ شويّة..
- أمّا نشوف يا سى صابر.. بس عتمان ده لا مخوّخ ولا حاجة، والشّغلانة دى فيها حسنة حلوة لينا كلنا متضيعهاش..
- هتشوف يا سميح.

فرك صابر ذقنه، كان نحيل البِنْيَة، ذا طلة غامضة، عينين غائرتين فى مقرهما، شعره أسود كثيف، وجهه لا تستطيع إيجاد ملامح محددة له، يرتدى ملابس عادية وكأنه موظف ذاهب إلى عمله فى مجمع التحرير، أما كريم فلم يفارق ناظرى سميح الذى

استرق النّظرات إليه مرارًا فى مرآة السّيارة منتظرًا أن يستيقظ فقد أخذه على حين غرة لم يكن يعلم بالميعاد مُسبقًا لكنه الآن معه ولن يهدأ حتى يُلقى ما فى صدره إليه...

- ما تصحى يا عم كريم..
- خير يا سميح بقول لك كنت بايت فى المستشفى..
- طب فوق لى كده عشان نشوف الشّغلانة اللى إحنا رايحين ليها.. وأفلام المرة اللى فاتت دى سيبك منها وتسعّر الحاجة النّهارده والشّغل التانى تسيبه لصابر..
- وهو انتَ فاكر إن أنا لسه مستنيك على ما تقول لى عشان أسعّر الحاجة، ما خلاص اتسعرت وكشفها راح للباشا وكمان حددنا السّعر اللى هياخده عمران..

تلك المكابح القوية التى ضغط عليها سميح فجأة كادت أن تودى بحياتهم جميعًا لولا أن تماسكت السّيارة وأن السّرعة ليست بمرتفعة، دفعت كريم من الخلف إلى الأمام والتصق صابر بالزجاج الأمامى بينما سميح كادت ضلوعه أن تتهشم نتيجة اصطدامه بعجلة القيادة...

- وإزاى متعرّفنيش بحاجة زى دى؟
- وأعرفك ليه هو انتَ اللى هتدفع ولا مؤاخذة!!
- بس أنا اللى ماسك الشّغلانة..
- خلاص اسأل الباشا هو مقالكش ليه..
- كريم.. خلي يومك يعدى على خير وتعالى معايا عِدِل.

- وانتَ تيجى معايا عِدِل ومتروحش زى العصفورة تنقل كل حاجة.

- ما خلاص يا جدعان.. المهم إن المصلحة ماشية وكلنا فى نفس المركب..

- قُل له يا صابر.. يعنى يعرّفنى يا أخى.

- خلاص يا سميح.. هو انتَ أوّل مرّة تعرف كريم ولا دى آخر مرّة يعنى!!

اعتدل سميح فى مكانه محاولاً استعادة هدوئه وتركيزه، ثم طلب من كريم قائمة بالتسعيرة وعندما ناوله إيّاها تفحصها فى عناية شديدة ثم أعادها إلى كريم ونظر إليه فى مرآته بكل غضب بينما كريم تعتلى شفتيه ابتسامة المنتصر فى هدوء بأعصاب قد فقدت كل معانى الانفلات أو الضّيق...

عاد لعالمه يفكر فيها، ماذا حل ب "صباح" الآن؟ هل هى بخير؟ هل يهتم بها صديقه؟ وماذا عن الأخرى؟ ماذا تفعل مايا الآن؟ هل توصلت لشىء؟ هل وجدت سرًّا لم أكتشفه بعد؟ وأنتِ يا مَن كنتِ زوجتى كيف حالك أنتِ وابنتى؟

عجيب قلبه؛ فهو يفكر فى ثلاثتهم معًا...

***

ضرب التّوم كل جنباتها واكتسحت الآلام كل ما فى جسدها من قوة، خارت منهارة من فرط العمل على مكتبها الذى نقلته لغرفتها حتى تعمل بجوار ابنتها وترعاها، استيقظت على تلك اليد النّاعمة لابنتها الصّغيرة تدغدغ قدمها فقد قامت تلك الصّغيرة

صاحبة العامين ونصف العام من نومها، بحثت عن أمها حتى وجدتها، ذهبت إليها وكان كل ما طالته هو قدمها فصراخها لم يجعل أمها تنهض من نومها، بتكاسل شديد لقلة النّوم وأيضًا النّوم على وضع خاطئ جعلها لا تشعر بفقرات ظهرها أو بذراعيها اللذين تخدّرا بدأت تستعيد الوعى، تسعى لترتب المشهد أمامها، تذكرت أنها كانت تعمل على ما أعطاها كريم من مقاطع للفيديو والصّور، حاولت الاتصال به لكن هاتفه كان مغلقًا، ظلت للساعات الأولى من الصّباح تعمل إلى أن غالبها النّوم واستسلمت له...

بدأت بقضاء حاجيات بيتها من شئون ابنتها الصّغيرة إلى فطور سريع لهما فاليوم هى فى شبه عطلة لا يوجد لديها محاضرات فى الجامعة وأخبرت زملاءها بتغيبها فهى تريد أن تقضى اليوم رفقة ابنتها لكن كل شىء تغير الآن هى فى حاجة ملحة لملاقاة كريم فعاودت الاتصال به مرارًا وتكرارًا لكن دائمًا ما كان يأتيها هذا الصّوت الرّتيب (الهاتف المطلوب مغلق أو غير متاح برجاء حاول الاتصال فى وقت لاحق..)

هى فى حاجة ملحة لتتشاور مع أحدهم، أن تعرض عليه ما وجدته وما توصلت إليه، أخذت تعتصر عقلها بحثًا عن شخص متخصص يشاركها الأمر وتثق به كثيرًا ولا يفضح الأمر، بل يساعد على أن يكون الأمر فى إطاره الصّحيح والمساعدة على إيصاله للعالم، أخذت وقتها الكافى لكنها فى النّهاية توصلت إليه.. إلى أستاذها ومعلّمها، الرّجل الذى استعانت به مرات عدة وهو أحد أشهر الأثريين فى البلاد، لم تتردد، اتصلت عليه وانتظرت قليلاً فى لهفة إلى أن أتاها صوته مجيبا عليها:

- ألووو.. إزي حضرتك يا دكتور؟

- ......

- بخير الحمد لله.. كنت عاوزة حضرتك فى استشارة..

- ......

- شكرًا يا دكتور.

- ......

- لو ينفع يبقى بره يا دكتور بلاش المكتب.

- ......

- تمام، عارفاه، السّاعة خمسة أكون عند حضرتك.

- ....

- ماشى.. شكرًا، مع السّلامة يا دكتور...

أغلقت الهاتف ثم بدأت فى ترتيب أفكارها؛ كيف ستعرض عليه الأمر وتسرد له الموضوع، كيف تستميله إلى صفها حتى يستطيعا فى النّهاية إقناع كريم والظفر بهذا الاكتشاف المُهِمّ والفريد بل الأكثر من ذلك كيف ستطوع كل الأمور من أجل نجاح خطتها؟

***

منزل عمران.. الثّانية ظهرًا..

وصل الرّكب بعد سفر طويل، واستقبلهم عمران بحفاوة كبيرة، فقد تم تقديم موعد السّفر نظرًا لقدوم صابر مبكرًا.. جلسوا جميعًا يتبادلون أطراف الحديث ويتعرفون على صابر الضّيف الجديد، ولك أن تتخيل أن يأتى أحدهم ليشغل مكانك فى العمل

ويزيحك من على عرشك.. عتمان وصابر هما ندان كل منهما يسعى لإثبات قوته؛ صابر يسعى لأن يفصح عن كل ما لم يفصح به عتمان والآخر يتمنى فشله فى هذا.. نظرات متبادلة بينهما، كل منهما يريد تقدير الآخر نقاط قوته وضعفه وأيضًا يسعى لإخفاء كل ما يتعلق به عن الآخر.. الاثنان تباريا بالنظرات، بالتفكير، تواصلا، كل منهما أيقن قوة الآخر لكن لم يتضح أيهما أقوى.. شىء واحد استبانه صابر وقرر أن يكسر به حاجز صمته:

- لو تسمحوا ليّا يا جماعة أنا ليّا طلب صغير..
- اتفضل يا ولدى جول ما بدالك..
- شكرًا يا حج عمران.. بس أنا عاوز عتمان يتعاون معايا.
- وعتمان ميتأخرشى عنيك يا ولدى.
- لا يا حج هو اللى يقول، هو أدرى.
- إنتَ عاوز منى إيه عاد؟
- إنتَ عارف..
- وإن جُلت لك إنى...
- قبل ما تكمل.. سوا هنبقى أقوى ونقدر.

عاد الصّمت بين الجميع، كل منهم يتبادل النّظرات؛ نديّة بين صابر وعتمان، ارتباك وتبلد على مُحيا سميح وعمران، ابتسامة رضا وبرود أعصاب على وجه كريم، ظل الجميع على وضعه لثوانٍ إلى أن كسر سالم خلوتهم ليخبرهم أن وليمة الغداء جاهزة فى انتظارهم، دعاهم عمران إليها بحفاوة كبيرة..

مائدة حملت كل ما لذ وطاب بنكهة الكرم المصرى الأصيل،

جلسوا خمستهم؛ عمران يُحيّى ضيوفه، وعتمان يرصد صابر، وسميح يأكل بنهم كعادته، أمّا كريم فيأكل متلذذا بما يراه من نظرات الجميع..

وسالم يقوم على خدمتهم عن طيب خاطر..

***

أنهى شريف عمله فى المشفى وقبل الرّحيل قرر المرور على صباح التى أوصاه عليها كريم قبل سفره، دلف إلى غرفتها فوجدها شبه يقظة وإحدى الممرضات ترعاها، سألها عن حالتها فأعطته تقريرًا عما وصلت إليه، تنبهت صباح إلى وجوده فحدثته:

- إنتَ الدكتور شريف..
- إيه يا صباح.. إنتى نسيتينى ولا إيه؟
- لا يا دكتور عينيّا مدغششة بس.
- ولا يهمك يا ستى ده طبيعى، إنتى واخدة كمية مهدئات كبيرة..
- أمّال فين سى كريم؟
- كريم بيه عنده سفر شغل وقال لى آخد بالى منك وموصى عليكى جامد.. شكله بيعزّك.
- وفين عيالى... وفين بيتى؟

أشار إلى الممرضة فقامت بوضع حقنة مهدئة فى المحلول المعلق بجوار سريرها ليخترق أوردتها مغذيًا إيّاها.. أخذت تتمتم

بالكلمات وهو يجاريها بالحديث لثوانٍ معدودة وذهبت بعدها فى نوبة نوم جديدة.. ثم أعطى للممرضة توصياته بخصوص حالتها قبل أن يغادر..

***

قبل موعدها جلست مايا تنتظر أستاذها الجليل لتعرض عليه الموقف الحالى، فى هذا المطعم الهادئ حيث اتفقا على اللقاء طلبت عصيرًا وبدأت فى ترتيب أفكارها مرة أخرى وكأنها تحفظ ما ستقوله مجددًا.. لم يَغِب طويلاً بل فى موعده المنتظر وصل إليها، هذا الرّجل الذى يقل عمرة عن السّتين بسنوات قليلة تكسو وجهه السّمرة لتعرضه المباشر للشمس دائمًا، وجسد شبه رياضى أو فى حالة جيدة لمن هو فى مثل سنّه بلياقة جيدة، يرتدى بدلة كحلية ورابطة عنق نبيتية أسفلها قميص لبنى..

اقترب منها فى ابتسامة لا تفارقه، قد تكون مصطنعة لكنها أبدًا لا تخلو من التأثير الإيجابى الذى تتركه فى نفوس الآخرين، خصوصًا تلميذته النّجيبة تلك.. بفراسة الأستاذ بدأ يتفحصها، لمح فى قسمات وجهها حُمرة الخجل واضطرابًا قليلاً.. وقفت فى استقباله فبسط يده مصافحًا إياها، تبادلا التحيّة وجلسا.. أخبرها أنه مرهق وللآن لم يتحصل على وجبة الغداء فدعاها إليها فوافقته.. تحدثا فى أمور حياتية عادية بعد أن طلب منها أن تؤجل أى أمر آخر إلى ما بعد الغداء الذى تناولاه فى نهم منه ورِقّة منها محافِظة على لياقتها...

- ها، جايبة أستاذك على ملا وشّه كده ليه.. خير؟

- مفيش يا دكتور.. هى استشارة بس غريبة شوية.
- إيه.. الأبحاث بتاعة الأستاذية برده؟
- الصّراحة لأ يا دكتور.. هو موضوع معقّد شوية.
- معقد شوية يبقى نخش فى الموضوع على طول.
- هو أنا مش عارفة أبدأ إزاى، بس يا دكتور هو فيه أى حاجة فى التاريخ أو الأبحاث مسجلة فى الحضارة الفرعونية عن إن فيه تنظيمات سرية للمعبد وموازية ليه؟

بدت نظرات الاستغراب والتعجّب من أستاذها على سؤالها هذا فهو يعرفها جيدًا، لم يستغرب من السّؤال ولكن من تعبيراتها فى إلقائه مما جعله يناورها فى إجابته سعيًا للمزيد:

- طيب، علميًّا مفيش أى حاجة بتقول كده، لكن افتراضيًّا ده محتمل؛ لأن المعبد كان هو المسيطر على كل مفاصل الدّولة فى العهد الفرعونى وكان هو مدرسة العلم الأولى..
- يعنى ده ممكن يا دكتور؟
- مش بالضرورة، لكن أدق تفاصيل المعبد وحاجات كتير تانية فى الحضارة الفرعونية لسه مطموسة ومجهولة لينا فممكن يكون للمعبد تنظيمات سرية.. بس إيه سبب السّؤال؟

ترددت كثيرًا قبل أن تتحدث مع أستاذها، أخذت تناور لعدة دقائق لكنه أوقعها فى شباكه بعد أن قام بنصبها جيدًا كصياد ماهر يرمى غزله فى عرض البحر لا يسعى إلا لاصطياد سمكة كبيرة لا ينظر إلى فتات البحر.. بعدها وبالفعل لم يستغرق الأمر طويلاً فهى شبه أطلعته على كل شىء باستثناء أمور ما، منها من

هو مصدر تلك المعلومات، لكنها لم تُبقِ شيئًا آخر إلا وأطلعته عليه من صور إلى فيديوهات إلى ما توصلت إليه من تحليلات ودراسات نتيجة عملها على الأمر طيلة الليلة الماضية..

نقاش استمر لما يزيد على ساعتين أسفر فى النّهاية عن موعد آخر سيحدث لاحقًا مع حصول الأستاذ على نسخة من المعلومات والبيانات المتوافرة لديها ليقوم هو الآخر بدراستها..

عادت مايا إلى بيتها مرة أخرى وعاودت عملها بعد أن اطمأنت على ابنتها الصّغيرة التى أودعتها الفراش تهيم فى ملكوتها الخاص فى سُبات عميق، أخذت تربط كل الخيوط ببعضها، وكل الذى توافر لديها، أخذت تحلل البيانات. نعم، الأمر لم يكن سهلاً فهو كأنه شفرة مهداة إلى أحد العباقرة عبر التاريخ؛

جمل متفرقة رأتها فى كل مكان فى الفيديو الذى صوره كريم، فمثلاً وجدت جملة رئيسية تقول: "نحن حفظة الأسرار.. نحن التنظيم الموازى العظيم."

وأخريات عدة ذُكرت بدون ترتيب أو تسلسل رقمى أو تاريخى:

- نحن الأولون ولسنا الآخرين، ونحن السّابقون ومن بعدنا كثر آتون.
- نحن من العلم ناهلون، بنور أوزوريس وعلم إدريس وما تركه هرميس نحن له لحافظون.
- نحن للألواح حافظون.. ألواح إنوت العزيز إنه أيضًا إدريس وهو العالم هرميس وروحه تجلت فى أوزوريس.

- فنحن من خلَفنا السّابقين وبعد أزماننا سيخلفنا آخرون.. إنا إليه لتابعون ولعلوه لعاملون.
- نعلم أننا هالكون أو أننا لأنفسنا مهلكون.

عملت جاهدة على أن تجد تفسيرًا أو ترتيبًا لتلك العبارات التى لا يربطها أى تسلسل، فعبارة من جدار وأخرى من آخر كُتبت بأشكال غير واضحة.. لكن الآن كل ما أمامها هو تنظيم تابع لحملة وحفظة العلوم، فقد قامت بربط بعض الخطوط مجددًا التى بالفعل ربطتها من قبل وتحاورت فيها مع أستاذها ومن قبلها كريم قد حاورها فيها وتوصلت لبعض الأفكار المبهمة:

أولاً- هنا ذكر أوزوريس ونبى الله إدريس ومعلم الطّب هرميس عند الإغريق وأيضًا رأينا ألواح إنوت.. وهى تعلم أن نبى الله إدريس هو أول من سكن أرض مصر بعد أن أُمر بالهجرة من بابل وأن يستوطن أرضًا لم يقصدها قبله أحد قط على ضفاف النّيل، وأنعم الله على إدريس بالعلم فهو أول من وضع أسس العلم من بنى البشر للمصريين فى ألواح قدّسها المصريون القدماء سُمّيت بالألواح القرمزية، وهو أيضًا أوزوريس تلك الأسطورة المصرية قصة إيزيس وأوزوريس التى جُسّدت فى أكثر من عمل ملحمى سواء عند المصريين القدماء أو كُتبت فى العهد الجديد أو جُسّدت حتى بعمل فنى، وأيضًا إدريس (عليه السّلام) هو هرميس معلم الطّب عند الإغريق الذين استقوا كثيرًا من العلوم منه ومن الحضارة الفرعونية.. أما إنوت أو إنوخ فهو اسم إدريس عليه السّلام عند اليهود

فى العبرية..

بدأ الأمر يتضح لها، فالموجود أمامها الآن يتحدث عن تنظيم لجامعى وحماة العلوم القديمة، علوم تحدث عنها كثيرون ودُثِّر أكثرها بين طيّات التاريخ دون أن تصل إلى الأجيال الحالية، فهى قد تجد فى تلك المقبرة علومًا كثيرة كالتحنيط والفلك والهندسة، أى العلوم تلك التى يمتلكونها، أمّا ما استوقفها حقًّا فهو هذا السّرد: أربعة أسماء (إدريس، أوزوريس، هرميس، إنوت..) أربعة أسماء لأربع حضارات فى أزمان مختلفة مما يعنى أن ما كُتب قد يكون كُتب على مر التاريخ وليس فى يوم وليلة؛ أى إن تلك الجماعة وُجدت لوقت طويل تجمع العلوم وتحميها.

وقف عقلها عند حدود معينة من الفهم لكنه واصل عمله بمنتهى القوة فى التخيل لما يحوى هذا الكيان، فعلاً صدق كريم فى أنه أمر مُهِمّ وأنها ستنبهر بما ستراه..

لكن ما استوقفها هما هاتان الجملتان: (فنحن مَن خلَفنا السّابقين وبعد أزماننا سيخلفنا آخرون.. إنا إليه لتابعون ولعلوه لعاملون).

فهذا يعنى بتفسيرها الحرفى أن تلك الجماعة هناك من يسبقهم وأن هناك من سيرثهم، وهنا تتساءل أهم سيورثون العلم لأناس بأعينهم أم أنهم فشلوا فى ذلك؟ وعن ماذا يتحدثون؟

أمّا تلك فتفسيرها أصعب...

"نعلم أننا هالكون أو أننا لأنفسنا مهلكون"

أيعلمون أنهم سيهلكون؟ أيعلمون أن تلك الحضارة ستنتهى.. أم أنهم هم من أهلكوا تلك الحضارة العظيمة، خصوصًا أن التاريخ الفرعونى به حلقات عديدة مفقودة، ماذا قبل عهد الأسرات وقبل

أن تتوحد مصر؟ من هو الملك العقرب؟ لماذا انهارت تلك الدّولة العتية التى قهرت الهكسوس فى عهد أحمس والتى حكمت من منابع النّيل إلى الشمال حيث حدود الميتانيين فى عهد تحتمس الثّالث؟

ساعات طوال مرت عليها حتى شعرت بالإجهاد الشّديد ولكنها عزمت أمرها على شىء واحد أنها لا بد أن ترى تلك المقبرة بأى شكل ممكن بعين الأثرية والخبيرة؛ فمثل هذه الأمور لا تُرى إلا مرة واحدة فى العمر إن أتيحت لك الفرصة...

***

المقبرة.. الثّانيةَ عشرةَ مساءً..

توجّه الجميع إلى المقبرة، قضوا فيها قرابة السّاعة.. الآن عتمان وصابر يعملان ولا يتحدثان، طالبا الجميع بالصّمت، قبل الذهاب وافق عمران على الأسعار التى أخبره بها سميح وأن الباشا قد وافق على الشراء بها، نعم عمران طالب بالمزيد لكن كريم أخبره أن عتمان وصابر إن وُفقا فيما يفعلانه فسيأتى خير كثير لهم جميعًا، فوحده كريم يعلم ما فى نفس صابر وعتمان ليس لعلاقة له بالجان ولكن لرؤيته المكان فى المرة الأولى وما يقوم به الآن من تفقد للمكان مرة أخرى قُل إنه حب استطلاع أو حب للعلم، لكنه شغف فاق كل الحدود قبل أن يقطع صابر الصّمت:

- عتمان كان عنده حق، محدش فينا له طاقة بالجان.
- يعنى إيه ملكوش طاجة يا ولدى دا إنتو اتنين كُبرات فى

الشّغلانة دى وخابرينها زين؟!

- يعنى يابا الحج أنا وصابر لوحدنا منجدروش نعملو حاجة.

- شوفوا إنتو عاوزين مين وإحنا نجيبو معاكم.. فيه إيه يا صابر؟

- لا يا سميح.. دى مش عاوزة حد تانى دى عاوزة واحد بعينه.

- ومين ده يا ولدى وسميح يجيبه.

- لا يا حج عمران.. مش سميح اللى هيجيبه.

- أُمّال مين؟ جُل لى بالله عليك؟

- أنت يا يابا الحج إلى هتجيبه لينا.

- مين ده يا ولدى وأنا أجيبو لو فى بطن أمه؟

- هو من باسمه تأتى الحياة، بها يحيى وبها يكون..

- إنتَ هتقول فوازير يا صابر ولا إيه؟

- لا يا أستاذ سميح.. صابر بيتكلم عن اللى موعود له يفتح المجبرة دى.

- وده يبقى مين يعنى؟ وبعدين يا عم كريم إنتَ ساكت ليه ما تتكلم معانا..

- همّا عارفين شغلهم. بس ببساطة يا سميح ويا حج عمران مين أول واحد دلكم على المقبرة دى..

- ده ولد صغار اسمه يحيى ابن واحد من الغفر بتوعى.

- أهوه صابر مغلطش، من اسمه تأتى الحياة وهو يحيى بحاله مفيش أكتر من كده.

- اللّه عليك يا أستاذ كريم، فِهمتنا صح..

- أنفع يعنى أشتغل معاكم يا عتمان..

- فهّمونى إنتم بتتكلموا على إيه..

- بص يا سميح.. المقبرة دى ليها نُصين؛ النّص الأول وهو

المدخل اللى إحنا فيه وده اللى قدر يفتحه عتمان، المدخل ده بقى بيودّى لمقبرة تانية أكبر اللى هى الكنز اللى إحنا بندور عليه.. المهم بقى صابر وعتمان ميقدروش يفتحوه ملهمش الإذن.. لكن اللى له يفتح هو الموعود يحيى ده هو اللى هيفتح المقبرة..

- بس يحيى ده لسّاته ولد صغار مخبرش حاجة فى الشّغلانة دى...

- وده بقى يا حج دور صابر وعتمان.. ولا أنا بتكلم غلط؟

- لا يا أستاذ كريم، بتتكلم صح، أنى لوحدى مكانش مسموح لى أتكلم ولا أبوح بالأسرار، ولا حتى صابر لوحديه كان يجدر لكن مع بعض جِدرنا نجول اللى جُلناه لكن ميفتحهاش إلا يحيى..

- وإحنا مش هنسيبه، هنساعده ونعرفه يعمل إيه..

- يعنى حتت عيل هيبوظ علينا شغلانة بملايين..

- مين جال إنها باظت، الواد أبوه واجف بره أهاه يروح يجيبه دلوجيت ويشوف النّاس عاوزين منه إيه يعمله..

- صح يا حج عمران.. إنتَ تبعت تجيب الواد نتكلم معاه وأهو ينوبه من الحب جانب.

***

تخيل معى ما شعر به مغاورى من فخر وسعادة عندما وضع عمران فى يده خمس ورقات نقدية من فئة المئتين جنيه وتحدث معه على انفراد بعد خروج الضّيوف من المقبرة وأخبره أن يأتى وابنه يحيى فى الصّباح الباكر إلى بيته فهو يريده هو ويحيى فى عمل من أجل المقبرة وأنهما سيحصلان على أموال كثيرة من جراء ذلك إذا نجح يحيى فيما هو مطلوب منه...

لم تذق عينا مغاورى النّوم طيلة الليل، ذهب إلى بيته مسرعًا موقظا ابنه يحيى مخبرًا إيّاه بما حدث والذى لم يُصِب يحيى بأى دهشة فربما علم بالأمر أولاً.

مغاورى هو رجل فى الأربعينات من العمر يعمل مع عمران منذ ثلاثة عقود، فى البداية كعامل فى أرضه ثم أحد خفره وبعدها أصبح من القلة المنتقاة لحراسة المقابر، وهو رجل غليظ الملامح من الشّقاء الذى تعرض له فى حياته، ذو أنف مفلطح وكبير وعينين تعودتا السّهر فى الحراسة فأصبحتا محمرتين بشدة وأسنان سوداء من أثر الجوزة التى لا تفارقه، وجسد قوى زادت قوته من الأرض التى شدت عوده منذ صباه.

أمّا يحيى فهو فتى فى السّابعة عشرة من العمر، طالب فى المدرسة الفنية الصّناعية فى البلدة المجاورة، يعمل كهربائى ويذهب للمدرسة فيما ندر، وربما فى الامتحانات فقط، قوى البنية ذو طول فارع وعقل قد تنخدع كثيرًا فى قدراته.

ظل يحيى مبتسماً بعد أن قص له والده ما حدث، وبقى بعدها صامتًا، فتسرب القلق إلى قلب مغاورى الذى بادر من أجل معرفة ما يفكر فيه:

- مالك يا ولدى؟ الكلام معجبكش ولا إيه؟.. دا الحج عمران بذات نفسه هو اللى طالبك..
- لا يا أبوى مجُلتش حاجة.. عاوزك تهدى كده وتسمعنى زين..
- جول يا ولدى أنى سامعك أهاه..
- خابر عم عتمان وشغله يا بوى..

- أها، خابره زين.. ماله عمك عتمان يا ولدى..

- أنــى بجــى عــاوزينى أعمـل نفـس شـغلته فـى المجبـرة دى.. وعاوزك تسيبنى أتكلم أنا معاهم بطريجتى..

- إنتَ اتجنيت يا ولد.. عاوز تعارض الحج عمران..

- لا يا أبوى، أنا بس عاوزنا نكسبو أكتر بكتير..

- إزاى يا ولدى الرّاجل بيدينا مليح ودلوجيت أنا وأنت هنجبضو؛ يعنى حصتنا هتزيد..

- بس لما تعرف يا أبوى إن المجبرة دى لسّاتها فيها كنوز كتيرة متتقـدرش بمـال وإنـها متتفتحـش غير على يـدّى يبجـى وقتـها الكلام يختلف...

- هااااا.. بتجول على يدّك..

- شُفـت بقـى يـا أبـوى بكره هتلاقـى النّاس دى كلاتـها مستنية يحيى ابن مغاورى.

- اوعى تخيّب ظنى يا واد.. عاوزك ترفع راسى بين الكُبرات..

- متخافش يا أبوى أنا خابر زين هعمل إيه..

***

أخـيرًا حصـل كـريم علـى مـراده.. انفـرد بعتمان وصـابر، فشغفه الشّديد منذ أن خرجا من المقبرة وبعد أن أخبراه أن يحيى هو مفتاحهم للأمر:

- ها، عرفونى بقى إيه اللى شُفتوه جوّه..

- اسمع يا كريم.. الموضوع مش سهل زى ما انتم متصورين.

- يعنى إيه مش سهل يا صابر؟ ما هى مقبرة وهتتفتح وجبنا

اللى يفتحها..

- لا يا أستاذ كريم.. المجبرة دى غير أى مجبرة إنتَ أو أى حد فينا يعرفها واللى حصل النّهارده ده يعتبر إنجاز..

- مش فاهم يا عتمان انتَ وصابر فهّمونى..

- من أول يوم يا أستاذ كريم وأنى محجوب عنى رؤية اللى جوة.. كل اللى شُفته كان المدخل اللى فتحناه وده اللى إتأذن ليّا بيه أنا وخدمى.. آه، عارف إن فيه كمالة للمجبرة بس معرفش اللى جوه إيه بالظبط بس اللى أعرفه إن اللى جوه كتير جوى..

- علشان كده عتمان متكلمش فى الأول وأنا أمّا جيت عتمان عرفنى كل حاجة.

- طيب، اكشفوا اللى عندكم وفهمونى..

- المجبـرة دى مـاتبنيتش فـى يـوم وليلـة يـا أسـتاذ كـريم وماتبنيتش فى سنين.. لا، دى فى جرون...

- إزاى يعنى؟

- يعنى اللى نعرفه دلوقتى إن المقبرة دى اتبنت على كذا فترة، تقدر تقول كل فترة كانوا يوسّعوها.. حاجة زى مخزن كده كل فترة يوسّعوه ويحطوا فيه حاجة..

- وبعدين إيه الجديد؟ ما أنا استنتجت ده.

- بـس اللـى انـتَ متعـرفوش إن المجبـرة دى حراسـتها شـديدة وصعبة علينا كلنا..

- طب ويحيى اللى بعتوا تجيبوه..

- بص يا كريم.. المقبرة من جوه فيها آثار كتير، وده المهم. لكن المقبرة فيها حاجات تانية من جوه إحنا مش عارفينها، خدمنا أنا وعتمان رغم اختلافهم مقالوش لينا عليها..

- إزاى برده؟

- بص يا أستاذ كريم.. أنا راجل خاويت الجن وصاحبته من وأنا ولد صغير..

أخذ عتمان يروى لكريم كيف دخل عالم الجان وكيف ذاع صيته بعد أن خاوى الجان وخاواه لسنوات عدة وكثر أتباعه من بعدها..

- وانتَ يا صابر.. خاويت إزاى؟
- لا، أنا سخّرت، وقع فى إيدى كتب طلاسم للسحر سخرت بيها جان وأصبح هو خادمى..
- طيب ما تحاول بطلاسمك دى تفتح المقبرة..
- صعب، أنا وعتمان اشتغلنا سوا عرفنا اللى قلناه وفيه حاجات يعرفها الجان الخادم لينا لكن مش مسموح ليهم بالكلام.
- ليه يعنى.. خايفين؟
- بالظبط..
- إنتم بتشتغلونى، صح؟
- لا يا أستاذ كريم.. بس حراس المجبرة أجويا بكتير وملناش طاجة بيهم.
- طب وانتَ فتحت إزاى المدخل..
- همّا اللى سمحوا ليّا بيه.
- طب ويحيى ده حكايته إيه؟
- يحيى ده مخاوى منيهم.

***

قصر الباشا.. الثّانية صباحًا..

لم يعتد فريد المرشدى أن يستقبل أحدهم فى منزله فى هذا الوقت المتأخر، لكن إصرار الدّكتور حسين، عالم الآثار الشّهير، الذى حدثه فى الهاتف طالبًا لقاءه بأى شكل ممكن، وملحًّا على أن يكون اللقاء اليوم وليس غدًا، وأنه يريده على وجه السّرعة فى مسألة مهمة، جعله يرضخ للأمر.. وأتى له حسين لكن فريد انشغل بحفل يقيمة واستمر فى مضايفة ضيوفه فى جنينة قصرة الكبيرة، وبمجرد انتهائه ذهب ليرتاح قليلاً تاركًا حسين ينتظره بعض الشىء فمهما كانت مكانة الأخير العلمية فإنه عليه أن يشعر بقيمة المرشدى أكثر، فأنت يا عزيزى فى بلد لا تقدر إلا المال، رغم كل ذلك لم يشعر حسين بأى شىء من الضّجر بل أخذ يراجع ما أمامه من أوراق فى انتظار المرشدى الذى دخل عليه فى زي أقرب للمنزلى، خلع عنه جاكت بدلته والتحف بدلاً منه بروب منزلى وسيجاره لم يغادر فمه كما اعتاد.. نهض حسين مسرعًا فى استقباله فحيّاه المرشدى، مشيرًا إليه بالجلوس فظلّ الأخير واقفًا إلى أن جلس المرشدى..

- معلهش يا حسين.. اعذرنى على التأخير كانت عقود شراكة مهمة ولازم تتمضى...

- ولا يهم معاليك يا باشا أنا اللى آسف إنى جيت فى وقت زى ده..

- إنتَ عارف إنى مش بأستقبل حد فى توقيت زى ده بس إنتَ ليك معزة خاصة عندى..

- الله يخليك يا باشا...

- بس يُستحسَن تكون جاى ليّا فى موضوع مهم ويستاهل وإلا

المعزة دى هتقل..

قالها فريد المرشدى وهو يزفر دخان سيجاره بنفاد صبر مُصطنع لكنه كفيل بإرباك هذا العالم الكبير الذى عرفته مصر كلها بحديثه عن الآثار والعلوم المصرية القديمة لكنه أمام المرشدى يبدو كتلميذ فى حضرة أحد الملوك.. سعى ليجمع شتات نفسه قدر الإمكان، يعدل من وضع نظارته الطّبية فوق أنفه متنحنحًا قبل أن يتحدث...

- لا خير يا باشا بإذن الله.. فيه مقبرة جديدة سمعت عنها بس.
- طيب وإيه المشكلة ما انتَ عارف بتعمل إيه مكانش له لازمه تكلمنى..
- لأ يا باشا المقبرة دى اتفتحت بالفعل وسيادتك تعرف عنها كل حاجة..
- وضّح كلامك يا حسين.. انتَ جاى تساومنى ولا إيه؟
- لأ يا باشا.. أنا جاى أطمّنك وأحذّرك، وبعدين دا إحنا ستر وغطا على بعض..
- إنجز وخش فى الموضوع، بلاش لف ودوران..
- المقبرة اللى فتحها كريم ولسه بيقول إن فيها جزء تانى ماتفتحش وإنكم لسه متعرفوش هتعملوا إيه...

بدا الامتعاض على وجه المرشدى بعض الشىء.. فكيف تتسرب كل تلك المعلومات من داخلهم فهو لا يريد أن يحشر أحد آخر أنفه فى الأمر، فيكفى مَن هم على علم به، ناهيك عن أن معرفة أى شخص من الأساس من الممكن أن تدمر العمل بأكمله لكنه

استجمع رباطة جأشه من جديد:

- وإيه المشكلة فى كده، مش هقول لك انتَ عرفت إزاى؛ انتَ مننا وعلينا..
- لا يا باشا.. مهم جدًا تعرف أنا عرفت إزاى.

أولاً، دعنى أعرفك ب "حسين"، قبل أن تعرف كيف علم بالأمر، هو ببساطة أحد أهم الأثريين المصريين ليس كبيرهم لكنه ذو صيت معروف أشرف على العديد من الرّسائل العلمية وأشرف على افتتاح العديد من المقابر مع العديد من البعثات الأوروبية وعن طريق هيئة الآثار، على الجانب الآخر هو أحد أهم مسوّقى الآثار، بدأ مثمّنًا مثل كريم لكنه لم يعد كذلك بل أصبح استشاريًّا لما هو أهم وأكبر من ذلك.. أمّا عن صفاته الشّكلية فدعنى أصفه لك، إنه ببساطة رجل رأيناه من قبل.

***

قبل موعدها جلست مايا تنتظر أستاذها ومعلمها الجليل لتعرض عليه الموقف الحالى، فى هذا المطعم الهادئ حيث اتفقا على اللقاء، طلبت عصيرًا وبدأت فى ترتيب أفكارها مرة أخرى وكأنها تحفظ ما ستقوله مجددًا، لم يَغِب طويلاً بل فى موعده المنتظر وصل إليها هذا الرّجل الذى يقل عمره عن السّتين بسنوات قليلة، يكسو وجهه السّمرة لتعرضه المباشر للشمس دائمًا، وجسد شبه رياضى أو فى حالة جيدة لمن هو فى مثل سنه بلياقة جيدة، يرتدى بدلة سوداء ورابطة عنق نبيتية أسفلها قميص لبنى...

***

أعتقد أنك الآن تعلم من هو حسين وكيف عرف بالأمر ولا داعى لأخبرك بأنه قد سرد لفريد المرشدى الأمر كله وكيف عرف القصة...

***

- والمطلوب يا حسين...
- أشوف المقبرة لأن دى يا باشا كشف أثرى بمعنى الكلمة.
- وشغلنا اللى هناك؟
- وده ماله بده.. إحنا نخلص شغلنا وبعدين الحكومة تشوف شغلها.. هى أول مرة يعنى ولا إيه؟!
- على رأيك.. بس سيبنى وهرد عليك بكره يا حسين..
- تمام يا باشا هاستنى معاليك تعرفنى هاشوف المقبرة إمتى..

نظر له فريد المرشدى نظرة ثاقبة كان معناها إنهاء الحوار فلم يكن يجب على حسين أن يؤكد فرضية ذهابه للمقبرة بل كان عليه أن ينتظر رأى الباشا فى الأمر..

***

أن يوجد شريف فى الرّابعة صباحًا فى مشفاه الخاص فهذا لا يعنى إلا أن أمرًا طارئًا قد حدث وبالفعل الأمر كذلك، فقد تلقى شريف اتصالاً فى الثّالثة فجرًا من إدارة المشفى استيقظ على إثره منزعجًا ونوى أن يسب الجميع على إيقاظه فى هذا التوقيت لكنه عرف أن هناك شخصية رفيعة المستوى قد دخلت

لمشفاه فى حالة طارئة وأنهم يريدون حضوره فى الحال...

ظل شريف طيلة الطّريق يفكر فيما سيحدث فى مشفاه فالنزيل هو نسيم العتال أحد أهم السّاسة المصريين، رجل ذاع صيته فى الفترة الأخيرة، أصبح قريبًا من مراكز اتخاذ القرار، يعلم طريقه جيدًا لسدة الحكم، يبجله ويحترمه الكثير من عامة النّاس والشّعب والشّباب الذى التف حوله، يعتبر رمزًا وطنيًا معتدلاً، لم يتأخر شريف الذى باشر علاج نسيم العتال بنفسه والذى نُقل للمشفى نتيجة لحادث سير تعرض له، لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى أصبح المستشفى يمتلئ برجال الشرطة الذين أتوا لتأمين نسيم العتال والتحقيق فى الحادث هل هو مجرد حادث أم أنه محاولة اغتيال لشخصية شهيرة مثله. انتهى شريف من كل شىء، اطمأن على دخول نسيم العتال لغرفته قبل أن يستوقفه رجل ثلاثينى وبجواره أحد رجال الشرطة...

- لو سمحت يا دكتور.. إيه حالة نسيم بيه؟

- الحمد لله كويس.. بس مين حضرتك؟

- أنا كارم الحسينى، مدير مكتبه، وده المقدم على السّيد..

- أهلاً وسهلاً.. الباشا كويس ومعندوش أى مشكلة، هو دخل فى غيبوبة بسيطة من الحادث وإحنا احترازيًا عملنا "تشيك أب" لكن الحمد لله الباشا سليم..

- يعنى يا فندم وضع الباشا إيه؟

- الباشا عنده شوية رضوض فى ضلوع الصّدر مع شرخ بسيط وكسر فى الرّجل الشّمال والدراع الشّمال برده، وتم تجبيسها وعنده شرخ بسيط فى الحوض، ده هيخليه فترة ميقدرش

يتحرك..

- إيه؟.. ميقدرش يتحرك!!

- إيه يا أستاذ كارم.. هو أنا بقول لك شلل؟ ده مجرد شرخ فى عظمة الحوض فهياخد وقت لحد أمّا يلتئم تانى، وبرده لازم نراعى السّن، لكن متخاوفش على الباشا هو هنا فى إيد أمينة، وأنا بنفسى هاتابع حالته..

***

تجاوزت السّاعة السّادسة صباحًا وشريف ما زال فى المشفى يراقب الأوضاع، حراسة أمنية مشددة لنسيم العتال وللمشفى بشكل عام، وهدأ رجال الصّحافة والمراسلون الذين تحدث لهم شريف عن حالة نسيم العتال ولكنه طالبهم بالمجىء فى وقت آخر وأنه بنفسه سيجعل نسيم العتال يتحدث للصحافة، لكن كل هذا لم يجعل شريف ينسى زيارته لصباح والاطمئنان عليها، دلف إلى غرفتها حيث جلست وسط سريرها تنظر للفراغ فانتصبت الممرضة المرافقة لها لتحيته فأشار لها شريف بأن تهدأ..

- أخبارها إيه؟

- أحسن يا دكتور، هى صحيت مفزوعة السّاعة 3 على الدّوشة اللى كانت بره وقعدت تتكلم معايا شوية وبعدين سكتت وقعدت تعيّط...

ترك شريف الممرضة متجهًا إلى صباح ثم جلس بقرب سريرها يتحدث إليها:

- إزيك دلوقتى يا صباح.. عاملة إيه؟

نظرت إليه قليلاً قبل أن تجيبه وكأنها تتأمل ملامحه أو تتذكره، لكنها فى النّهاية رسمت ابتسامة ساكنة قبل أن تحادثه:

- الحمد لله يا دكتور شريف..
- عاوزك بقى تقومى لنا كده وتشدى حيلك وتنسى اللى فات.
- أُمّال سى كريم فين؟
- ما قلت لك يا صباح إنه مسافر شغل ولسّه مجاش وقُلت لك إنه موصينى عليكى..
- طيب يا دكتور.. أما ييجى قل له يبقى يفتكرنى..
- ماشى يا صباح وبعدين قومى كده والنّهارده أو بكره بالكتير تكونى مروحة...

نظرت إليه بنصف ابتسامة تحمل كل مآسى الدّنيا فتركها وغادر الغرفة بعد أن أعطى للممرضة بعض التعليمات عن حالتها. هنا توجه لمكتبه ليرتاح قليلاً فى انتظار ما هو جديد فهو الآن فى وضع لن يسمح له بترك المشفى فيبدو أن يومه الذى بدأ مبكرًا سيكون طويلاً للغاية..

***

اقتربت الساعة من السّابعة والنّصف صباحًا عندما استيقظ الجميع فى بيت عمران ليقوموا بعملهم من أجل الضّيوف الذين أتوا إليهم وقضوا الليل عندهم وما قاله عمران من أن مكوثهم أو

مكوث بعضهم قد يطول، فاستعد أهل الدّار من أجل الضّيافة وكرمها، بينما سميح يوقظ كريم ويبدو على وجهه علامات السّوء والغضب لفعل أو لحدث ما بينما كريم لا يريد الاستيقاظ بعد إرهاق اليومين السّابقين إلا أن إصرار سميح جعله يرضخ متباطئًا كسولاً يتمطع فى مكانه محدثًا سميح متثائبًا...

- إيه يا سميح.. سيبنى أنام شوية يا أخى..
- لا، مفيش نوم، قوم عشان إنتَ نيّلتها على دماغنا..
- نيّلتها إيه؟ خير، وبعيدن هى الساعة كام؟!!
- الساعة تجيلها سبعة ونص والباشا لسه مكلمنى دلوقتى ومتنرفز على الآخر وعاوز رقبتك يا حلو..
- رقبتى!! ليه خير؟
- حسين عرف كل حاجة وراح يساوم الباشا وعاوز يدخل المقبرة..
- إيه؟ وحسين عرف منين وأنا مالى بيه؟
- حسين عرف من النّاس اللى انتَ قُلت لهم وكان عند الباشا بالليل.
- مين اللى أنا قُلت لهم؟
- شوف بقى هتعمل مع الباشا إيه لأنه على آخره ودى بقى مش هتخلع منها زى المرة اللى فاتت..

غادرت آخر ذرات النّوم أجفان كريم مفكرًا فيما حدث وكيف علم حسين بهذا الأمر، فهو لم يخبر إلا مايا هى من تعلم التفاصيل، ومن ذهب لاستشارتها وأخبرها بالأمر لكن الأهم هنا كيف تعرف مايا الدّكتور حسين ولماذا استشارته أو ربما حسين علم من مكان

آخر وتحدث مع الباشا.

أصبح عقله يعمل بسرعة تزداد كل ثانية، ماذا يفعل الآن؟

أولاً عليه أن يتحدث مع مايا وأيضًا أن يستعد لمواجهة الباشا..

***

السّابعة والنّصف صباحًا.. المستشفى..

استلقى شريف فى مكتبه لما يزيد على الساعة ليرتاح قليلاً من أثر هذه الليلة.. بالفعل أغلق عينيه وانعزل عن الدّنيا فى سُبات عميق رغم كل الحراك الذى يدب خارج أبواب غرفته، فقد تحول المشفى إلى أقصى حالات الطوارئ، ليس فقط لوجود نسيم العتال ولكن لدخول مصابين عدة من حادثة مفجعة، لكنه لم يكن من بين المتابعين للأمر، فقد ذهب ليرتاح بعد أن أُنهك ممّا حدث مع نسيم العتال ولم يسمع تلك الطّرقات على الباب فبادر الطّارق بأن دَلَف إلى الغرفة بدون انتظار الإذن بذلك.. هى ممرضة شابة تعمل فى المشفى، صاحت باسمه عدة مرات فى صوت خفيض لكنه لم ينتبه لها فقررت أن ترفع صوتها فشعر بها وبوجودها أمامه فاعتدل فى جلسته يحدثها:

- خير يا بنتى فيه إيه؟.. ودخلتى إزاى؟
- يا دكتور.. أنا خبّطت على الباب كتير وحضرتك مرديتش ودخلت من شويّة وحضرتك مسمعتنيش وأنا بانده عليك.
- طب وشُفتينى نايم سيبينى بقى.
- معلهش يا دكتور..

- ها، خير فيه إيه؟

- نسيم بيه العتال فاق وعاوز يتكلم مع حضرتك، وانتَ أمرت إنه أول ما يفوق نعرّفك..

- طيب طيب، روحى إنتى دلوقتى وأنا جاى وراكى..

***

انصرفت الممرضة سريعًا دون أن تناقشه، أما شريف فقد وضع وجهه بين كفيه مفكرًا فيما حدث ويسعى ليستعيد كامل تركيزه ثم نهض فجأة وهندم من ملابسه قبل أن يغادر غرفته فى طريقه إلى غرفة نسيم العتال..

اتخذت مايا طريقها إلى الجامعة تقود سيارتها لا تريد التأخر على محاضرتها الصباحية قبل أن تسمع صوت هاتفها فأخرجته من حقيبتها الملقاة على المقعد المجاور لها لتجد أن كريم هو المتصل فتعجبت من توقيته.. لقد غاب تلك المدة ويتصل بها فى الصّباح الباكر!! لكنها سارعت بالرّد عليه:

- ألوو.. إزيك يا كريم؟

- الحمد لله، إزيك يا مايا؟ آسف لو كنت صحّيتك أو قلقتك..

- لا، أنا فى الطّريق للجامعة؛ عندى محاضرة كمان نص ساعة..

- مايا.. إنتى اتكلمتى مع حد فى الموضوع اللى أنا كلمتك فيه..

- فى الحقيقة أنا حاولت أتصل بيك كتير وانتَ تليفونك كان مقفول وأنا وصلت لبعض الاستنتاجات وكنت محتاجة استشارة فاتكلمت مع واحد من أساتذتى فى هيئة الآثار، وأخدت رأيه لو تعرفه دكتو...

- دكتور حسين النّاظم.

- إنتَ تعرفه؟ وبعدين عرفت منين إنى باتكلم عليه؟

- مش أنا قُلت لك يا مايا متقوليش لحد؟!

- أنا أخدت رأيه بس، وبعدين قل لى انتَ عرفت منين؟

- عرفت من حسين النّاظم لأنه يبقى واحد مننا..

- إيه.. دكتور حسين معاكوا؟!!

- أيوه، حسين معانا.. فياريت متكلميش حد تانى فى الموضوع ده ولا حسين نفسه. أنا هارجع القاهرة النّهارده ولمّا أوصل هاكلمك نحدد ميعاد وياريت تنسى إنى كلمتك فى الموضوع أصلاً..

- كريم.. أنا مقصدش حاجة.. استنى..

- مايا.. أنا باحافظ عليكى. انسى الموضوع لحد أمّا أكلمك تانى. سلام دلوقتى..

أنهى كريم معها المحادثة فأخذت تفكر فيما هو قادم وإلى أى مدى ستنزلق قدماها فى تلك المقبرة، وأىّ الخطوات التالية التى ستتخذها.. فهل ستتوقف عند هذا الحد أم أنها ستكمل المسير..

***

دَلَف شريف إلى غرفة نسيم العتال راسماً ابتسامة على وجهه ليحيى بها الرّجل الذى يرقد فى فراشه ومن حوله التفت زوجته وابنه ومدير مكتبه كارم الذى تعرّف إليه شريف من قبل، فبادر إليه كارم محيّيًا إيّاه ومعرّفا به لدى نسيم العتال..

- اتفضل يا دكتور... دا دكتور شريف يا نسيم بيه صاحب ومدير

المستشفى وهو اللى باشر حالتك بنفسه وطمّنى على معاليك..

حاول نسيم العتال أن يعتدل فى جلسته قدر الإمكان قبل أن يقاطعه شريف:

- لا، لا، يا نسيم بيه.. إحنا عاوزين معاليك ترتاح ومتقومش بأىّ مجهود أو حركة..

- آااه.. هو أنا فيّا إيه بالظبط يا دكتور؟

- لا، الموضوع بسيط يا نسيم بيه.. مش كبير، إنتَ بس عندك شويّة رضوض من الخبطة بتاعة الحادثة، وده شىء طبيعى..

- أُمّال أنا مربّط كده ليه؟

- ههههه.. لا، يا باشا ده بقى الشىء المهم.. معاليك عندك كسر صغير فى رسغ الإيد الشّمال، ومشط الرجل الشّمال برده، وده كسر عادى هياخد وقته، وكمان فيه شرخ فى الحوض وده مبيتجبّسش ولا حاجة، بنطلب من معاليك الرّاحة وبتلبس حزام لو استدعى الأمر وهو بياخد وقته على أمّا يلتئم..

- يعنى هيطول يا دكتور؟

- بص يا باشا.. إنتَ متشغلش نفسك، هيطول ولا لأ، أهم حاجة تبقى بصحة كويسة.

- يعنى أنا مطول هنا؟

- لا، أبدًا.. هنا هتقعد معانا يوم أو يومين كمان بس نطّمّن عليك ودكاترة العظام بتوعنا يطّمّنوا على معاليك ونحطك تحت الملاحظة وبعدها هتخرج على البيت، وقُدّامنا شهرين كده ولا حاجة مفيش شغل..

- شهرين!!

- والله كل ما التزام معاليك يزيد كل ما الالتئام يبقى أسرع. وبعدين إنتَ تعمل كل شغلك فى البيت مش شرط تروح المكتب..

- بس أنا مش راجل أعمال يا دكتور.. أنا راجل كنت محامى ودلوقتى باشتغل فى الحكومة، يعنى موظف زيّى زيّ أيّ حد..

- خلاص يا باشا، تعمل كومسيون طبى وتاخد إجازة مرضى.

ابتسم الجميع بعض الشىء، بمن فيهم نسيم العتال، وتبادل أطراف الحديث مع شريف الذى سعى لطمأنته وأخبره أن إخصائيى العظام سيمرون عليه ليخبروه بحالته بالتفصيل وماذا يفعل، وأنه بنفسه سيحرص على تقديم أفضل عناية ممكنه له، ليس لشىء ولكن لأن هذا هو شعار المشفى، فما بالك أن يكون أحد نزلائه من أهم الشّخصيات العامة فى البلاد.

***

لم يستطع مغاورى أن يصبر كثيرًا، فأيقظ ابنه منذ الصّباح الباكر وذهبوا إلى بيت عمران، ولى نعمته الأول، لكنه وجد حفاوة استقبال من عمران لم يعهدها من قبل، فهو يراه يوميًّا منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا ولم يكن يدعوه يومًا إلى أن يتناول الإفطار معه كما فعل اليوم، فجلس هو وابنه مع عمران وعلية القوم الذين حلّوا عليه ضيوفًا من القاهرة ومعهم عتمان.. الجميع اتفقوا على ألا يتحدثوا فى شىء إلا عقب انتهاء الإفطار، كل منهم يختلس النظرات إلى الآخر ويراقب الباقين.. عمران يريد أن يحصل على ما هو أكثر من الأموال، وكريم متشوق لمعرفة ما فى المقبرة الجديدة، ومغاورى لا تسعه الدّنيا سعادةً بأن يجلس

مع هؤلاء القوم على طاولة واحدة حتى إنه وصف نفسه من الأعيان فى قرارة نفسه، بينما سميح انشغل بالطعام فهو شره للأكل ولا يعطى غيره أىّ اهتمام، أمّا صابر وعتمان فقد سعيا ليتواصلا معًا ومع يحيى هو الآخر..

وبعد أن احتسوا الشّاى بدأ عمران بالحديث قاطعًا الصّمت والعبارات التى لا تدخل فى صلب الموضوع فهو يعلم أن أقرب مسافة للهدف هى أن تسير فى خط مستقيم:

- دلوجتى يا يحيى يا ولدى إحنا عاوزينك فى شغلانة..
- ويحيى ميجدرش يتأخر يابا الحج.. ده ولدى وأنا عارفه..
- لا يا مغاورى، يحيى لازم هو اللى يجول لأن اللى جاى صعب عليه وعلينا..
- صعب إزاى يا عتمان وانتَ حداه؟ وبعدين يحيى لا يمكن يكسّر كلام الحج عمران أبدًا..
- عتمان عنده حج يا مغاورى.. أنا عاوز أسمعها من ولدك بذاته..
- طيب أعرف أول الشّغل إيه يابا الحج..
- المجبرة اللى انتَ دليتنا عليها يا ولدى وعمّك عتمان فتحها وأبوك بيحرسها مع الرّجالة..
- مالها يابا الحج؟ مش طلع فيها مساخيط زى ما أبوى جال لى؟
- أها، فيها، وأبوك اتوصيت بيه بزيادة عن الباجيين عشانك، وبَعَتّ لك حلاوتك معاه.. ولا هو موصلهاش ليك؟
- لا، إزاى؟ وصلته يابا الحج وفضلك مغرّقنا.
- اسمح لى أتكلم يا حج عمران..
- اتفضل يا أستاذ كريم.. ده يا يحيى الأستاذ كريم، راجل جاى

من مصر وله معنا ياما فى شغلنا.
- عارفه يابا الحج.. أبويا حكا لى عنيه..
- طب تمام يا ولدى، ندخلو فى الشّغل.. عاوزينك تساعدنا فى فتح بجية المجبرة دى..
- اللى تشوفه يابا الحج وأنى جاهز للشغلانة واللى انتَ تجول عليه يابا الحج سيف على رجبتى.. بس فيه حاجة الأول..
- حاجة إيه يا ولدى جول..
- أجعد مع الأستاذ كريم لوحدى ويكون معانا بس عم عتمان والأستاذ صابر..
- هاه، أنت هتتشرط يا ابن مغاورى؟ انتَ اتخبلت فى عجلك عاد ولا إيه؟
- لو سمحت يا حج عمران.. أنا كمان عاوز أقعد معاه..
- ماشى يا أستاذ كريم.. علشان خاطرك وبس.. جوم يا مغاورى وصّلهم للمضيفة التانية.

***

بالتأكيد لم يكن عمران راضيًا عما يحدث وأن ينفرد كريم بيحيى وصابر وعتمان، فهو يعتبر هذا إهانة كبيرة له بأن يتم إبعاده عن أى شىء من أمور العمل، لكنه كان حكيماً لدرجة أن يجعل مصلحة العمل فوق كل شىء؛ فهو فى النّهاية يعرف مكانته وقدرته بين الجميع، فسمح لهم بالجلوس معًا حتى يتشاوروا فى أمرهم حيث جلس أربعتهم معًا فى تلك الغرفة دون أن يكسر أحدهم حاجز الصّمت إلى أن اقتحمه كريم:

- أدينا لوحدنا يا يحيى.. قول بقى عاوز إيه؟
- أول شيء وجبل ما نتكلم كل واحد فينا يصرف تبّاعه..
- إنتَ عتجول إيه ياد؟!
- ده شرطى يا عم عتمان.. الكلام اللى هنجوله سرى وأنا نفسى هاصرف تبّاعى..
- خلاص يا جماعة اعملوا اللى يحيى بيقول عليه، هو أىْ نعم أصغرنا بس كبر وبقى راجل..

تبادل عتمان وصابر النّظرات فى غضب شديد من عتمان قبل أن يشير له صابر بأن يوافق على الأمر..

ولم تمضِ إلا ثوانٍ حتى تحدث صابر:

- أهوه يا سيدى أدينا عملنا اللى انتَ عاوزه..
- هو سؤال يا أستاذ كريم.. إنتَ عاوز تفتح المجبرة دى ليه؟
- فى البداية جيت عشان الآثار والتماثيل لكن أمّا شُفت المقبرة عرفت إن فيها اللى أهم من كده، وده اللى أنا عاوزه.
- طب بص يا أستاذ كريم.. المجبرة دى فيها كنوز كتيرة من ذهب خالص لمساخيط وعملات جديمة من عصور مختلفة، لكن فيها كنوز أكتر.. ودى اللى عليها الكلام..
- كنوز أكتر إزاى؟
- أنا عارف بالورقة اللى انتَ أخدتها واللى انتَ عملته ودرسته عن المجبرة.
- انتَ مراقبنى بقى..
- لأ، مش أنى، دول حرّاس المجبرة هما اللى متابعينك..

- طب وهما عملوا كده ليه؟

- المجبرة دى يا أستاذ كريم بيحرسها أربع ممالك من الجان مختلفين وكلهم جم فى فترات زمنية مختلفة تم تسخيرهم لحماية المجبرة دى من طرف الكهنة اللى كانوا فيها، وأنى اختارونى أكون الحارس من بنى البشر لحين فتحها بالشّكل المناسب أو إنى أموت ويموت سرها معايا لحد ما ييجى حارس جديد بعدى..

- إزاى على فترات مختلفة؟

- يعنى المجبرة دى متعملتش فى يوم وليلة، وهى مش مجبرة بالمعنى المفهوم، هى زى مكان سرى إكده كان بيجتمع فيه كهنة كبار فى عصور مختلفة للفراعين وكانوا بيخططوا فى المكان ده لكل شىء..

المكان كان محمى بحرّاس من البشر وكمان من الجان لأنه مكان سرهم الكبير..

- حلو قوى.. إيه بقى سرهم الكبير ده؟

- "العلم".. العلم يا أستاذ كريم.. المجبرة دى مليانة أسرار كتيرة عن الفراعين وعن غيرهم، كانوا بيجمّعوا العلوم من البلاد اللى كانت موجودة وقتها ويسجلوها فى المجبرة دى فى برديات وكُتب وعلى الجدران..

- أسرار زى التحنيط مثلاً؟

- لا، أكتر بكتير.. التحنيط ده حاجة صغيرة.. أنا باتكلم عن كل شىء: فلك، طب، هندسة، فيزيا... كل حاجة يا أستاذ كريم..

- طيب إنتَ بقى تعرف تفتحها؟

- بعون الله أجدر عليها.. أنى آه لسه ولد صغير لكنى حارس المجبرة من تلت سنين وحرّاسها علّمونى كتير عن اللى جواها، وأنا اللى جُلت للحج عمران عليها، وأنى اللى أذنت ليهم إنهم يأذنوا لعم عتمان بفتح المدخل، بس مكنتش ناوى على أكتر من إكده، كنت طمعان فى مال والحج إدانى أنى وأبوى كتير..

- طب وإيه اللى غير رأيك؟

- انتَ لمّا جيت وشُفتها وأخدت البردية هما تبعوك ولجوك مهتم باللى جوه فقرروا إن السّر ينفتح بعد كل الزّمن ده، همّا شايفين فيك حاجة يمكن انتَ متكونش شايفها فى نفسك حتى، بس همّا ليهم شرط يتاخد عليك العهد زى ما اتاخد عليّا وكمان عم عتمان والأستاذ صابر.

- عهد إيه ده؟

- عهد حراس المجبرة إنك تحافظ على العلوم اللى جواها، ده شرطهم إنها ما تتسرجش ومتخرجش بره البلد.. طلع مساخيط زيّ ما انتَ عاوز، بس علم لأ، وأنا عليّا أوصّل الرّسالة ليك وانتَ تشوف..

- بس أنا مش لوحدى وأنا مش كبير الأمر..

- همّا عارفين.. بس عارفين إنك تجدر تعمل كتير..

- طيب هشوف النّاس اللى معايا وأرد عليك تانى..

- تمام، بس أنا بجى ليّا طلب كمان..

- إيه الطّلب ده يا سيدى؟

- حلاوتى نص مليون إجنيه..

- إيه!! نص مليون جنيه؟ دا أنا نفسى مباخدهمش.

- لا، بتاخدهم يا أستاذ كريم.. والمجبرة دى مش هتدخل ليكو كتير فمستخسر فيا نص مليون؟

- بس انتَ تبع عمران.

- وأنا جُلت لك تجول له.. النّص ده منيكو انتو إنما اللى عم عمران هيديهولى ده حاجة تانية..

- خلاص هسأل النّاس اللى فوق وأقول لك..

- بس رد عليّا بسرعة يا أستاذ كريم.. المجبرة مينفعش تتساب كده وإلا همّا هيجفلوها..

- همّا مين دول؟

- اللى بيحموها وإبجى سلم لى على فريد بيه..

- انتَ شكلك واثق يا يحيى..

- مش أنى، دول حرّاسها اللى واثقين وكمان واثقين فيك.

نظر إليه كريم مندهشًا ومتعجبًا من كل تلك الثّقة التى يحملها هذا الفتى الصّغير ابن السّبعة عشر عامًا، فإن امتلك كل هذا من حرّاس المقبرة فماذا سيمتلك مما بداخلها؛ لذا حزم أمره سريعًا مبادرًا بإعلان قراره الخاص..

- أنا هاخد العهد..

- استنى يا كريم متستعجلش فى قرارك..

- فى إيه يا صابر؟

- بص يا أستاذ كريم.. العهد ده عهد غليظ مع أربع ممالك من الجان، بيه هيحموك وانتَ تحمى المجبرة.. أنى وصابر نجدر ناخدو العهد؛ عندنا اللى يحمينا منيهم ويحيى هو الحارس الخاص بالمجبرة وانتَ لو ماوفيتش بالعهد هيكون فيها حياتك..

تردد كريم قليلاً لكنه عاد مجددًا واثقًا مؤكدًا قراره ورغبته فى

أخذ العهد مع حراس تلك المقبرة..

- حياتى!!.. وأنا موافق آخد العهد.

أخذ كريم العهد، شعر بانتشاء وبقوة وإثارة وخوف فى الوقت نفسه منبهرًا بما قدمه له يحيى وحرّاس المقبرة، لكنه ليس صاحب القرار الوحيد، عليه أن يتحدث مع فريد المرشدى من أجل أن يكتمل العمل وإحضار أموال يحيى وطرح كل شىء على سميح وفريد المرشدى معًا، بعدها خرج كريم ليخبر عمران بأنهم سينهون العمل على ما أتوا به فى المرة الأولى وأنهم الآن سيحتاجون لبضعة طلبات من القاهرة لكى تُفتح المقبرة، سيأتى بها صابر وسيعود فى غضون أيام وأنهم عليهم أن ينصرفوا الآن حتى لا يضيّعوا المزيد من الوقت.. وأشار إلى سميح الذى تجاوب معه من دون أن يلفت انتباه عمران،

فجلس معه عمران لكى يتفاهما على كيفية إنهاء الصّفقة..

طريق العودة.. الواحدة ظهرًا..

شق كريم ورفاقه طريقهم عائدين إلى القاهرة بعد أن أنهى سميح كل اتفاقاته مع عمران ثم تحدث مع الباشا فى الهاتف وأخبره أنه أتم الصّفقة الأولى مع عمران فقط، ويتبقى إرسال الأموال لتسَلُّم البضاعة المتفق عليها، فطلب منه الباشا أن يعمدوا رأسًا إليه فى قصرة دون الذهاب إلى أىّ مكان آخر، فأبدى سميح كل آيات السّمع والطاعة، لكنه إلى الآن لم يعلم ماذا حدث فى تلك الجلسة التى جرت مع يحيى والحديث المقتضب الذى قام

به كريم مع الحج عمران مؤكدًا أنهم فى طريقهم إلى القاهرة لإحضار بعض الأشياء سيأتى بها صابر، رغم تأكيد عمران أن أىّ شىء يريدونه يمكن أن يجدوه فى عاصمة محافظته وأن عتمان يأتى بها من هناك لكن تأكيد عتمان أن تلك الحاجيات لن تأتى إلا من القاهرة هو ما أسكت عمران وما دفع سميح للسكوت مع إشارة كريم تلك بالصّمت لكنه لم يعد يتحمل الصّمت أكثر من ذلك من دون أن يعرف ما حدث فى تلك الغرفة..

- حد فيكم بقى ممكن يعرّفنى إيه اللى حصل فى القعدة اللى دارت بينكم؟

- الواد مش سهل يا سميح، وللأسف مش هنفتح المقبرة دى إلا بمساعدته.

- يعنى إيه؟ ما هياخد اللى فيه التّصيب يا صابر ويفتحها..

- الواد طالب نص مليون جنيه مننا غير اللى هياخده من عمران.

- نعم؟! انتَ اتجننت يا كريم؟ طب قُلت له إيه؟

- أنا مقلتش حاجة أنا قُلت له هاشوف النّاس اللى فوقى وأرد عليه..

- واوعى بقى تكون قُلت له اللى فوقك مين زى ما حكيت والموضوع وصل للدكتور حسين..

- موضوع حسين ده حاجة تانية وهاحلّها خلاص.. إنما اللى انتَ متعرفوش إن الواد طلب منى أسلم على فريد باشا..

كعادته الدّائمة فسميح هو أكثر من يتلقى الصّدمات، فضغط على مكابح سيارته بكل قوة موقفًا إيّاها مُبديًا استغرابه من هذه الجملة التى قالها كريم... أيعلم هذا الفتى بأمر الباشا؟ لم يكن

يستطيع أن يتفهم ما يحدث لولا أن بدأ له صابر الشرح بقدرات الفتى وإمكانياته الكبيرة بما يخاويه من جان وأنه ربما يفوقه هو وعتمان مجتمعين إن أحسن استغلال هذه القدرات..

- إنتَ هتجننى انتَ كمان يا صابر؟!!
- لا يا سميح، بس الواد مش سهل ولازم نطاوعه.

***

ألَم إرهاقُ السّفر بثلاثتهم لكنهم لم يكونوا مخيّرين، فعليهم الذهاب مباشرة إلى فريد المرشدى وإلا حلت بهم لعناته وهم فى غنى عن ذلك، عند وصولهم وجدوا من هو فى انتظارهم من رجال الباشا الذى قادهم إلى إحدى التراسات فى حديقة المنزل حيث جلس فريد المرشدى، تقدموا جميعًا تجاهه فأشار إليهم بالجلوس، ثم ظل ينظر فى تلك الجريدة التى فى يده بعض الوقت بعد أن رد عليهم التحية بإماءة من رأسه ثم وضعها جانبًا متظاهرًا بأنه قد أنهى قراءة أحد الأخبار المهمة، بعد أن تنحنح سميح مرات عدة من دون أن ينطق بكلمة واحدة، بينما كريم كان قد تململ قليلاً فأخرج هاتفه يتفحص إحدى الألعاب فيه، أما صابر فقد جلس منتبهًا منتظرًا ما سيقوله لهم الباشا..

- خير، عملتم إيه يا سميح؟
- كله تمام يا باشا زى ما قُلت لحضرتك، اتفقنا مع عمران على السّعر وميعاد التسليم، فاضل بس إن معاليك تؤمر لينا بالفلوس نقبّضه ونشيل البضاعة..

- تمام، وبقية الشّغل يا صابر.. عملت إيه؟

- كلام كريم طلع صح يا باشا، المقبرة ليها كمالة، أو بالأصح اللى اتفتح ده مجرد مدخل صغير للى جاى..

- تمام، وعملت إيه فيه؟

- فى الحقيقة يا باشا المقبرة دى عشان تتفتح محتاجة واد من هناك هو اللى مخاوى الجان اللى حاميها ومش هتتفتح من غيره.. وعمران جابه وأنا وعتمان وكريم اتكلمنا معاه، وهو وافق.. بس له شرط صغير معاليك..

- إيه الشرط ده يا كريم؟ ما تقول حاجة بدل ما انتَ ساكت..

- فى الحقيقة يا باشا هو له شرطين مش شرط واحد، الشرط الأول علمى؛ هو بيقول إن المقبرة فيها علوم وتاريخ عاوزنا نحميها ومنبيعهاش ونسلمها للدولة.. والشرط التّانى نص مليون جنيه غير اللى عمران هيدّيه له..

لم يجب فريد المرشدى مباشرةً، بل ظل صامتًا بعض الوقت يتفحص وجوههم، فقد تصبب سميح عرقًا، وصابر ينظر مبتسماً، بينما كريم ظل بارد الملامح.. أخرج سيجارًا جديدًا من العلبة التى تقبع أمامه ثم قام بإشعاله قبل أن يسمح لصابر بأن يحصل على أحدها مشعلاً إيّاه، فقد شعر صابر بفخر بأن يدخن مثل هذا السّيجار الفاخر الذى لم يعتده ولم يألف رؤيته أبدًا.. ورغم أنَّه متمرس فى شرب الجوزة ومدمن للسجائر فإنه قد سعل كثيرًا وقد احمرّت عيناه من أنفاس قليلة جعلت الجميع يضحكون عليه بينما أنهى الباشا تلك الضّحكات بإعادة الحوار من جديد:

- وعلوم إيه بقى اللى عاوز يحميها..

- يحيى ده بيقول إن المقبرة دى، معاليك، لكهنة تابعين للمعبد وكانوا فى تنظيم سرى بيحموا كل الأسرار الخاصة بكل العلوم، وده مقر ليهم، وهو طالب إن إحنا منبيعهاش، يا إمّا نسلّمها للدولة يا نقفلها تانى.

- وهو ماله نعمل بيها إيه؟

- بعد إذنك يا باشا أتكلم.. هو ده مش طلبه هو ده طلب حرّاس المقبرة اللى همّا خدّامه..

- طب ورأيك إيه يا صابر طالما انتَ بتقول إن ده رأى الحرّاس؟

- رأيى إن كلامه صحيح يا باشا ولازم نحمى الحاجات دى وإلا مش هتتفتح أبدًا.

- طيب، والنّص مليون دول لإيه؟

- بيقول لك معاليك إن ده نصيبه غير اللى هياخده من عمران وهو قالنا إننا هنكسب منها كتير..

- ورأيك إيه يا كريم؟

- واللّه يا باشا أنا لسه مشُفتش اللى جواها عشان أقول كتير ولا قليل بس العينة بينة..

- وهتشوفها لمّا تتفتح طبعًا؟

- لا يا باشا، احنا اتفقنا إن كريم يشوفها المرة الجاية عن طريق الجان ولو قال إنها تساوى نتوكل على اللّه..

- ومين اللى اقترح كده يا صابر؟

- أنا وعتمان معاليك..

- طب ومعملتوش كده ليه؟

- لأننا محتاجين إذن خدّام يحيى وهو مش هيوافق إلا بالفلوس..

- طيب، سيبونى أفكّر وأردّ عليكم.. أمّا بالنسبة للعلوم فنتكلم

فيها فى وجود حسين..

- بعد إذن معاليك.. بالنسبة للى حصل مع حسين...

اعترض فريد المرشدى على كريم بإشارة من يديه جعلته يتوقف عن إكمال جملته ثم وقف فريد المرشدى معلنًا عن نهاية الحديث مترجلاً تجاه القصر بضع خطوات قبل أن يلتفت إلى كريم:

- تيجى لى بكره الساعة خمسة، هيكون حسين هنا وتجيب البت اللى كلمتها معاك..

- اللى تؤمر بيه معاليك..

أنهى فريد المرشدى حديثه متوجها إلى قصرة بينما أتى أحد الحرّاس لاصطحابهم إلى مكان سيارة سميح الذى ارتاح نتيجة إخراج الباشا له من هذه المشكلة، بينما كريم فكر بأسرع شكل ممكن كيف سيُخرج مايا من هذه المشكلة وطالما أن فريد المرشدى قد طلب حضورها فيجب حضورها بكل تأكيد...

***

فى توقيت كهذا بكل تأكيد سيسألك أحدهم ماذا تريد عندما تدخل إلى استقبال المشفى الخاص الذى يمتلكه شريف لأن الساعة الآن تقارب التاسعة مساءً، زد على ذلك وجود نزيل مهم مثل نسيم العتال، لكن وجود كريم معتاد فى المشفى، فهو صديق للدكتور شريف، خاصة أنه قد ترك رسالة فى الاستقبال بإخباره أنه فى مكتبه وأن يذهب إليه مباشرة.. رحب موظف الاستقبال بكريم وأخبره بأن الدّكتور شريف ينتظره فى غرفته

الخاصة بالمشفى، فشكره كريم وذهب إليه يلقى التحية على من يعرف فى المشفى خاصة من الممرضات، فسيبدو لك إن لم تكن تعرفه أنه أحد أطباء المشفى لكنه اعتاد الوجود هنا رفقة صديقة شريف..

بعد عدة طّرقات على باب الغرفة لم ينتظر أن يجيبه شريف بل بادر إلى الدّخول للغرفة فرآه شريف الذى استقبله محيّيًا إيّاه ثم طلب فنجانين من القهوة لكليهما، فشريف إلى الآن لم يغادر المشفى منذ أن أتى فى فجر الليلة الماضية حتى إنه قد ألغى كل الحجوزات فى عيادته الخاصة فى هذا اليوم...

- إيه يا عم.. كنت فين كل ده؟
- ما انتَ عارف إنى كنت مسافر فى شغل.. وبعدين دا أنا مشيت إمبارح..
- حمدًا لله على السلامة.. ها، عملت إيه؟
- لا، سيبك منى.. أخبار صباح إيه؟
- هى الحمد لله كويسة، ممكن تخرج بكره أو بعده بالكتير..
- طب تمام، طمّنتنى عليها، بس السّؤال بقى إنتَ موجود هنا ليه لدلوقتى..
- اسكت، أنا هنا من قبل الفجر عندنا نزيل مهم..
- مين يا سيدى؟!!
- مش هتصدق.. نسيم العتال.
- نسيم العتال.. نسيم العتال؟
- أيوه، نسيم العتال بنفسه، السّياسى اللامع ورجل الدّولة الحالى..

- طب وده ماله؟

- جه فى حادثة وأنا هنا من ساعتها مينفعش شخصية زىّ دى تسيبها كده مرور الكرام، ومن ساعتها بقى شرطة ونيابة وصحافة وتليفزيون وشخصيات مهمة.. كنت قاعد النّهارده فى مجلس الوزرا تقريبًا، كلهم جم عشان يزوروه..

- ابسط يا عم.. الحكومة كلها عندك..

- مشُفتش انتَ الشّدّة اللى المستشفى كان فيها وقت دخوله.. بس باين عليه راجل محترم..

- بص.. كل اللى أقدر أقوله لك إنه ملوش فى الآثار.

- لا يا شيخ، نوّرت المحكمة..

- المهم، هاقوم أنا أشوف صباح..

- طب استنى نشرب القهوة ونقوم؛ إنتَ تروح لصباح وأنا هاعدّى على نسيم العتال الأول وبعدين آجى لك..

***

دَلَف شريف، بعد أن استأذن أولاً، إلى غرفة نسيم العتال التى لم تهدأ منذ الصّباح، حيث استقبل الكثير من كبار الزّوار من وزراء ومستشارين حكوميين ومبعوث من مؤسسة الرّئاسة ورئيس الوزراء بنفسه.. فكلهم قد أتوا للاطمئنان على حالته قبل أن يبدأ الهدوء داخل الغرفة، رقد نسيم العتال فى حالة من الإرهاق وإلى جواره زوجته وابنه لم يغادرا المكان، بينما كان كارم فى الخارج يُجري بعض المكالمات بعد أن أُنهك فى ظل أحداث هذا اليوم.. رسم شريف الابتسامة على وجهه محيّيًا نسيم العتال قبل أن يبدأ معه الحديث:

- مساء الخير يا نسيم باشا.. أخبار معاليك دلوقتى إيه؟
- مساء النّور يا دكتور.. الحمد لله، بس مُجهد جدًا..
- ده أكيد، اللى حضرتك عملته النّهارده مجهود كبير من كل الزّوّار اللى حضروا هنا حبايب معاليك كتير..
- هنعمل إيه يا دكتور شريف.. ربنا يديم علينا محبة النّاس.
- ونِعْمَ بالله يا نسيم باشا.. بس أنا ليّا رأى إن معاليك تقلل الزّيارات اللى بتيجى لك، يعنى المدام وأستاذ كارم مدير مكتب حضرتك يحاولوا يعتذروا من النّاس بصنعة لطافة كده..
- يعنى أرجّع رئيس الوزراء مثلاً واعتذر له، ولا أرجّع مبعوث الرّئيس..
- لا، دول ميتقالش ليهم لأ يا نسيم باشا.. بس معاليك أنا ليّا عندك طلب صغير..
- اتفضل يا دكتور شريف..
- إحنا من الصّبح عندنا صحافة وتليفزيون وكتير منهم بره المستشفى وأنا كلمتهم أكتر من مرة، كله عاوز يطّمّن على معاليك فياريت بس تسمح سعادتك تحدد مثلاً ليهم عشر دقايق بكره، تعمل فيها لقاء معاهم يطّمّنوا على صحتك عشان نرتاح من دوشتهم ودكاترتنا هيكونوا مع حضرتك عشان لو حصل حاجة..
- أنا متفهم كلامك يا دكتور شريف.. وعمومًا هبلغ كارم يعرّفهم بالمعياد اللى ح تتفقوا عليه.
- شكرًا يا فندم.. وأنا خارج هاكلمه وهو يرتب كل حاجة مع إدارة المستشفى قبل ما يروّح الرّاجل تعب الصّراحة من الصّبح.
- كارم ده زىّ ابنى بالظبط، كان معايا فى مكتب المحاماة وهو ولد كويس ومن الشّباب اللى عندهم وطنية كويسة وأنا

مضميتوش لشغلى عشان هو معرفة لكن ده كان عملاً بمبدأ "تمكين الشّباب"..

- هو باين عليه يا فندم.. وبالمرة بقى واسطة من معاليك أتمكن أنا كمان وأمسك وزارة الصّحة أحاول أصلح البلاوى اللى فيها..

ابتسم الجميع على ما قاله شريف، فقد سعى دائمًا لخلق جو من المرح مع نسيم العتال، وجلس معه قليلاً يطمئن عليه قبل أن يتركه مستأذنًا واعدًا إيّاه بأن يراه فى الصّباح الباكر مرة أخرى ليطمئن عليه من جديد.

***

سعادة بالغة انتابت صباح حينما رأت كريم يدخل عليها مبتسماً حاملاً بين يديه باقة من الورود قد ابتاعها خصّيصًا لها، فهبت واقفه فى استقباله فحذرتها الممرضة لكنها بعد ذلك رأت كريم يقف خلفها.. استأذنت منهم وتركت الغرفة فاندفعت صباح فى اتجاهه، احتضنها بين ذراعيه، وألقت برأسها على صدره، محتضنةً إيّاه بشدة من دون أن تتحدث بأىّ كلمة وهو يداعب شعر رأسها بيديه

ثم رفع وجهها إليه ناظرًا إليها متأملاً كل تلك المتناقضات فى تعابير وجهها من فرحة وحزن ولوم وسعادة... احتضنها بشدة هو الآخر قبل أن يحدثها:

- أخبارِك إيه يا صبوحة؟ وحشتينى..

- زعلانة منك؛ تمشى وتسيبنى..

- معلهش يا صباح، شغل، وبعدين شريف كان موجود..
- بس دكتور شريف مش حبيبى..
- طب تعالى نقعد كده الأول وبعدين نتكلم..

اصطحبها إلى سريرها، جلست عليه، ثم جذب الكرسى مجاورًا لها لكى يجلس عليه هو الآخر، أمسك يدها ناظرًا إليها فى حالة من التضاد، هذه الحالة نفسها التى تتملكها: "حزينة على فقدان أهلها وسعيدة بوجوده بجوارها بعد أن شعرت بأنها وحيدة"، فبمجرد رؤيته شعرت وكأن الدّنيا كلها بجوارها.. بطيبة كبيرة وقلة فى الطّموح، هى كل ما تمتلك من تفكير وذكاء، فقمة طموحها لحظات تختلسها بين أحضانه ومستقبل لأبنائها الصّغار الذين رحلوا عن عالمنا ولكنهم لن يرحلوا من قلبها أو من عقلها أبدًا..

- ها، أخبار صحتك إيه؟ شريف طمّني عليكى..
- عاوزه أمشى من هنا، عاوزه أروّح معاك..
- بس يا صباح لسّه شريف مقالش إنك تخرجى..
- أنا كويسة وهاكون أحسن وأنا معاك.. طول ما أنا هنا هافتكر اللى أنا فيه ومش هاتحسن أبدًا.

بدأت فى التّحيب مجددًا ترثى زوجها وأولادها الذين فقدتهم فى انهيار منزلها، وتتذكر وجوههم، فاقترب منها وجلس بجوارها راس ابتسامة على وجهه يشفق على حالها محاولاً تهدئتها، فرغم كل ما به من سوء فهو أب ويشعر بالأسى إن مس شىء ابنته التى لا يراها كثيرًا، فما بالك بأم تحب أبناءها وفقدتهم جميعهم

ومعهم زوجها؟!!.. جفف الدّموع في عيونها طابعًا قُبلة على جبينها مناجيًا إيّاها من أجل أن تتوقف، فهو قد خشى عليها كثيرًا دائمًا من دون أن يعلم ما يشعر به تجاهها، لكنها لها مكانة خاصة فى قلبه:

- خلاص يا صباح.. بطّلى عياط بقى.. أنا هاكلم شريف تروّحى معايا النّهارده..

بدأت ملامحها فى الارتياح ثم نظرت إليه فى سعادة بما سمعته منه بأنه سيصطحبها معه وظلت مبتسمةً له بشدة محتضنةً إيّاه..

- صحيح يا سى كريم هتاخدنى معاك؟
- آه يا صباح، هاخدك معايا.. بس بطّلى عياط بقى وبطّلى سى كريم دى كمان.

***

منزل نور.. العاشرة مساءً..

ملاك هى كعادتها.. طفولتها، براءتها، بهاء طلتها، روحها المرحة، نقاؤها دائمًا وأبدًا.. هى مريم تلك الطّفلة الصّغيرة التى يتمناها الجميع.. هؤلاء الأطفال التى ترى صورهم وفيديوهاتهم تتصدر مواقع التواصل وتجد الفتيات والأمهات، بل وكثير من الرجال، يتوقون لأن يكونوا أمهات أو آباء لمثلها من بنات بهذا الجمال والمرح، لكن زد على ذلك نقاءها.. نعم، وصفتها لك من قبل ولكنى فى كل مرة أراها لا أفعل شيئًا إلا أن أعوذها بالله من

عينى قبل أعين الآخرين، أعوذها بالله من كل الشرور.. تلهو كعادتها بمقتنياتها فى قمة سعادتها، بجوارها تجلس أمها.. امرأة لا أعرف مجددًا سببًا لما جعل كريم يفعل كل ذلك معها.. تقرأ فى أحد الكتب وتداعب ابنتها بين الحين والآخر، وكالعادة تفكر فى حالها، فليس سهلاً ما هى فيه مهما بلغت قوتها أو ثقافتها..

من بين شرودها ولهو ابنتها أخرجها صوت الهاتف الخاص بها الذى علا بنغمة عرفتها؛ فقدْ خصصتها لشخص بعينه لكنها لم تتوقع أن يتصل صاحبها أبدًا عليها فى مثل هذا الوقت، بل إنه اتصال غير متوقع، لم يكن من شخص غريب بل من رجل يومًا ما كان زوجها، كريم.. نعم هو اسمه على الشّاشة فلم يختلط الأمر فى تخصيص النّغمات.. فرحت، اضطربت، استغربت، بل اندهشت، ماذا حدث ولماذا يتصل!! أخذت تفكر لثوانٍ لكنها عادت وسارعت لترد عليه..

- آلووو..
- ألوو.. إزيك يا نور.. أزعجتك ولا حاجة؟
- لا، أبدًا أنا كنت قاعدة مع مريم..
- هى لسّه صاحية؟
- آه، بنتك مبتنامش دلوقتى يا أستاذ..

لحظات من الصّمت سادت بينهما لم يعرفا فيما يتحدثان قبل أن تتحدث هى مرة أخرى:

- خير يا كريم.. كنت عاوز حاجة؟

- لا أبدًا، أنا كنت باطّمن عليكم بس عشان آخر مرة ملحقتش أقعد مع مريم.
- ولا يهمك، تتعوض المرة الجاية.. صحيح إيه أخبار صباح دى؟
- ولادها وجوزها ماتوا وبيتها اتهد وكانت من يومها محجوزة فى المستشفى..
- يا الله.. بس يظهر إنها مهمة عندك إنك مفتكرتش مريم إلا دلوقتى!!
- لا، أبدًا، كنت مسافر فى شغل ولسّه جاى، دا أنا حتى فى المستشفى عند شريف.

توقفا عن الحديث مجددًا.. هى شعرت بأنها قد أظهرت نوعًا من الغيرة عليه بغير قصد، أخذت تؤنب نفسها، لكنها لم تلاحق هذا التأنيب برد جديد عليه:

- شغل تبع الشركة يا كريم ولا شغل من التانى؟
- لا، شغل تبع الشركة يا نور.. المهم سلمى لى على مريوما لحد أمّا آجى أشوفها..
- إيه.. مش عاوز تكلمها؟
- طيب...

أعطت لمريم الهاتف مخبرةً إياها بأن والدها هو المتحدث، فسارعت إليه تحدثه بروح الطّفلة بداخلها مُبديةً لهفتها عليه وغضبها منه لأنه تركها ورحل.. ظلت نور تتأمل ابنتها التى لم تترك شيئًا إلا وحكته لوالدها.. قرابة عشر دقائق أو يزيد، ثم نظرت لأمها مخبرة إيّاها أن أباها يريد أن يأتى لرؤيتها بعد غد،

فأجابتها بالموافقة، فنقلت مريم الموافقة إلى والدها بمنتهى السّعادة، لكن نور هى الأكثر سعادةً؛

فرغم كل شىء هى أنثى ولها قلب يتنفس بهواه..

***

لم يكن الأمر سهلاً بأن يسمح شريف لكريم باصطحاب صباح للمنزل، لكن كريم وعده بأنه سيرعاها بنفسه وأنها هى التى طلبت ذلك، وإذا حدث شىء ما فسيعيدها للمشفى ثانيةً، وكذلك شريف سيكون بجوارهما فى السّكن فيمكنه متابعتها من وقت إلى آخر.. لذا رضخ شريف للأمر ووافق فى النهاية على خروج صباح رفقة كريم..

فى منزل كريم دخلت صباح تتأمله وكأنها تراه للمرة الأولى، هائمةً، تارة تبكى وتارة تفرح.. جهز الطّعام لكليهما ثم استبدل ملابسه وهى أيضًا ارتدت بعض الملابس التى اشتراها لها سريعًا فى طريق عودتهما، ملابس منزلية، بالإضافة لتلك الملابس الموجودة لها من الأساس، لكنها كانت كلها ملابس داخلية.. أخذ يتحدث معها لكى يهدئ من روعها، احتضنها، شعر بما فيها وهى شعرت بالدّفء بين يديه، اتخذا قرارهما أخيرًا بأن يناما، فتلك هى المرة الأولى التى تبيت فيها بمنزله، وياللصّدفة فتلك هى المرة الأولى لصباح التى تعرج معه فيها إلى سريره ولا يضاجعها أو ينهل من جسدها، مستكينة ضعيفة وحزينة، يحتضنها مراقبًا إيّاها وهى نائمة، تظهر عليها مشاعر الحزن جليّة فى تعابير وجهها رغم انها الآن تشعر براحة للمرة الأولى منذ تلك الفاجعة التى ألمت بها، لكن الحزن لم يغادرها حتى وهى نائمة..

أخذ كريم يفكر كثيرًا.. لماذا صباح التى يشعر تجاهها بكل ذلك؟ ما هذا الشّعور الذى انتابه عند رؤيتها فى المشفى عندما حدّثها؟ شعور دفعه إلى أن يتصل بنور ويطمئن على ابنته وكأنه عثر على شىء بداخله جعل شعور الأبوّة يزداد.. شعر باشتياق إلى محبوبته الصّغيرة سعيدًا بأنه سيراها بعد يومين، وعاد مجددًا يشفق على صباح، ضمها بين ذراعيه يتأملها إلى أن غط فى سُبات هو الآخر..

***

حسب الموعد الذى حدده كل من كريم ومايا، التقيا على الغداء معًا فى أحد المطاعم فى الثّالثة عصرًا مخبرًا إياها أنه سيصطحبها فى أمر بخصوص تلك المقبرة، وقد تتأخر فى عودتها؛ لذا أودعت ابنتها فى عناية والدتها، وبعد أن أنهت عملها فى الجامعة ذهبت للمطعم فوجدته يجلس بانتظارها.. كعادتها ارتبكت لرؤيته وشعرت بما شعرت به فى أول مرة دق قلبها تجاهه، وفى كل مرة تراه فيها وهو أيضًا شعر بها وبحبه لها يسكن فى قلبه فى كل مكان رغم كل تلك السّنوات وكل هذا البعاد، لكن الحب يبقى فى القلب، فمن قال إن الحب يُنسى خصوصًا إن كان الحب الأوحد لأنه لا يوجد حب أول فلو أنك أحببت بعده فلتعلم أن الأول لم يكن بالحب أبدًا..

تأهب كريم لاستقبالها بابتسامة كبيرة رحّب بها، وجلسا معًا، تبادلا عبارات روتينية فى بداية الحديث كل منهم يطمئن على الآخر وعلى أحواله.. طلبا الطّعام وفى أثناء انتظارهما لقدومه شرع كريم فى الحديث سريعًا:

- ممكن بقى تعرّفينى ليه كلمتى دكتور حسين؟

- فى الحقيقة يا كريم أنا عملت كده بحُسن نيّة؛ كنت محتاجة أتكلم مع حد أو أستشير أى حد، وانتَ تليفونك كان مقفول، فملقيتش حد أثق فيه إلا دكتور حسين..

- عارفة.. من حسن الحظ إن دكتور حسين طلع واحد مننا وإلا كنت أنا وانتى رُحنا فى داهية دلوقتى..

- كريم.. أنا لحد دلوقتى مش قادرة أتصور إن دكتور حسين، العالم الكبير، يطلع مهرب آثار، حتى لسّه مش قادرة أستوعب إن انتَ كمان كده..

- سيبك من كل ده.. انتى كلمتى حسين ليه؟

أخذت تشرح له ما وجدته من كلمات ومن رموز ومن عبارات وما استوقفها من معانى كل ما رأته والذى يؤكد لها أن هذا التنظيم يحمى العلوم والأسرار.. وهذا ما علمه كريم بالفعل وما أكده له يحيى.. لكنها أخبرته عن نقطة أخرى استوقفتها واستوقفته هو أيضًا لكنها لم تجد لها تفسيرًا مثله..

وهى أن هذا الكيان علم مُسبقًا بأنهم سينتهون أو أنهم سيُنهون أنفسهم، وهذا دليل على أن هذه المقبرة هى مخزن للأسرار والعلوم القديمة وتاريخ الحضارة الفرعونية..

استمع إلى كل ما قالته وافترضته من نظريات واستنتاجات قد توصلت لها ثم أخبرها فى النّهاية بأنها ستأتى معه ليلتقيا بالدّكتور حسين والرّجل الكبير فى هذه اللعبة فريد المرشدى.. فى البداية رفضت الأمر، لكنه أقنعها بأن هذا هو أسلم حل

لحمايتها، لكنه حذّرها من أن تتحدث فى شىء وأن تترك له هو دفة الحديث، وأخبرها بما تقول وكيف تجيب إلا إن كان سؤالاً خاصًا حول هذه المقبرة من النّاحية العلمية فلتتحدث كيفما تشاء.. فى النّهاية أخبرته بأن لها عنده طلبًا فى أن تذهب وترى المقبرة لكنه قال لها إن الأمر ليس بيديه ولكنه سيسعى ليحصل لها على إذن من الباشا، ولكن هذا سيعنى أنها ستكون معهم طرفًا أصيلاً فى هذه اللعبة، فوافقت بدافع من الفضول والحَدْس العلمى، ثم قاما إلى طريقهما حيث قصر فريد المرشدى والموعد المحدد، وهناك ينتظرهما الدّكتور حسين هو الآخر؛ فهذا قد نسميه "لقاء العلماء"..

***

حالة من الارتباك وتضارب فى الأفكار، لا تعرف بما تنطق أو أىّ الكلمات تتحدث بها، تشعر وكأن الدّنيا تدور بك وترى أمامك آخر شىء تتوقعه، هذا هو حال الدّكتور حسين عند رؤيته لكريم الذى وصل إليهم متأخرًا بعض الشىء ولكن لم يكن هذا ما أقلقه بل إنها مايا التى تسير بجواره، خداع استراتيجى، تغيير تكتيكى، إرباك لكل خطوات الخصم المحتملة توجه له ضربة قاضية فى بداية الأمر فيخضع هو لك راضيًا بما تفرضه عليه من شروط أو على الأقل لن يطمح بما هو أكثر..

قد تراها كلمات رنانة يستخدمها محلل أو خبير استراتيجى أو يتشدق بها ناشط أو مدعى ثقافة فى أىّ من تلك الحوارات التى تطالعنا بها عشرات، وربما مئات، البرامج كل يوم، لكن هذا هو الواقع طالما أنك أردت أن تلعب فعلى الأقوى أن يضع قوانين

اللعبة والأقوى يتغير دائمًا، أما فريد المرشدى فقد سعى دائمًا ليكون هو الأقوى، سعى لفرض سيطرته، فالآن لم يعد أمام حسين أىّ ورقة ضغط أو أىّ ورقة يلعب بها من الأساس؛ فقد أحرق فريد ورقته الوحيدة.. الآن الكل يلعب على رقعة شطرنج مكشوفة، فعلينا أن نجلس وأن نضع خطتنا إن أردنا أن نكون صفًا واحدًا، وغالبًا ما يكون الملك هو المخطط ويدع الوزير للتنفيذ..

دقائق أخذها حسين حتى يتفادى أثر هذه الصدمة، قليل الكلام، لا يستطيع أن يرتب أفكاره أو أوراقه، فكل خططه قد نُسفت من الأساس، بل إن كل أوراقه قد بُعثرت على طاولة المفاوضات التى انعكست موازين قوتها، بل قل إنها لم تنعكس؛ فدائمًا ميزان القوة يصب فى صالح المرشدى، لكن حسين توهّم للحظات أنه يستطيع أن يوازنه:

- أظن كده كل الموجودين عرفوا بعض بعد ما حضرتك اتعرّفتى عليّا يا دكتورة؟

- فى الحقيقة يا فريد بيه أنا جبتها زى ما معاليك قُلت وهى أفادتنى كتير فى الموضوع..

- إيه يا حسين.. ساكت ليه. فين آراءك اللى كنت بتقترحها قبل ما ييجوا..

- ها، أنا لسه عند رأيى يا فريد بيه إنى أشوف المقبرة مع كريم..

حاول حسين أن يستجمع رباطة جأشه وأن يظهر أنه لم يتأثر فهو يعلم أن مايا الآن قد أصبحت تحت سطوة فريد المرشدى،

سواء بإرادتها أو على غير إرادتها، وأنها لن تكون خطرًا عليه لكن الخطر الرّئيسى هو المرشدى نفسه..

- وإنت يا كريم.. إيه رأيك؟
- يا باشا.. الأمر لمعاليك.. عاوزين ييجوا أهلاً وسهلاً، لكن أنا كل مدى باتأكد إن المقبرة دى لسّه وراها حاجات كتير مظهرتش..
- تمام، ممكن بقى تشرحوا ليّا كلكم إيه اللى كل واحد فيكم وصل ليه؟

لم ترتح مايا لأسلوب الحوار، فقد شعرت لوهلة أنها أصبحت مأمورة بما يقوله المرشدى وأن قدميها تغوصان فى الوحل بشكل أكبر..

بدأ كل منهم يشرح ما توصل له، وبدأ كل منهم يسرد ما لديه من أمور...

لكن، أولاً دعنى أبين لك بعض الأمور.. إن التاريخ المصرى الفرعونى المؤرخ بدأ منذ عهد الملك نارمر، الذى سعى لتوحيد القطرين، ومن بعده أتمّه الملك مينا الذى أتم توحيد البلاد.. كل هذا جيد، لكن ما علاقته بهذه المقبرة؟ فما يفترضونه الآن أنها لتنظيم كان موازيًا للمعبد أو منبثقًا منه، يحمى الأسرار والعلوم، لا نعلم صحة الأمر بعد، لكن علينا أن نعلم الآتى، أنه فى مصر القديمة تعددت الآلهة غير أن الإله آمون رع أقوى الآلهة المصرية القديمة ومعبده هو المعبد الأكبر والذى يأتى تحت إمرته سائر المعابد حيث خضعت علوم الكتابة والطب والفلك تحت إشراف المعبد، وكل من يتميز كان يتم ضمه ليتم صقله بالعلم ليظل

الحضارة المصرية القديمة عمومًا ازدهرت فى الأسرات الأولى إلى أن حدث انهيار واحتل الهكسوس مصر -أو بالأدق شمالها- إلى أن أتى الملك سنق رع تاع الثّانى، أحد ملوك الأسرة السّابعة عشرة، وقاد مصر للحرب على الهكسوس ومن بعده ابنه كاماس الذى واصل الحرب ثم أخوه أحمس الذى طردهم من مصر لتعود قوة المعابد بشكل كبير، مرورًا بنهضة البلاد فى عهد الملكة حتشبسوت ومن بعدها تحتمس الثّالث، مؤسس أوّل إمبراطورية فى التاريخ.. ثم من بعدها استمر ازدهار مصر، ولكن أفل النّجم الآمونى فى عهد الملك إخناتون الذى دعا إلى التوحيد، ثم من بعده عادت القوة إلى المعبد المصرى من جديد لتعاود البلاد الازدهار من جديد، خاصة فى عهد رمسيس الثّانى؛ ليصبح بعدها المعبد هو الترمومتر الذى يعبر عن مدى قوة البلاد ويصبح هو المحرك الرّئيسى لها وكأنها دولة دينية مثل أوروبا حين سادت فيها سيطرة الكنيسة، فكلٌ متصلٌ ببعضه البعض، وستجد العديد من الرّموز فى الدّيانة المصرية موجودة فى المسيحية، من أبرزها "مفتاح الحياة"، القريب من شكل الصّليب، والثّالوث المستوحى من ديانة أهل الإسكندرية الذى تمَثّل فى "إيزيس الأم، وحورس الابن، والإله سيرابيس"، ما يجب أن نعرفه -هنا- أن المعبد كان هو حامى العلوم فى العهد الفرعونى..

هذا الشرح قام به الثّلاثة أمام فريد المرشدى عن المعبد ومدى سيطرته، ويمكن إثبات صحة ذلك أو عدم صحته بمجرد افتتاح المقبرة لمعرفة ما تحويه من الأسرار العلمية للتاريخ الفرعونى، ناهيك عن الآثار المرجح وجودها فى المكان ومدى استفادتهم

بها.. بعد ذلك روى لهم كريم ما صرح به يحيى عن المقبرة وما فيها من علوم وأسرار، وأن شرط فتحها هو حمايتها، وهذا ما سيحتاج فيه لجهد كل من حسين ومايا معًا..

وبعد أن سمعوا الأمر لم تستوعب مايا هذه الفكرة:

- إنتَ عاوز تفهّمنى إن الولد ده عارف جوه المقبرة إيه وإن فيه جان بيتكلم معاه!!
- أنا واحد من النّاس كنت زيّك كده، بس اللى شُفته فى الشّغل ده علمنى كتير.. ولا إيه رأيك يا دكتور حسين..
- فى الحقيقة كلامه صحيح يا مايا.. وبعدين الفراعنة استخدموا السّحر والجان، ولا إنتى مشُفتيش ده..
- أنا آه قرأت عن ده، لكن عُمرى ما شُفته على أرض الواقع..
- مش وقته الكلام ده.. أنا المهم عندى اللى جوّه المقبرة تتعاونوا مع بعض مع الجان، مش مهم، إنما الأسرار والعلوم دى متخصنيش دى تحلّها مع حسين يا كريم..
- إنتَ تؤمر معاليك..

نظرت مايا وهى تحبس فى داخلها كل علامات الذهول من هذا الرّجل الذى يسعى من أجل المال فقط ولا يهمه ما فى المقبرة من علوم وآثار، وكأن مقدار العلم عنده قد توقف على حصد الأموال، ولا يعرف قيمة تلك الأشياء.. حاولت كثيرًا أن تتحدث لكنها فى كل مرة تتذكر كلام كريم ونظراته فظلت صامتة.. إلى أن اتفقوا على أن يجتمعوا مجددًا...

***

بعد أن رحل الجميع بنحو نصف الساعة، التقى فريد المرشدى بسميح وأخبره أن يذهب إلى عمران وبرفقته صابر وأن يقابل يحيى ويخبره بموافقته على إعطائه المال ويكون نصفه مقدَّمًا على أن يكون النّصف الآخر عند فتح المقبرة، ليس هذا فحسب، بل إن صدق الفتى فيما يقول فسيزيده المرشدى فوق ما طلبه الضّعف...

- بس يا باشا كده صابر وعتمان هما الاتنين هيطمعوا..
- لا، صابر وعتمان دول رجّالتنا ومتخافش.. قل لهم إن الباشا هيراضيكم، إنما الواد ده جاى مرة وماشى وانتَ متأمنش شره..
- طيب يا باشا وبالنسبة للقديم؟
- بكره هتعدى على الشركة هتروح لعصام هو هيديك نص المبلغ تديه لعمران.
- تمام يا باشا..

***

واشنطن.. الواحدة ظهرًا..

اقتربت السّاعة من الواحدة ظهرًا بتوقيت واشنطن.. عذرًا، أين نحن يا صديقى؟

نحن الآن فى العنوان التالى: 4210 طريق سيلفر هيل، خارج واشنطن، حيث يقع مركز الدّعم التابع للمتحف السّميثسونى ..SMSC

أولاً، دعنى أعرّفك بالمكان، فهو مكان إدارة المتحف السّميثسونى وهو من أشهر وأكبر المتاحف فى أمريكا والعالم وأكثرها تطوّرًا.. لكن نحن الآن فى مركز الدّعم الخاص به.

قد تقول لى إنى أتحدث عن الماسونية.. نعم يا عزيزى، فالمتحف بشكل أو بآخر يتبع لها، لكن أقول لك ولى وللجميع إنه لو أتيحت لك الفرصة أن تدخل إلى هذا المتحف فعليك به فهو يحوى تأريخًا منظماً ومنمّقًا للعلوم والتاريخ وكل شىء يفيدك ويسعى لجعلك تتقدم للأمام.

لكن نحن الآن مع هذا الرّجل الذى يتقدم من باب إحدى الغرف طارقًا إيّاه فى البداية قبل أن يقوم بفتحه.. هو شاب فى الثلاثينيّات من العمر، وسيم المظهر، دَلَف إلى تلك الغرفة حيث يوجد هذا الرّجل الذى يكبره بقرابة عقدين من الزمان يجلس على مكتبه يراجع بعض الأوراق، ليس بالشّخص الممتلئ أو النّحيف ولكنه فى جسد رياضى، تجد بعض من خصلات الشّعر تتوسط رأسه، يعلو أنفه نظارة قراءة، لم يلتفت إلى الشّاب الذى دخل عليه فتنحنح لافتًا نظره قبل أن يقول:

- لقد وصلتنا الرّسالة الثّانية من القاهرة يا سيدى..
- حسنًا، أرينى إيّاها..
- هذه صورة ضوئية لنص الرسالة والبيانات المرفقة، وأنا قد قمت بإرسالها مباشرة إلى البريد الإلكترونى الخاص بسيادتك..
- شكرًا جورج.. يمكنك الذهاب الآن..

بدأ الرّجل فى تفحص الأوراق التى أمامه، استغرق بعض الوقت

فى الأمر ثم طالع بريده الإلكتروني ليتأكد من تلك النسخة التى أرسلها إليه جورج ليجدها بالفعل قد وصلت لديه، ثم رفع سماعة أحد هواتف مكتبه وقام بالاتصال بأحد الأرقام وانتظر قليلاً ليأتى إليه صوت المجيب من الجانب الآخر:

- مرحبًا.. برادلى كوبر معك..
- مرحبًا براد.. أنا سميث يا عزيزى..
- مرحبًا سميث.. كيف حالك؟
- بخير يا عزيزى.. لقد وصلتنى رسالة أخرى من القاهرة..
- أتخص تلك المقبرة التى حدثتنى عنها..
- نعم يا عزيزى، ومبعوثنا هناك قد قام بالخطوات المتفق عليها تمامًا كما أنّه الآن أرسل لى بيانات جديدة وأخبارًا أخرى تؤكد ذلك الأمر.
- حسنًا يا عزيزى.. أرسلها لى.
- أنا بالفعل قد أرسلتها لك على البريد الخاص بك ونحن نتحدث الآن.. أنت تعرف ما عليك فعله.
- حسنًا.. سأطالع تلك الأوراق ثم أبدأ بالتحرك كما اتفقنا..
- حسنًا يا براد.. كلى ثقة بك.. وداعًا الآن وإلى لقاء قريب..

أغلق الرّجل الهاتف ثم عاد ليتفحص الأوراق من جديد..

لكن، أولاً دعنى أخبرك عن رجلنا هذا.. هو دكتور آلان سميث متخصص فى الآثار والأيقونات الأثرية وعلاقتها بالماورائيات، رجل دائم البحث عن أسرار الحضارات القديمة فى أى مكان، ويرتحل دائمًا من أجل اكتشافها..

***

مرة أخرى يُبدى شريف اهتمامه بنسيم العتال، النّزيل فائق الأهميّة فى مشفاه الخاص، وقبل أن يُنهى يومه الدّسم فى المشفى من مشقة العمل ذهب إليه ليطمئن عليه ولكى يتأكد من أنه لا يشتكى من أى شيء، فشخص مثله قادر على غلق المشفى بجرّة من قلمه.. دلف إلى غرفته واطمأن على صحته وطالع التقارير الطبية عن حالته والتى تعد تقريبًا كل ثلاث ساعات على حد أقصى لمتابعة المريض، قد يكون هذا ضروريًّا لنزيل فى غرفة الإنعاش ولكن ليس لشخص فى غرفة خاصة تعرّض لبعض الكسور والرّضوض فى العظام وإصابة بشرخ فى إحدى عظام الحوض:

- مساء الخير يا نسيم باشا..
- أهلاً يا دكتور شريف، تاعبين حضرتك معانا.
- معاليك تؤمر، وبعدين إحنا اللى أجهدناك النّهارده بالمؤتمر الصّحفى..
- فعلاً، شوف.. رغم أني متعود على الظّهور فى الإعلام بس مبحبش أظهر فيه!!
- وأنا فضّلت نعمل المؤتمر ده بدرى عشان نخلص من الدوشة ومعاليك ترتاح..
- تمام يا كتور شريف.. بس هو أنا هفضل كده كتير؟
- معاليك لو عاوز تخرج دلوقتى نخرّجك بس هحتاج اهتمام بيك فى البيت، بس مفيش حركة، قُدّامك شويّة، وعمومًا أنا شايف إن حضرتك تفضل معانا هنا يومين كمان وبعدين تخرج،

وفى البيت تلتزم بشوية تعليمات، ولو سعادتك تحب نبعت لك فريق متابعة يومى.

- لا يا دكتور.. لا متابعة ولا غيره، هما يومين وأخرج ونشوف وقتها..

- اللى معاليك تشوفه، بس برده دكاترة العظام همّا اللى يحددوا..

***

أخبر حسين الجميع فى منزله بأن لا يقطع أحد عليه خلوته فى مكتبه حتى يتفرغ لدراسة البيانات الجديدة التى أعطاها له كريم هذه المرة، لكن أولاً أخذ يدرس الموقف وما حدث من فريد المرشدى بأن فاجأه بحضور مايا إلى تلك الجلسة فهو لم يكن يتوقع ضربة مثل هذه، لقد اهتزت صورته الآن أمام واحدة من أنجب تلاميذه، بالإضافة إلى أنها تعمل فى الجامعة وقد تبعد الجميع عنه وقد تشى به فى أى وقت، لكنه عاد واطمأن قليلاً لأنها تحت منظار فريد المرشدى وأن كريم بالتأكيد قد أخبرها بقواعد اللعبة وأنها لا تسطيع أن تشى بأحد، لكن لا أحد يأمن مكر الآخر.. أمّا ما استوقفه حقًّا فهو علاقتها بكريم إلى الدرجة التى تجعل كريم يفاتحها فى الأمر ويطلعها عليه، فكريم هذا يشك فى جميع البشر فى هذا العمل بمن فيهم حسين نفسه..

العديد من الأفكار أخذت تطل بمخيلته وبدأ يعمل على تحليل الأمر بشكل كامل قبل أن يسمع صوت هاتفه بجواره ليجد رقم الطّالب عبارة عن مكالمة دولية، لم يستغرب كثيرًا فقد اعتاد على مثل هذه الأمور بحكم عمله، فبادر سريعًا للرد، فأتاه صوت

المجيب بالإنجليزية من الجانب الآخر:

- مرحبًا دكتور حسين.. معك برادلى كوبر.. كيف حالك؟

تعجب حسين قليلاً لاتصال برادلى كوبر، فمنذ وقت طويل لم يكن بينهما أيّ عمل، لكنه بادر للرد عليه سريعًا:

- مرحبًا دكتور برادلى.. كيف حالك يا عزيزى، لم أسمع صوتك منذ وقت طويل.
- معذرة عزيزى، أنت الآخر اشتقت إليك وللعمل معك ولكن اعذرنى إن كنت قد اتصلت فى وقت متأخر، فأنا أعرف فارق التوقيت عن القاهرة..
- عزيزى دكتور برادلى.. لا تشغل بالك فأنا سعيد لسماع صوتك والاطمئنان عليك..
- حسنًا يا عزيزى.. كيف حال العمل عندك؟
- العمل يسير بشكل جيد.. ألا تنوى أن تأتى إلى القاهرة قريبًا..
- ربما قريبًا يا عزيزى.. والآن أخبرنى كيف حال مقبرتنا الجديدة؟

اندهش حسين قليلاً من معرفة برادلى بالأمر..

- أخبرنى أنت أولاً كيف علمت بالأمر؟
- دكتور سميث هو من أخبرنى بالأمر.
- وكيف حال سميث و لم يتصل؟

- إنه بخير، ولكن هو لديه بعض الأعمال فأوكل لى هذه المهمة وحدثنى عن تكهناتكم عن المقبرة وبانتمائها للمعبد وأسرارها..

- حسنًا يا عزيزى.. أعتقد أننى أولاً سأرسل لك بيانات عن المقبرة..

- لقد وصلنى كل شىء عزيزى.. ولكن ما رأيك أنت عن الأمر فأنت أقرب منى للواقع..

- حتى الآن كل ما هو أمامى مجرد فرضيات ونظريات بناءً على صورة للمكان..

- حسنًا، هذا أيضًا ما علمته..

- أنت تعرفنى جيدًا دكتور برادلى، أنا أريد واقعًا ملموسًا بين يدَى وأعتقد أن هذا قد يتضح فى الأيام القادمة، وإن ثبتت صحة هذه الفرضيات سيكون كشفًا أثريًا كبيرًا.

- بكل تأكيد يا عزيزى، لذا أردت أن أعلم منك مباشرةً تفاصيل الأمور..

دار حديث طويل بين الدّكتور حسين ونظيره الأمريكى برادلى، تحدثا فيه عن كل ما يخص تلك المقبرة وما حدث حتى الآن، واتفقوا على أنه إن تطور الأمر فقد يأتى الدّكتور برادلى بمفرده أولاً من أجل إلقاء نظرة بشكل شخصى وبعدها يتم الأمر فى شكل رسمى وعلمى.. بعدها تواعد الرّجلان على أن يتبادلا الاتصالات وتحدثا بودّ بعض الشىء بعدها، ثم أنهيا مكالمتهما تلك ليجلس حسين يفكر ويتساءل "لماذا برادلى هو من يتولى الأمر، ولماذا لم يكن آلان سميث هو المسئول، ولماذا زاد اهتمامهم بالأمر هكذا؟"، فهم فى العادة مشترون جيدون لكن هذه المرة تحوّل الأمر إلى كشف علمى منتظر..

***

مرة أخرى يعود كريم لمنزله مبكرًا، من دون أن يعرف السّر وراء ذلك، أنهى لقاءه مع فريد المرشدى ومايا ثم وجد نفسه يتجه بشكل تلقائى إلى المنزل حيث ترك صباح منذ الصّباح الباكر عندما غادر ليتفقد سير العمل فى شركته أولاً ثم ذهب للعمل الآخر مع فريد المرشدى، حيث وجدها قد تحسنت بعض الشىء، على الأقل شغلت وقتها فى العمل بالمنزل الذى لم يكن يحتاج إلى جهد كبير، فمنذ آخر مرة قامت بتنظيفه وهو على حالته، دخلت إلى المطبخ وأعدت الطّعام، وجدها فى انتظاره ورغم أنه تناول الطّعام رفقة مايا فإنه لم يستطِع أن يصيبها بخيبة ألم..

جلسا معًا لتناول الطّعام، والعجيب أن شهيّته انفتحت مجددًا بينما أخذ يفكر فى الفرق بين الاثنين، صباح ومايا، لماذا يحب مايا وينجذب إلى صباح.. كل شىء أمامه مبعثر لكنه وجد نفسه تدريجيًّا لا يفكر إلا فى صباح التى جلست تحكى له عن أبنائها وما كانت تخططه لمستقبلها، وعن حزنها وفقدانها لهم.. أخذ يهدئ من روعها، احتضنها بين ذراعيه بضمة حانية وهى ارتاحت بين ذراعيه وأخذت تنتحب على فقدانهم وهو يداوى جراحها بالكلمات.. طبع قبلة حانية على جبينها ووجنتيها ثم حاول أن يقترب من شفتيها لكنها لم تتجاوب معه، شعر بنارها وحزنها فلم يزد على ذلك، وظل يطمئنها ويمنّيها بالأفضل، بل إنه وعدها بالزواج فى غمرة الحديث؛ فقط لتنتهى عدتها وأنه سيعوّضها عن كل ما فاتها.. غفت عيناها قليلاً فتركها، وشرع فى عمله فبدأ بالاطلاع على بعض الرّسائل الإلكترونية الواردة من شركته والعديد من الأمور المتعلقة بأعماله التى شرع فى إنهائها، ثم عمل

على تلك المقبرة وما أتى به من معلومات جديدة أخذ يعمل ويستعرض أمامه العديد من وجهات النّظر لكن كلها فرضيات، الأمر بالنسبة له الآن أصبح مخالفًا تمامًا عما قبل فهو لا يسعى لتثمين عدة قطع أثرية وبموجبها يحصل على ما يريد من أموال نظير عمله لكنه شعر أنه أمام كشف علمى كبير سيغير الكثير مما نعرفه عن الماضى. نعم يعلم أنه لن يتم إسناد أيّ نوع من الفضل إليه لكنه اكتفى بإرضاء شغفه العلمى فهو يتساءل عن كم الأمور التى لا نعلمها عن تاريخنا الماضى والعديد من الأسرار العلمية والبرديات المصرية الموجودة بالخارج والتى تروى الكثير عن تلك العلوم كتلك البردية التى تتحدث عن المسلات المصرية التى استُخدمت كأعمدة للإنارة بنهايتها مدببة الشّكل التى حملت فوقها طبقة من المعدن تمتص أشعة الشّمس نهارًا وتعكسها على شكل ضوء ليلاً، وسميت "الإلكتروم" والموجودة فى ألمانيا، ونحن الآن نتحدث عن الإلكترونات فى الذرات.. أليست مصادفة؟ بل هى أسس العلم وأسس العلم لا تتجزأ، وكم من علوم وبرديات خرجت فى العصور الماضية!!

***

جلست مايا تلهو مع طفلتها الصّغيرة التى لم ترَها منذ الصّباح فقد عادت منهكة مما حدث اليوم، سعت جاهدة لتنسى كل شىء وتركز فقط على أن ترتاح الآن، خصوصًا أن الغد سيكون حافلاً لها فى الجامعة بعمل كبير، لكن هذا الاتصال الذى أتى لها أنساها كل ما كانت تفكر فيه، إنه أستاذها الدّكتور حسين:

- ألوو.. إزى حضرتك يا دكتور..

- أهلاً يا مايا.. إزيك..

- الحمد لله بخير.. فيه حاجة حضرتك عاوزها منى؟

- بصى يا مايا.. الموضوع مش زى ما إنتى فاهمة، أنا آه أعرف النّاس دول لكن أنا بتدخل فى المقابر العلمية بس، إنما التهريب مليش فيه.

- أكيد وإلا كانوا قالوا لحضرتك على...

- بصى يا مايا.. إنتى دلوقتى متورطة زينا كلنا، وأنا دخلت عشان أحميكى، وبعدين المقبرة دى لو صدق كل حاجة عنها هتبقى كشف أثرى كبير..

- اطمن يا دكتور.. أنا مش هبلغ عن حضرتك؛ إنتَ أستاذى برده وبعدين أنا خلاص معدش ليّا دعوة بالموضوع.

- لا، إزاى!! اسمعى.. أنا بدأت فعلاً بجعل الموضوع رسمى وهييجى منحة أمريكية للمقبرة برئاسة الدّكتور برادلى كوبر أستاذك..

- هو كمان دكتور برادلى ليه فى الموضوع؟!

- أنا كلمته كاستشارة علمية والرّاجل وعدنى إنه ييجى ولو لقى الموضوع له قيمة هنعمل ليها كشف علمى وأنا عاوزك تكونى من ضمن الفريق ده..

- بس يا دكتور...

- مفيش بس، دى أسلم طريقة لحمايتك من أىّ حاجة، ومتقوليش لحد حاجة وخصوصًا كريم.

جاهد حسين كثيرًا فى إقناع مايا حتى يأمن أى شىء وبدأ يعمل جاهدًا على جعل الأمر فى شكل رسمى خصوصًا بعد حواره مع

دكتور برادلى.

حسنًا، نسيت أن أخبرك أن دكتور برادلى التقى ب "مايا" فى مصر فى إحدى الفرق البحثية المشتركة وقد دعاها لمنحة دراسية فى أمريكا وأشرف عليها فى تلك الفترة وهما دائمًا يتبادلان الأخبار لكن لم يحدث الأمر منذ وقت ما..

***

ما أجمل أن يكون لك طفلة جميلة بريئة تحبك وتداعبها وتلاعبها!! إحساس رائع يشعر به كريم دائمًا عندما يرى ابنته (مريم)، لكن اليوم إحساسه مختلف، شعر بالسعادة تغمره وبفيض من الحب يغمره تجاهها، كعادته اشترى لها الحلوى والهدايا وأيضًا اشترى حلوى كآداب للزيارة، لكنه هذه المرة اشترى هدية لنور نفسها، وهذا أمر لم يفعله منذ زمن..

جلس مع مريم الصّغيرة لما يزيد على ثلاث ساعات يداعبها ويلاعبها، ونور تراقبهم، ويتحدثان بعض الكلمات كل حين وآخر، شعرت بشىء مختلف به ففى كل مرة سابقة لمست شيئًا روتينيًّا فى قدومه لم تلمسه اليوم، حتى هو نفسه لم يعرف ما به، ربما ما ألم بصباح قد غير شيئًا بداخله على الأقل تجاه ابنته..

تعبت مريم كأى طفلة صغيرة، لا يمكنك أن ترى ما حدث الآن وأن تظل صامتًا ولا تتمالك نفسك من الضّحك، تجلس بجوار أبيها تلعب معه وفجأة وبدون أى مقدمات وجدها قد سقطت فوقه غارقة فى نوم عميق، حملها وتأمّلها وهى نائمة كالملاك، ضاحكًا على نومها المفاجئ هذا، وكذلك نور التى استدعت

خادمة لديهم لتأخذ مريم إلى غرفتها..

جلس كريم يحادثها ويعتذر منها عن أى شىء قد أساء به تجاهها، أيضًا لم تعرف ما به، أهو كريم أم أنه شخص آخر قد تبدل كُليًّا فى أيّام معدودة، لكن أكثر ما فاجأها تلك الهدية التى قدمها لها والتى أخفاها بين طيّات سترته، سلسلة ذهبية مطعّمة باسمها، رفضت أن تأخذها منه فى البداية لكنه قال لها إنها من مريم قبل أن تكون منه، حاول إقناعها إلى أن وافقت فى النّهاية على مضض كما بدا عليها قبل أن يرحل لكنها شعرت بالسعادة حتى إنها تغنّت أمام والدتها وأخبرتها أن هذا قد يكون مؤشرًا جيدًا، لم تشأ والدتها أن تناقشها وتفسد عليها فرحتها فهى تراها الآن أكثر طفولة من مريم، فقط طبعت قبلة على جبينها بحنان الأم وتركتها تفرح بهديتها الجديدة التى زينت بها رقبتها ولم تنتظر كثيرًا قبل أن ترتديها..

***

منزل عمران.. الرّابعة عصرًا..

فى اليوم السّابق، ذهب سميح إلى شركة فريد المرشدى، التقى عصام مسئول الحسابات وتحصل منه على الشّيك الخاص بعمران، فهو الرّجل المسئول عن التسويات المالية الخاصة بهذا الأمر ويعرف كل العملاء الذين يعملون مع سميح ومن يعملون مع غيره بحكم أنه هو الذى يعطى أذون الصّرف المالية، بعدها حدد سميح الموعد مع عمران وتحدث مع يحيى وأخبره بأنه سيعطيه نصف المبلغ الآن والباقى بعد تمام الأمر، وإن صدق فله المزيد أمّا إن أخفق فلن يرحمه أحد، طلب منه يحيى أن يحضر كريم معه

فقرر سميح إبلاغ المرشدى بهذا الطلب فلم يمانع فى الأمر، فكريم هو ركن أساسى فى هذه الصّفقة، أما كريم فلم يتردد فقد اعتاد ذلك وشعر بفضول كبير نحو تلك المقبرة خصوصًا أن يومه السّابق كان شبه بيتوتى من شركته صباحًا إلى ابنته بعد الظهيرة وفور أن انتهى ذهب إلى منزله ليقضى يومًا آخر برفقة صباح..

استعد عمران لقدومهم، رفض تناول الغداء حتى يصلوا إليه رغم أنَّهم تأخروا لكنه ظل صامدًا فى انتظارهم يقاوم نوبات الجوع التى تفترسه، بينما عتمان لم يستطع أن يكتم الأمر إلى أن يأتوا لكنهم جميعًا انتظروا وصولهم وانصبوا على مائدة الطّعام كأنهم يأكلون للمرة الأخيرة، بعدها جلسوا يتشاورون بعض الشىء، استأذن سميح الجميع لينفرد بعمران ليعطيه الشّيك المنتظر.. بينما هو فى الواقع ترك كريم رفقة صابر وعتمان لينهوا المسألة مع يحيى وليتشاوروا مجددًا ويخبره يحيى أنه فى المساء سيريه كل شىء عن المقبرة بأعين الجان، لكنه اتفق على أن يتولى تلك المهمة شخص خبير، فقال صابر إنه هو من سيفعلها بينما على يحيى أن يسمح لهم بالمرور...

***

نحن الآن فى مشهد سينمائى لكنه واقعى بشدة، فى جلسة رباعية فيها كريم وعتمان وصابر ويحيى ولا أحد غيرهم، الأضواء خافتة ورائحة البخور تملأ المكان حولهم حيث الهدوء، كريم فى وضع الاستعداد لمعرفة ما تحويه تلك المقبرة، ما سيحدث الآن هو أمر حقيقى بنسبة مائة فى المائة، الجان يستطيع أن يتحكم فى إشاراتك العقلية ومراكز عقلك وإبصارك

ووعيك عن طريق نبضات كهرومغناطيسية مختلفة، أمّا ما نراه الآن فالجان يهيئ لك رؤية ما يريده هو مثلما يأتيك فى المنام وما تراه من أحلام، هو يريك الأشياء على تلك الشاكلة لكن الآن هو يريد أن يرى كريم شيئًا ما تحت الأرض..

الآن أعطى يحيى الإذن لصابر بالدّخول إلى المكان، وعتمان هو الآخر يسخّر ما لديه من جان لحمايتهم وحماية كريم فى المقبرة من أى شىء مفاجئ قد يحدث.. بينما كريم طلب منه أن يكون على وضوء وطهارة وأن يكون قد أدى الصّلاة، بعدها طلب منه أن يقرأ سورة "يس" سبع مرات، فالجنى الذى سيُقلّه مسلم وهذا هو مفتاح التواصل بينهما.. بعد أن انتهى بدأ يرى ضبابًا أحمرَ أمام عينيه ثم سمع أحدهم يُقرئه السّلام قبل أن يبادله هو ليبدأ رحلة فى استكشاف المقبرة والتى رواها كالتالى:

هأنذا كريم لا أفكر فى أى شىء إلا المقبرة وما فيها، أشعر بصداع غريب يتخلل جسدى بالكامل وليس رأسى وحدها، لا أستطيع أن أتحكم به لكنى كنت مستعدًا للأمر، فمن عملى هذا اكتسبت بعض الخبرات، الآن أشعر بطاقة غريبة فى داخلى، لا أرى شيئًا أمامى فأنا بعد أن أغمضت عيني الآن أفتحهما ببطء، أشعر بقدرتى على الرّؤية لكن في وضع مختلف بعض الشىء كأنى نائم أو أنى أحلم حلماً مرتّبًا بأبهى شكل كأنه الواقع، لكن ليس بتلك الدّرجة من الوضوح فى الدقة، أرى الغرفة جيدًا، يحيى يقف منتصبًا وعتمان يحدّق بى، ألحظ فى عينَيه حركة غريبة، أقف من مكانى أتحرك بضع خطوات تجاه باب الغرفة، ألتفت ورائى لأجد ما لا أصدقه، إنه أنا ما زلت فى مكانى جالسًا وصابر يقف خلفى ممسكًا بى، سريعًا أنظر لجسدى الذى هو أسفل رأسى الحالية فأجده أنا أيضًا

نفس الزّى والملابس، هذه يدى وهذه ساعتى، أخبرنى صابر بأن هذا الأمر سيحدث، نظرت له مجددًا فوجدته يرمق المكان الذى أقف فيه وكأنه يرانى، أشار برأسه بالإيجاب فعلمت أنه يعلم بوجودى، التفتّ مجددًا تجاه الباب، أفتحه، أخرج إلى بهو المنزل، يجلس عمران وسميح، أمُرّ من أمام الجميع ولا يرانى أحد.. كم هذا رائع أن تكون متخفيًا من كل شىء ولا يراك أحد، ما زلت أتقدم إلى خارج المنزل... أنا الآن فى الطّريق الخارجى أتخذ خطواتى إلى المقبرة لكنها سريعة بعض الشىء، أشعر أننى أطير لكن ليس طيرانًا بمعناه الحرفى بل هى قفزات للأمام كبيرة أشعر أنى قادر على أن أرتفع عن سطح الأرض لسنتيمترات عدة ربما أتجاوز المتر فى الارتفاع لكنى ما زلت أتجه إلى الأمام إلى حيث مكان المقبرة كأنى أعلم الطّريق جيدًا..

هأنذا عند مدخلها، مغاورى وعدد من رجال عمران يحرسونها.. لم يرونى مثلهم مثل عمران وسميح وباقى من مررت عليهم فى تلك القرية ولم يلحظوا وجودى..

مرة أخرى أنزل إلى المقبرة لكن تلك المرة شعرت أنه يمكننى أن أقفز تلك الخمسة عشر مترًا إلى باطن الأرض دون مساعدة من أحد.. فى الأسفل كانت المصابيح مغلقة لكنى كنت أرى المكان بوضوح وكأننى لا أحتاج للإنارة لأرى، هذه هى ميزة كبرى لما أنا فيه إضافة لعدم شعور الجميع بى، مجددًا وصلت إلى درج المقبرة هبطت تلك الدّرجات لأجد نفسى أمام هذا المكان الذى اعتدت عليه، هناك غرفتان الأولى للدفن وما زالت تلك المومياء فيها والثّانية هى التى تحوى الآنية والتماثيل والتى تم فض ما فيها وإخراجه جميعًا بعدما اتفقنا عليه.. أشعر أنى أرى المقبرة

للمرة الأولى، أدقق فى كل النّقوش والرّسومات، أشعر بقدرة غريبة على القراءة وترجمة كل ما هو مكتوب أمامى.. نعم، إنهم حُماة السّر الأعظم خُدّام المعبد الأوفياء من ائتُمنوا على حماية العلوم والأسرار، لا جديد لكنى أتأكد بنفسى بشكل أكبر.. ما أروع هذه القدرة التى أمتلكها الآن، ربما أسخّر الجان فى المستقبل لأتبادل معهم القدرات، أدخل الآن إلى الغرفة الثّانية مرة أخرى أدقق على الجدران، من المذهل أن أرى فى تلك الظّلمة الحالكة وكأن المكان حولى مضاء..

ما هذا الذى أراه أمامى الآن؟ ألحظه من قبل؟ كأنها رسومات عدة لو جمعتها معًا لكوّنت مكانًا لباب أو مدخل لما هو آتٍ.. أقف عنده الآن، أضع يدى عليه أتحسسه. نعم، أنا أشعر به لكن لم أكن أتوقع أن يتحرك فجأة.. اختفى من أمامى معلنًا عن سرداب يأخذنى إلى الدّاخل ارتفاعه ليس بالكبير فهو ما يفوق المتر ونصف المتر بقليل، استعددت لكى أحنى ظهرى وأدخل المكان لكنى وجدت حجمى قد تقلص ليلائم الممر أمامى، ميزة أخرى.. لا، لن أترك هذه الفكرة تهرب منى فى المستقبل.. أنظر حولى فى هذا الممر الذى زاد طوله على عشرة أمتار منخفضًا بى لباطن الأرض، أرى مجددًا رسومات بديعة أخرى على جانبيه.. أخيرًا أصل للطرف الآخر. ما هذا الذى أرى؟ أىّ من المتع تلك أمامى الآن؟

أقف أمام مكان ارتفاعه يضاهى الأمتار الأربعين، أمامى بضع درجات للأسفل، أهبطها، أنظر للأعلى، سقف المكان وكأنه مخروطى، بل إننا لو رأيناه من الخارج لكان أقرب للشكل الهرمى.. مرة أخرى الأهرام أمامى.. أنا أمام بهو كبير بشكل

تقديرى، العرض يزيد على الأمتار العشرين.. لو افترضنا أنى أقف فى منتصف الخط فعن يمينى ويسارى ما يضاهى عشرة أمتار فى كل جانب، الطّول أكبر ربما الضّعف أو أقل، هناك تمثال للإله آمون يتوسط الحائط على الجانب الآخر وأسفل منه كرسى عظيم يبدو أنه للكاهن الأعظم.. هنا على اليمين واليسار غرف عدة كل منها له اسم مختلف، كل غرفة يصل اتساعها إلى مترين أو يزيد، عددها يناهز عشر غرف، على كل جانب عن اليمين الغرف الأربع الأولى للطعام والمؤن وعن اليسار الغرف الأربع الأولى مليئة بالآثار.. ما أروع ما أرى!! سنجنى ثروة طائلة من وراء هذا الأمر.. بعد ذلك الغرفة الخامسة من كل جانب يقبع بكل منهما عدة مومياوات، البهو نفسه فيه مظاهر عبادة وتقديس، والرّسومات فى كل مكان حولى فى الجدران والسقف حتى الأرض التى أخطو عليها وكأنى فى وضَح النّهار أرى كل شىء بوضوح حيث وجدت تلك الترنيمة الكبيرة مكتوبة على الأرض، مقطوعة كبرى من الكلمات وكأنها سر الدّخول لكن يبدو أنها كُتبت على مرات عدة، الغرف الخمسة الأخرى مغلقة بأبواب حديدية حاولت فتحها لكنى لم أفلح فكيف أمر من الحائط ولا أفتح بابًا ما..

هنا تذكرت ما أخبرنى به يحيى عن أنه ربما لا ترى بعض الأشياء لكنى قرأت الكلمات المكتوبة عليها، إحداها كُتب عليها "علم الفلك" والأخرى "الطّب الأعظم"، والثّالثة "فنون الهندسة والعمارة"، والرّابعة "الفيزياء"، والخامسة "الكيمياء"، والسّادسة والسّابعة والثّامنة والتاسعة والعاشرة.. ما أروع ما أراه الآن؛ عشر غرف مغلقة مليئة بأسرار العلوم الفرعونية!! يا إلهى.. هذا هو

الكشف العلمى الأعظم، لكن ماذا حلّ بى، أشعر بأنفاسى أستنشقها بصعوبة، الرّؤية أصبحت أقل فى الوضوح، رأسى يؤلمنى بشدة، يبدو أن زيارتى قد انتهت، هذه هى الإشارة التى أخبرنى بها صابر، لكن لم أستمتع بعد وأروى ظمئى مما أرى، ليت معى كاميرتى الخاصة لكنت صورت كل شىء..

سلكت طريقى عائدًا أمُرّ بكل ما مررت به ذهابًا ولكن مع تغير النّاس من حولى فى الطّرق، أدخل إلى بيت عمران، أجده هو وسميح ما زالا يتناقشان، أدخل الغرفة أجدنى مجددًا جالسًا فى مكانى والجميع على حاله منذ تركتهم، اقتربت منى أكثر وأكثر أُغمض عيني وأنا أقف أمامى لأجدنى أفتح عيني مفزوعا وأنا أجلس مكانى من جديد....

***

أعمال لا تنتهى لدى فريد المرشدى، لكن ما يميز هذا الرّجل أنه يعرف كل كبيرة وصغيرة فيها ويباشرها بنفسه حتى ما قد نراه من سفاسف الأمور لا يترك شيئًا للصدفة، يعمل لأوقات متأخرة لكنه حينما يقرر أن يكون هذا هو وقت الرّاحة فيجب أن يكون كذلك، فى تلك اللحظات جلس فى حديقة قصره رفقة زوجته وأحفاده يداعبهم، هذا الرّجل الذى يتحكم فى مصائر الآلاف ويعيل الكثير من الأسر يجلس بمنتهى البساطة يداعبهم ويلعب معهم بمنتهى الود، إلى أن أتى أحد العاملين ليخبره بأنه لديه مكالمة مهمة من الخارج من رجل يدعى آلان سميث، تذكره فريد المرشدى سريعًا وبادر فى الإجابة عليه:

- مرحبًا دكتور سميث.. كيف حالك؟
- أنا بخير يا عزيزى.. كيف حالك سيد فريد وكيف حال أعمالنا؟
- أنا بخير والأعمال بأفضل حال ممكن.
- إذن، هذا يعنى أن لديك الجديد فأنا قد سمعت به..
- نعم، لدينا مولود جديد لكن يبدو أنه مولود صالح فقد أتى معه خير كثير..
- وهل انتهيت منه أم لا حسبما أعلم؟
- إذن، أنت تعلم عن الأمر.. هل ستأتى من أجله؟
- لا، ربما دكتور برادلى هو من يتولى الأمر بشكل مبدئى.. لقد تحدث دكتور حسين...

أخذ المرشدى يفكر سريعًا فيما فعله حسين، لقد بدأ البحث عن مشترٍ وبالفعل تحدث مع آلان سميث وبرادلى كوبر، قد يكون فعل ذلك من أجل أن ينال الرّضا ليتحصل على نسبة مُرضية، لكن على كل حال هو تواصل مع مجموعة من أفضل المشترين ويبدو أن الأمر سيسير بالشّكل الصّحيح.

- حسنًا دكتور سميث.. أعتقد أن المنقولات قد تصلنى قريبًا وعندها سأوافيك بالتقرير.
- حسنًا، وأنا أعتقد أنك لن تحتاج لغيرنا، سنبقى على تواصل.
- بكل تأكيد.

أنهى المرشدى المكالمة وظل يفكر فيما فعله حسين، لكنه سعيد بهذا الاهتمام من آلان سميث، فربما يكون كريم على حق أن هذا الكشف قد يُضفى على الصّفقة الكثير ويكسبهم المزيد من

الأموال..

***

مره أخرى الآن سميث يجرى اتصالاً بالقاهرة لكنه هذه المرة مع دكتور حسين الذى استيقظ من نومه على صوت الهاتف:

- حسنًا دكتور سميث.. هذا يعنى أنك تحدثت مع السّيد فريد الآن.
- نعم دكتور حسين.. وأعتقد أننا الأقرب للصفقة بل إننا حسمناها.
- هذا جيد، وماذا عن كشفنا الأثرى؟
- هذا سيناقشه معك برادلى مستقبلاً فهو يعكف على دراسة ما لديه من بيانات..
- حسنًا دكتور سميث، وإن جَدّ أى شىء سأرسله مباشرةً إلى دكتور برادلى.
- هذا وعدنا بك دكتور حسين.. إلى لقاء قريب فى القاهرة.
- إلى اللقاء يا سيدى..

أنهى حسين المكالمة وعاد إلى النّوم مرة أخرى دون أن يفكر فى أى شىء، فهو منهك للغاية ويحتاج إلى النّوم بشدة.

***

حالة من الذهول ما زالت تسيطر على كريم مما حدث معه، لا يصدق أن هذا حقيقى، بل يعتقد أنه ربما كان يحلم أو أن أحدهم قد خدعه وأوهمه بكل ذلك، لولا تأكيدات صابر الذى يعرفه جيدًا

أن هذه هى الحقيقة، أخذ وقتًا حتى يستجمع شتات نفسه وتفكيره فى الأمر مرات عدة قبل أن يتحدث يحيى قاطعًا الصّمت الذى خيّم عليهم:

- صدجتنى يا أستاذ كريم؟
- صدقتك يا يحيى، أنا عمرى ما شُفت مكان زى ده!!
- ولسّاك أمّا تدخل من جوه هتشوف اللى مشُفتوش..
- مبدئيًّا الآثار الموجودة تخلينا نبطل شغل طول العمر..
- سيبك من الآثارات.. السّجلات والعلوم اللى جوة مصيرها إيه؟
- متخافش، معانا دكتور فى هيئة الآثار يعنى فى الآخر هنعلن أن المقبرة كشف أثرى بس بعد ما إحنا نخلص شغلنا.
- مش كفاية يا أستاذ كريم، لازم تحمى الكنوز دى بروحك..
- يعنى إيه يا يحيى؟ فسّر؟
- يحيى يقصد يا كريم إن ده قَدَرك إنك تحميها.. يحيى قَدَره إنه يفتحها وإنت قَدَرك إنك تحميها، وده شرط الفتح، ومكانش حد مأذون له غيرك إنه يشوفها.

أخذ كريم يتمعن فيما أخبره به صابر فهذا هو قَدَره أن يكشف عن تلك المقبرة أو بالأخص ما فيها من سجلات، مسئولية كبيرة قد أُلقيت على عاتقه:

- وليه أنا؟
- اسمع يا كريم.. كل واحد فينا ماتوجدش بالصدفة، كلها تقديرات من ربك، كل واحد فينا فيه حاجة بتميّزه، إنتَ اتميزت

عننا بالدراسة والخبرة فى الآثار والتاريخ، وانتَ مسئوليتك إنك تحمى المقبرة، كلنا معاك هنحميها بس المطلوب حماية السّجلات فى المقام الأول..

لم يفكر كريم كثيرًا هذه المرة بل وعدهم بأن يقدم كل ما لديه لحماية تلك السّجلات وأن تصل إلى طريقها الصّحيح وإلى الأيدى المناسبة وأن يستفيد منها الجميع..

خرج أربعتهم بعد أن تعاهدوا على أن يحموا تلك الأسرار.. أخبر كريم عمران وسميح بما رأى وأنهم عليهم أن يبدؤوا العمل وبجد، أيضًا أنهى سميح عمله مع عمران واتفقا على كيفية وصول الآثار إلى القاهرة بينما اتفقوا على أن يظل صابر فى ضيافة عمران ليعمل مع عتمان ويحيى على استخراج ما تبقى من المقبرة وتواعدوا على أن يعود كريم وسميح لهم مرة أخرى.

***

مشفى شريف.. العاشرة صباحًا..

عمل شريف منذ الصّباح الباكر على ترتيب إجراءات خروج نسيم العتال من المشفى على أن يلقى الرّعاية المطلوبة فى منزله الخاص، بينما رجال الأمن قد عكفوا على تأمين المشفى وخط سير سيّارة الإسعاف التى ستقل نسيم العتال إلى أن يصل إلى الفيلا التى يقطن بها، بعدها ذهب شريف بنفسه إلى غرفته لتوديعه فقد كان ضيفًا عظيماً أضاف على المشفى المزيد من الشهرة، فيكفى وسائل الإعلام التى تناولت خبر حادثته وأنه يتم علاجه فى مشفاه، فكم من إعلان مجانى حدث فى تلك الفترة،

وأيـضًا المؤتمر الصّحفى الذى عُقد له فى المشفى، ناهيك عن معرفة شخص ذى سلطة واسعه وشهرة وصيت كبير مثله:

- أنا بصراحة حزين إن سيادتك هتسيبنا وتمشى..
- وأنا سعيد جدًا إنى اتعرفت بيك يا دكتور شريف..
- الشرف ليّا معاليك، بس لازم الالتزام بالتعليمات يا فندم: راحة تامة ومفيش حركة لأسبوعين على الأقل وبعدين ناخد الحركة تدريجيًّا..
- أكيد يا دكتور شريف، ولو إنى مش متعود على كده..
- معلهش يا نسيم بيه.. شِدّة وتزول، والمهم سلامتك فى الأول..
- أنا مش عارف أشكرك إزاى يا دكتور شريف..
- يـا فـنـدم ده واجبنـا، ولـو أى حـد تـانى هنعمل كده، إحنا هنا بنتميز بخدمة طبية مميزة..
- ده واضح يا دكتور، وده شىء مشرّف جدًا، عمومًا ده الكارت الخاص بيّا وبأرقام كارم مدير مكتبى، لو احتجتنى فى أى وقت أنا موجود..

هنا قدّم كارم كارتين لشريف، الأول لنسيم العتال والثّانى لكارم نفسه، نظر فيهما شريف سريعًا ثم دسهما فى جيب البالطو الذى يرتديه..

- فى الحقيقة يا فندم ده شرف كبير ليّا إنك تدينى الاهتمام ده، والأستاذ كارم أنا معايا أرقامه.
- وأنا هكون سعيد جدًا لو لقيتك بتتصل عليّا حتى لو بتسألنى

عن صحتى.

- يا فندم من غير ما تقول إنتَ مش بعيد تلاقينى عندك كل شويّة أطمن على معاليك.

- شكرًا يا دكتور..

طرق باب الغرفة فأذن كارم للطارق بالدّخول فدلف للغرفة المقدم على، رئيس فريق التأمين الجديد لموكب نسيم العتال، فالرّجل رفض المواكب من قبل ولكن بعد هذه الحادثة التى تعرض لها أصبح الموكب المرافق له أمرًا ضروريًّا، فأخبرهم أنه قد أنهى جميع الإجراءات وأنهم مستعدون للتحرك، فوافق نسيم العتال، بعدها دخل الغرفة الممرضون المسئولون عن نقله فوضعوه على الترولى ونقلوه إلى سيارة الإسعاف ورافقه شريف إلى أن ذهبت السّيارة والموكب بأكمله معلنة رحيل نسيم العتال عن المشفى..

دس شريف يده فى جيبه مجددًا، مخرجًا الكارت الخاص بنسيم العتال، متأملاً إيّاه، ثم أعاده إلى مكانه مرة أخرى بعد أن قرر أن يضيفه إلى قائمة من الشّخصيات المُهِمّة التى يتعرف عليها فتلك العلاقات دائمًا ما تأتى بالنفع وحتى إن لم تأتِ فواجهتها الاجتماعية تكفى بكل تأكيد..

***

فى تلك المرة توجهت مايا بمفردها إلى قصر فريد المرشدى إثر اتصال كريم بها وأخبرها أنهم يريدونها هناك من أجل أخبار جديدة عن المقبرة، فهو فى طريقه هو الآخر وأنه سيلقاها هناك.. وافقت على الذهاب فكريم أخبرها أنها لن يضرها أى أذى وأن قدومها سيضمن لها ذلك، لكنها لم تجد كريم عند وصولها لكنها

وجدت الدّكتور حسين فى الانتظار، حيّته وجلست تتحدث معه، اقترب منها وأخذا يتحدثان بصوت خفيض عن أنه تواصل مع برادلى كوبر وآلان سميث الأستاذان الشّهيران وأنهما سيسعيان لجعل تلك المقبرة كشفًا علميًا حقيقيًا، لكنها لم تعد قادرة على تصديق كل تلك الأكاذيب، وفى النّهاية أخبرها أنها بإمكانها أن تتصل ببرادلى كوبر بنفسها وأن تسأله.. جارَتْه فى الحديث إلى أن وصل كريم وسميح اللذان لم يتأخرا كثيرًا..

- أهلاً، دا الحبايب كلهم هنا أهوه يا سميح..
- حمد الله بالسلامة يا كريم أنت وسميح..
- الله يسلّمك يا دكتور.. إزيك يا مايا.. أعرّفك بسميح، رجل المهام الصعبة والوسيط بتاعنا..
- أهلاً، إزّى حضرتك..
- أهلاً يا دكتورة.. اتشرفت بمعرفتك..

جلس الجميع فى انتظار قدوم فريد المرشدى، قام حسين من جوار مايا مبتعدًا عنها فيما جلس كريم بجوارها وكأنه يدافع عن أنثاه التى لا يمتلكها لكنه يشعر بأنها ستكون له فى وقت ما، إن لم يكن الآن فربما فى العالم الآخر، لكنه يعرف أنه ليس من قاطنى الجنة فهل هى ستذوق ويلات الجحيم من أجله، بدأوا يتشاورون إلى يأتى فريد المرشدى حيث بدأ حسين بالكلام:

- على فكرة يا كريم.. إحنا بدأنا نتحرك عشان لو المقبرة دى طلعت زى ما انتَ بتقول تبقى كشف أثرى كبير..

- إزاى يا دكتور حسين؟ عملت إيه؟
- إحنا لحد دلوقتى تواصلنا بشكل ودى مع فريق بحثى أمريكى متخصص فى الأمور دى، دكتور آلان سميث ودكتور برادلى كوبر..
- بس دول دخلهم إيه فى الموضوع؟
- دول الموضوع نفسه، هما أولاً عندهم الرّغبة فى شراء الآثار اللى طلعت لحد دلوقتى واتكلموا مع فريد باشا، وبعدين الكشف العلمى بوجود اثنين زى دول يديله قيمة أكبر بكتير..
- تصدّق يا دكتور، الحج عمران ورجالته دول لو دارسين آثار كان زمانهم أشهر خبراء فى العالم ده..

عمران فى آخر 10 سنين طلّع أكتر من اللى وصلت له هيئة الآثار نفسها، تقوم انتَ بدل ما تكرمه تروح تجيب ناس من بره!! لا، أنا لو مكان الحج عمران هزعل..

- إنتَ بتتريق يا كريم؟
- آه، طبعًا بأتريق؛ ده كشف أثرى إحنا اللى عاملينه بإيدينا، ليه بقى نجيب ناس من بره تاخد شهرته؟ ولا عشان البعثة والمنحة فيها مكافأة زيادة؟ مش مكفّيك اللى بتاخده هنا؟

أنبأ الوضع عن شجار على الأبواب بين كريم وحسين الذى استعد للرد بمنتهى العصبية لولا أن أوقف الجميع وقع خطوات فريد المرشدى الذى دخل عليهم فقاموا لتحيته لكنه أشار إليهم بالجلوس قبل أن يجلس محيّيًا إيّاهم، بعدها أخرج سيجاره الشّهير وقام بإشعاله وفور أن نفث أول دفعة من دخانه تمكّن

السّعال من مايا التى تجلس بالقرب منه فاعتذر لها قبل أن يطفئ السّيجار فى حركة لطيفة منه قبل أن يعتدل فى جلسته واضعًا إحدى قدميه على الأخرى متحدثًا إليهم:

- ها يا سميح عملتم إيه فى زيارتكم؟
- كله تمام يا باشا، خلاص الدفعة القديمة اتفقنا عليها والتسليم قريب أمّا بقى الجديد عند كريم.

توجهت جميع الأنظار تجاه كريم وفى مقدمتهم فريد المرشدى الذى بادره بالسؤال:

- ها، إيه الجديد يا كريم؟
- كل خير يا باشا، بإذن الله، بس لحد دلوقتى أنا مش مصدق كل اللى حصل لى..

صمت كريم للحظات وكأنه يتذكر كل ما حدث له قبل أن يتحدث موجهًا حديثه لهم واصفًا كل ما مر به فى ليلته الماضية وكيف تنقل عن طريق الجان الخاص بصابر وكيف دخل إلى المقبرة وعبر النّفق المغلق وتخطى الجدران ووصل إلى المقبرة التى وجدها أمامه... وصف إليهم شكلها وعدد غرفها العشرين وما فيها من آثار وقطع مُهِمّة وما فيها من مومياوات وغرف سجلات مغلقة لم يتمكن من دخولها وكيف عاد إلى مكانه مرة أخرى وما أخبره به يحيى عن أن هناك المزيد سيُكشف إن تم فتح المقبرة..

ظل الجميع فى حالات بين الدهشة والانبهار وعدم التصديق

الذى بدا جليًّا على مايا قبل أن تقاطعه:

- كريم.. إنتَ مصدّق اللى انتَ بتقوله ده.. مش يمكن ده وهم؟
- عارف إنك هتقولى كده لكن بعد ما اتأكدت إن المكان أكيد بعد ما عملت مسح ضوئى للمنطقة واتأكدت من وجود فجوة أرضية تشبه فى أبعادها المقبرة اللى شُفتها..
- ثوانى.. إنتَ عملت مسح ضوئى إزّاى.. الأجهزة دى ممنوعة؟!!
- وهو أنا قلت إنى عملت مسح بجهاز الهيئة مثلاً؟

حالة أخرى من الذهول انتابت مايا مما يقوله كريم. لقد قام بعمل مسح ضوئى للمنطقة عن طريق جهاز ما حيث يوجد أجهزة متخصصة للكشف لما تحت التربة عن طريق الأشعة تحت الحمراء ويقوم باختراقها ثم يرتد مرة أخرى ليُجسِّم ما تم اكتشافه بأشكال مختلفة منها ثلاثى الأبعاد ومنها ما هو أقل من ذلك وهو جهاز تستخدمه شركات البترول والهيئات الأثرية والمنقبون عن المناجم والمياه، وبالتأكيد استخدامه يكون فى إطار قانونى لكن هنا كل شىء متاح.

ما زالت مايا تشعر بالدهشة لما تسمعه لكن هنا قاطعها فريد المرشدى:

- أعتقد يا دكتورة إنك دلوقتى عرفتى إننا بنشتغل بشكل علمى واحترافى، معانا فيه نظام مش جوه الدّولة نفسها..
- بس إنتو جبتوه إزاى؟
- معتقدش إن شخص زيى صعب عليه إنه يجيب جهاز زى ده،

وعلى فكرة مش أنا بس، مصر فيها آلاف الأجهزة المشابهة..
- معلهش يا باشا.. هى لسّه مش فاهمة الوضع..

قالها كريم معاجلاً مايا بنظرة حتى تصمت ففهمت المغزى لتعود لسكونها مرة أخرى والدهشة ما زالت تتملكها منذ أن رأت كريم فى مكتبها بالجامعة منذ عدة أيام..

- طب دلوقتى يا كريم إنتَ رأيك للوضع إيه؟
- والله يا دكتور حسين أعتقد إن دى ممكن تكون مقبرة خاصة بغرف السّجلات.
- مش فاهم يا كريم، اشرح لى إنتَ وحسين..
- اسمح لى يا باشا أشرح أنا اللى كريم بيقوله، فيه نظريات علمية مفادها إن الفراعنة ليهم مقابر خاصة بالسجلات وفيه واحدة من النّظريات دى بتقول إن فيه غرفة سرية فى منطقة الأهرامات وفيه فرق كشفية علمية كتير اشتغلت على الموضوع ده من أوروبا وأمريكا وفيه فريق كشفى من جامعة فلوريدا فى التسعينيّات جه مصر ومعاهم خبراء فى الزّلازل والتصدعات الأرضية لدراسة الأمر وتوصلوا لنظريات وفرضيات كتير لكن على أرض الواقع محدش قدر يثبت شىء..
- يعنى إنتَ وكريم دلوقتى بتفترضوا إن دى غرفة سجلات..
- بالظبط يا باشا..
- طيب والخطوات دلوقتى اللى إنتو هتقوموا بيها؟
- إحنا يا باشا بدأنا خلاص، أعتقد إن الجماعة بدأوا الشّغل لفتح المقبرة وكمان أعتقد إن قريب هنكون هناك عشان نبدأ شغلنا وهنا هنحتاج خبرات دكتور حسين معانا..

- اسمعوا.. أنا عاوز الموضوع ده يتم بسرعة وأظن إن انتَ عارف المطلوب يا دكتور حسين..
- أكيد يا باشا.. مش أول مرة..

بدأ كريم بالشرح باستفاضة أكثر عما حدث هناك وبدأ فى تفريغ البيانات التى تحصل عليها من جهاز المسح الضّوئى الخاص به على حاسبه المحمول وإعطاء نسخة لكل منهم وتواعدوا على اللقاء جميعًا مجددًا حيث طلب كريم الرّحيل حتى يرتاح من عناء السّفر بينما سميح قال إنه سيبقى قليلاً برفقة الباشا، فعرضت مايا على كريم توصليه فوافق على ذلك..

***

لم يستطع كريم أن يفوّت هذه الفرصة حيث يحظى برفقة مايا وأن يتركها ويذهب إلى بيته بل ذهبا معًا لأحد المطاعم الفاخرة تناولا وجبة خفيفة وجلسا يتحدثان معًا بحوار فيه نوع من الشّد والجذب وعدم التصديق من جانب مايا لما يقوم به كريم لكنهما عندما بدأ التحدث من ناحية الفرضيات العلمية تحولت إلى كائن آخر أخذت تدرس وتحلل الأمر بالشّكل المناسب والمنطقى وعلى قدر علمها، نعم الهدف الرّئيسى هو الرّبح المادى وبيع الآثار لكن لا مانع من كشف علمى جديد يقودنا لما هو أعظم من حفنة أموال وبعض من التماثيل والآثار القديمة... تواصل الحديث إلى أن أتى ذكر الجانب الأجنبى الأستاذان آلان سميث وبرادلى كوبر، فكريم لا يقبل التعامل معهما فقد سبق له التعامل معهما من قبل بينما مايا ترى أن برادلى كوبر أحد أهم الأساتذة فى المجال التاريخى فى العالم..

- بصى يا مايا أنا مش بعمل عمل وطنى بس النّاس دى غير أى حد تانى بيشترى الآثار..

- إزاى يا كريم.. ممكن تفهمنى؟

- أىّ مشترى تانى بيكون لمجرد اقتناء تحف أثرية لكن دول بيشتروا تاريخ، بيشتروا حاجة ذات قيمة، وهمّا اشتغلوا قبل كده على كذا مقبرة كفريق بحثى بعد ما إحنا فتحناها ودايمًا كان بيبقى فيه اتفاق إن فيه حاجات من المقابر دى بتروح وكله بتمنه..

- بص يا كريم.. أيًّا كان هما أفضل من غيرهم على الأقل دول ناس دارسين وبيقدروا العلم والآثار، أنا أعرف دكتور برادلى كوبر شخصيًّا..

- استنى.. تعرفى برادلى كوبر منين؟

- دكتور برادلى كان مشرفى فى منحة دراسيّة طلعتها بره..

- إنتى اشتغلتى معاه؟

- وأنا هناك بس، وبعدين علاقتى بالدّكتور مستمرة كل فترة لكن من زمان مكلمتوش.

- طب، وآلان سميث؟

- لأ، ده مشُفتوش ومتعرّفتش عليه، وبعدين سألت الدكتور كوبر عن نظرياتك عن المؤامرات اللى انتَ كنت بتتبناها وانتَ طالب..

- يا مايا أنا مبتكلمش عن مؤامرات سياسية ولا الكلام الفارغ ده، أنا بتكلم فى نواحى علمية بحتة، النّاس دى بتسرق تاريخ الأمم بأىّ شكل ممكن وبتحاول تبنى لنفسها بيه حضارة..

هنا يستحضر كريم ومايا كل نقاشاتهما السابقة بشأن الماسونية

لكنهم لا يتحدثان بالمنطلق الذى تراه وتسمعه فى أىّ مكان، لا يتحدثان عن مؤامرات للسيطرة على الحكم فى العالم ولا ينظران إلى السيطرة على الاقتصاد العالمى والتحكم فى مصائر الأمم، لا يهمهما كل ذلك بل هما ينظران إلى أشياء أخرى..

لكن دعنى أولاً أستطرد قليلاً في هذا الأمر لنعلم بعض الأشياء عن المحفل الماسونى، وكريم لا يعلم عنه سوى الفتات مثل كل من هم خارجه..

أولاً: التنظيم الماسونى بشكله الحالى ظهر فى العصور الوسطى فى أوروبا وكان له العديد من التنظيمات المختلفة وقد تجد من يقول إنهم أقدم من ذلك بداية من العام 43 ميلادية..

ثانيًا: الماسونيون تحكموا بأسواق المال فى أوروبا والعالم أجمع بعد ذلك عن طريق المصرفى اليهودى الألمانى الكبير روث شيلد أو كما يعرف حاليًا ب "روتشيلد"، تلك العائلة ذائعة الصّيت التى يشاع عنها أنها تتحكم بسوق المال فى العالم وأن آخر ظهور لتلك العائلة كان فى عشرينيّات القرن الماضى..

ثالثًا: أنهم استوطنوا أسكتلندًا ومنها سيطروا على إنجلترا بعد أن طاردتهم الكنيسة فى كل أرجاء أوروبا، ومنها جعلوا إنجلترا القوة العظمى وبعدها سعوا لإسقاط كل ما عداهم من قبل..

رابعًا: أنهم من أوائل من هاجروا إلى الأمريكتين وهم من أسسوا الولايات المتحدة وأن الرّئيس المؤسس جورج واشنطون كان رئيس المحفل الماسونى وقتها، وأن كل مراسم تشييد مدينة واشنطون أُجريت على التقاليد الماسونية..

أيضًا يراهم أناس يسعون لبناء تاريخ من لا شىء، سرقوا من كل الحضارات ما هو مناسب لهم.. لكن ما جذب كريم هو الحضارة المصرية وما أخذوه منها كالمسلات المصرية القديمة الموجودة فى أغلب الأماكن التى حلوا بها، كروما عندما كلف الفاتيكان بيرنينى بتزيينها فقام بوضع العديد من المسلات فيها والتى يأخذ منها الماسونيون رمزًا لهم، فبيرنينى من التنويريين الذين سعت الكنيسة لإيقافهم، أيضًا هناك متحف اللوفر فى فرنسا الذى يوجد أمامه هرم زجاجى فى عملية التجديدات فى العهد الحديث والتى انتقدها الكثيرون برؤيتهم أن هذا لا يمت للحضارة الفرنسية بشىء، والمصمم الذى قام بالأمر وقتها كان ماسونيًا.

أيضًا، عندما يقف الرّئيس الأمريكى الجديد ليلقى كلمته الأولى فى إطار حكمه للبلاد ألا يلفت انتباهك تلك المسلة المصرية الأصيلة التى تقف راسخة هناك؟ هم أيضًا من أخذوها وأيضًا عُملتهم الدّولار ما هذا الهرم الموجود عليه.. هل الهرم تراث أمريكى؟

بعدها تحدثا عن العديد من الأمور فى التاريخ الفرعوني الأكثر تنظيماً من وضعنا الحالى، حيث كل شىء مخططًا له بدقة وأخذا يسردان الأمثال كتناظر الأهرامات، فهناك مجموعة نجمية شهيرة من ثلاثة نجوم وتسمى "حزام الجبار" أو "حزام الصّياد" تقع على غرب النّهر الضّوئى للشمس، تلك المجموعة وموقعها من غرب النّهر الضّوئى للشمس إذا قورنت مع الأهرامات القابعة فى الجيزة ونهر النّيل تجد أنها تناظر مطابق لها، أيضًا هناك غرفة داخل الهرم الأكبر بها ساعة نجمية يتم ميقاتها بتلك المجموعة النّجمية

بشكل يومى عمرها الميقاتى يزيد على تسعة آلاف ومائتى عام، أيضًا معبد دندرة يقع موازيًا لنجم ذنب الدّجاجة ويوجد به رسومات لعلوم الفلك القديمة لم يتم رصدها إلا حديثًا، بل فيها لوحة فلكية عجيبة للأجرام السّماوية احتار فى تفسيرها الكثيرون والعديد من المعالم التى تتطابق مع مجموعات فلكية كثيرة..

أيضًا "متون هيرمس" إنها مخطوطات عن الحكمة فى العهد الفرعونى القديم والتى طُمست بين طيّات الزّمن ولكنها عادت وازدهرت فى عصر النّهضة فى أوروبا، ومن أشد المهتمين بها وقتها وبعدها ليوناردو دافنشى، وفرانسيس بيكون، وباراسيليوس، وتوماس مور، وكبلر، وكوبرنيكوس، وإسحق نيوتن، وفيكتور هوجو، وكارل يونج، وشكسبير، وأغلبهم كانوا ماسونيين..

أمور عدة، مخطوطات تاريخية سُرقت من مصر كحقبة الأعاصير والصّواعق وهى فترة فى التاريخ الفرعونى حيث واجهوا الصّواعق بمسلات كبيرة فى الحجم والارتفاع يعتليها مفتاح الحياة يمتص الصّواعق قبل وصولها بل تنقل تلك الطّاقة فى شكل كهرومغناطيسى، وأنهم أيضًا قد رسموا شكل تلك الموجات التى ندرسها نحن الآن فى الفيزياء الحديثة...

لهذا يرفض كريم دخولهم فى هذا العمل لأنهم لا يسرقون الحجارة بل إنهم يسرقون التاريخ.. صراع طويل دار بينه وبين مايا، لم يتفقا فيه على شىء، فهي تراهم علماء إجلاء وأنهم إن أتوا سيشاركون فى هذا البحث العظيم بينما هو يراهم لصوصًا

للتاريخ والحضارة، وهكذا انقلبت الآية بينه وبين مايا عما كان الوضع عليه من قبل حين أخبرها هو فى البداية عن المقبرة، ربما يكون حسين قد نجح فى التأثير عليها بشكل علمى منسق، لكن فى النّهاية اتفقا على أن تلك المقبرة بكل تأكيد ذات أهمية كبيرة إن صدق كل ما هو جلىّ أمامهم الآن حين يتم فتح المقبرة، فقررا الرّحيل على أن يلتقيا لاحقًا فكريم منهك للغاية بل إنهما ظلا فى تلك الجلسة لما يقرب من أربع ساعات يتناقشان، هى استقلت سيارتها بينما هو استقل إحدى سيارات الأجرة لمنزله رافضًا أن ترهق نفسها فى إيصاله بعد أن تأخر بهما الوقت..

***

منزل كريم.. العاشرة مساءً..

استقل كريم إحدى سيارات الأجرة فى طريقه إلى منزله، وتصادف أن التقى شريف عند مدخل الكومباوند؛ فهو الآخر عائد بعد إنهاء أعماله فى المشفى الخاص به بعد يوم شاق لتوديع نسيم العتال، جلس كلاهما معًا فى الحديقة الخاصة بمنزل كريم حيث فضّلا أن يجلسا فى الهواء الطّلق يتحدثان قليلاً، كل منهما بدأ يحكى للآخر عما حدث له فى اليومين الماضيين كعادتهما لا يخفيان عن بعضهما شيئًا..

- يعنى نسيم باشا العتال مشى من المستشفى وإدّاك كارته الخاص!!

- أيوه يا سيدى ده اللى حصل..

- طيب مش هنقّ عليك بقى واصل للمستشار الرّئاسى حتة

واحدة..

عاد كلاهما للحديث مرة أخرى.. لأول مرة يحكى كريم لشريف عن كل شىء خاص بالمقبرة ودون أن يخفى أى شىء عنه حتى عن دخول مايا فى الأمر، فهو يرى فيه ضميره الحى ويحكى له كل ما يقوم به..

- استنى.. إنتَ شُفت مايا تانى؟
- آه، شُفتها وهى خلاص تقدر تقول إنها معانا لكن النّهارده حسيت إنها متغيرة مش مايا اللى أنا أعرفها.
- ده شىء طبيعى يا كريم.. إنتَ وهيّا سِبتوا بعض من سنين..
- لا يا شريف، مش كده...

بدأ كريم يشرح له ما دار بينه وبينها من حوار اليوم ورفضه للفريق الأمريكى الذى يسعى للدخول فى هذه المقبرة وموافقتها هى..

- بس يا كريم ما يمكن هى عندها حق وبعدين انتَ ليه معترض ما انتَ طول عمرك بتبيع؟!
- إنتَ كمان يا شريف!! طيّب، بص.. أنا ببيع حجارة، دهب، تماثيل، لكن دى مقبرة علمية فيها تاريخ، وهمّا عاوزين التاريخ، أنا اتعاملت مع النّاس دى وعارفهم، دول ميهمهومش الحجارة دول يهمهم التاريخ؛ عاوزين يسيطروا عليه..

أخذ كريم مرة أخرى يشرح لشريف كل ما شرحه لمايا فى

الجلسة السابقة.. لم يوافقه شريف لكنه استمع لكل ما استشهد به كريم بشىء من الشّغف عن التاريخ، فهو دائمًا ما يسأل كريم ويتركه يتحدث لا يقاطعه لأنه يراها الحالة الوحيدة من التّقاء والرّاحة التى يكون فيها كريم، لذا تركه يسرد كل ما قاله سابقًا إلى أن استوقفه أمر ما فبادر بالسؤال:

- استنى بقى ناخد فاصل، إيه متون هرميس دى؟ مش فاهم.

- بص يا سيدى.. الموضوع ببساطة متعلق بالعلوم الرّوحانية، فيه شعوب كتيرة اشتهرت بده زى الهنود والصّينيين والمايا والمصريين القدماء.. أمّا "متون هرميس" فده الجزء اللى خص المصريين القدماء وده توارثه الإغريق واستقوا منه كتير، واتجمع بعد كده فى القرن الثّالث الميلادى، ودى ببساطة عبارة عن تدوينات للحكمة المصرية القديمة اللى كتبها أوزوريس وتحوت إله الحكمة عند المصريين وأول من خط اللغة الهيروغليفية العظيمة، وبيمثل له على شكل إنسان ورأس صقر، وهو أول من توصل لحكمة الكون العظيمة، الحكمة اللى بيها تقدر تعمل أى حاجة واللى تاهت بعد كده بكتير وحاليًا الماسونيين بيقولوا إنهم توصلوا ليها ولمتون هرميس الأصلية أو السّرية..

- طب وليه انتَ محطيتش حضارة أطلنتس فى وسط الحضارات دى؟

- أطلنتس دى حكاية بحد ذاتها، وفيه اللى بيقول إن الحضارات القديمة قامت على علوم أهل أطلنتس وإنهم تنبؤوا بهلاك أرضهم فى كارثة أرضية عن طريق النّجوم والفلك قبل ما يهلكوا ب 200

سنة وعلموا كل شعوب العالم القديم العلوم دى، ومن أبرزهم الحضارة المصرية القديمة وشعوب المايا أصحاب حضارة الإنكا فى أمريكا الجنوبية وحضارات كتير لكنها افتراضات واجتهادات مفيش دليل عليها لأن ببساطة كل ما ذكر عن أطلنتس قاله أفلاطون، رواه عن جده اللى حكى له عن رحلته لمصر وإن الكهنة همّا اللى أخبروه بده، وقال ده فى كتاباته طيمايوس وكريتياس لكن فيه شىء مكتشف حديثًا عن الحضارة المصرية القديمة اسمها "نبتا بلايا".

- إيه "بلايا" دى يا سيدى كمان، مش كنا فى متون هرميس؟

- "نبتا بلايا" دى حضارة مصرية وُجِدت قبل الحضارة الفرعونية، ودى موجودة فى صحراء النّوبة ويفترض إن دى أول حضارة مصرية قامت فى الفترة من 12 ألف سنة قبل الميلاد لحد سنة 7300 قبل الميلاد، بمعنى إن مصر فيها حضارة بعيدًا عن أطلنتس، أكيد مسابوش آثار عملاقة زى الأهرامات والمعابد لكن فيه أول تقويم تاريخى وتحديد الاتجاهات اللى بيسموها "دائرة التقويم السّنوى"، وحددوا خطوط الطّول والعرض..

- يعنى إحنا عندنا حضارات قبل الحضارة الفرعونية؟

- ده أكيد، وكان عندنا مدارس فكرية بعدها كمان زى الغنوصية مثلاً.

- وإيه الغنوصية دى كمان؟ انتَ كل شويّة بتطلع بحاجة جديدة!!

- الغنوصية دى مدرسة فلسفية وعقائدية مصرية قديمة وُجِدت فى العهد البطلمى والرّومانى نشأت تقريبًا قبل الميلاد ب 300 عام، دعوا للتفكير فى روح الكون والعلوم والفلسفة العقائدية الخاصة بيهم والتناظر كما فوق كما تحت، ولهم مذهب لوحدهم

ولم يهاجموا التوراة ولا الإنجيل، على العكس كانوا بيدرسوا فى المذاهب الوثنية القديمة وسعوا للوصول لحكمة الكون العظيمة واللى بيتقال إنهم بالفعل وصلوا ليها ويبقوا تانى ناس وصلوا ليها بعد تحوت، وبرده مصريين، وفيه كتير عملوا بيها زى الخيميائيين وبرده يقال إن الماسونيين وصلهم بعض من المخطوطات الخاصة بيهم وهما بيحتفظوا بيها وبيدّعوا إنهم وصلوا للحكمة الغائبة من الشّعوب القديمة وإنهم بيحموها وبيحموا البشر منها..

- طب إيه وجه اعتراضك؟

- دول ناس نصّبوا نفسهم حُماة للأسرار والمعلومات، لو جُم هيساوموك عليها، هما هيستفيدوا بيها وإحنا لازم نفوق ونحمى نفسنا ونحمى حاجاتنا، يعنى مكتبة الإسكندرية القديمة اللى حرقها الرّومان دى كان فيها كل علوم العالم القديم، فيه منها مخطوطات لسّه موجودة بس لو بصيت عليها كلها هتلاقيها فى متاحف ومكتبات برّا مصر.. مكتبة نجع حمادى مثلاً همّا اللى ترجموها..

- إيه مكتبة نجع حمادى دى؟

- ده تعبير مجازى فيه واحد مصرى اسمه محمد السّمان، ده راجل فلاح عادى لقى زلعة قديمة كسرها لقى فيها مخطوطات قديمة عن الإنجيل والغنوصية من حوالى أكتر من ألف صفحة مكتوبة بالقبطية القديمة.. الكلام ده سنة 1945 تقريبًا، كل العلماء اللى برّا اهتموا بيها وإحنا اكتفينا بالدعاية ليها..

- يعنى إنتَ خايف إنهم ييجوا ياخدوا العلوم اللى انتَ بتقول إنك شُفتها بالجان فى المقبرة وإحنا نطلع من المولد بلا حمص؟!

- بالظبط زى ما بيحصل فى كل حاجة، إحنا بنفرح بشيك

وتحويل مالى حلو مقابل الاستعارة اللى بتتحول لشراء وبنسيب العلوم القديمة دى برّا ومنستفدش بيها..

- يا أخى أوقات بحس إنك حكيم.

- لا، تعرف بقى إن اللى أنا وانتَ بنعمله ده اسمه "أدب الحكمة"، وده لمّا تحب توصّل لحد معلومة توصّلها له عن طريق الحوار، وده موجود فى حضارات كل الشّعوب القديمة والأديان، زى مثلاً سورة لقمان فى القرآن وكيف علّم لقمان الحكيم ابنه بالحوار..

- تصدق أنا باستغرب جدًا انتَ إزاى عارف كل ده وبتشتغل الشّغل اللى بتشتغله ده؟!

- أنا نفسى ماعرفش، بس يمكن ده قَدَرى عشان أوصل للمقبرة دى!!

أنهى كريم جملته ثم قام بإخراج حاسبه المحمول ثم قام بفتحه إلى أن وصل إلى أحد الملفات ليعطيه لشريف لكى يقرأ بصوت عالٍ كما أخبره كريم..

- كينونة آمين: الإله الخفى..

جاء فى متون هرميس:

أعطنى وعيك الكامل.. وركز فكرك لمعرفة كينونة "آمين".

واطلب البصيرة النّافذة التى لا تأتى إلا كمنحة إلهية.

إدراك "آمين" (الإله الخفى) شاق.. وتحديده مستحيل، لا يستطيع النّاقص والفانى إدراك الخالد الكامل بسهولة..

"آمين" (الإله الخفى) هو الكل والباقى..

هو غير متحرك فى ذاته.. ومع ذلك هو الحركة نفسها، لا يعتريه نقص.. وهو النّقى، الباقى..

"آمين" هو العقل الكونى.. هو الخفى، ومع ذلك هو موجود فى كل مكان، كينونته تعرف من خلال التفكير فيه وحده.. خارج حدود التجسّد.. ومع ذلك فهو فى كل المخلوقات، ليس كمثله شىء، لا اسم له.. لأن جميع الأسماء اسمه..

إنه الوحدة الموجودة فى كل شىء..

ولهذا يجب علينا أن نعرفه بكل الأسماء، ونطلق اسم "آمين" على كل شىء..

هو أصل ومنبع الجميع، كل شىء له منبع.. ما عدا منبعه هو ذاته الذى لا ينبع من شىء.

"آمين" كامل مثل الرّقم واحد.. الذى يبقى واحدًا فى ذاته، ولا يمكن ضربه أو قسمته، والذى تأتى منه جميع الأرقام..

"آمين" هو الكل، الذى يتضمن كل شىء.. هو الواحد الذى ليس له ثانٍ.. هو الأحد الذى ليس له تقسيم، هو الكل الذى ليس له جزء..

الكون واحد.. والشّمس واحدة.. والقمر واحد.. والأرض واحدة.

أتظن أن هناك آلهة متعددة؟ هذا محال.

الإله واحد.

آمين هو كل شىء.

آمين خالق كل شىء.

كل شىء جزء من آمين.

آمين فى كل مكان.

الفكر لا يمكن أن يكون مُحاطاً بسور؛ لأن كل ما هو موجود خاضع للفكر (العقل الكونى).

أنهى شريف قراءته لهذه المقطوعة التى يصف فيها تحوت الإله الأوحد، ثم نظر إلى كريم وقد بدت على وجهه كل علامات الدهشة بينما كريم قد بدا على محيّاه النّصر بعد أن أوصل فكرته بعظمة القدماء وأنه لا يجب التفريط فى تراثهم خاصة لمن يدعى أنه حامى البشر ورسول الحرية الذى يعرف باسم الماسونية أو بأى اسم آخر.. كما أن هناك شيئًا آخر، فكريم يرى أن فى هذا الأمر صراعًا فكريًا بحتًا، فقريبًا سيخبرونك أن الفراعنة كانوا ماسونيين وأنهم ورثتهم، قريبًا سيتحدثون عن نظرية الصّراع أن تبقى دائمًا على شفا حافة الصّراع، لعبة التوازن التى ظلت فى العالم منذ الأزل حتى وطنهم الجديد أمريكا الذى سرقوه، فكولمبوس اكتشف الأمريكتين عن طريق خرائط بحّارة الأندلس العرب وعندما سافر كولمبوس لاكتشاف العالم الجديد بعض طاقمه كان من البحارة العرب الذين ذهبوا لهذا المكان سابقًا وبعدها سرقوا هذا الكشف ليكون لهم، كشف عربى لم يكتمل عندما سقطت الأندلس.

***

واشنطن.. الثّانية ظهرًا..

قاربت السّاعة الثّانيةَ ظهرًا بتوقيت واشنطن، حيث دكتور آلان سميث ينتظر دكتور برادلى كوبر حسب موعد مسبق.. تفحّص سميث الحاسب الآلى القابع أمامه وينظر إليه بشغف قبل أن ينتبه لتلك الطّرقات على باب غرفته فأذن لمن يقرع الباب بالدّخول، هذا هو برادلى كوبر، وقد وصل فى موعده..

رحّب به سميث ثم أشار إليه بالجلوس إلى جواره:

- ماذا هناك يا عزيزى.. هل يوجد شىء جديد؟
- نعم، يا براد.. لقد أتانى منذ دقائق قليلة بريد آخر من القاهرة، مبعوثنا هناك أرسل لى صورًا لمسح ضوئى لتلك المقبرة، كما أخبرنى أن المثمّن الخاص بالمقبرة يرفض وجودنا وقد يكون عائقًا فى الصّفقة..
- لا يهم يا سميث طالما أن بروفيسور حسين معنا وكذلك السّيد فريد فلا مشكلة، سننهى عملنا هناك.. والآن أرِنى ما الجديد..

جلسا يتفحصان البيانات ويتناقشان ويتبادلان وجهات النّظر..

- إذن، ماذا تتوقع يا براد؟
- أعتقد أنها واحدة من غرف السّجلات سميث.. لكن لننتظر فتحها لنرى ما فيها.
- إذن، يجب أن نوجد هناك فى أقرب وقت.. والآن علينا أن نتأكد من السّجلات الموجودة وبعدها نتحصل عليها. قل لهم إننا

مستعدون لدفع كل ما يطلبونه من أموال فلو كانت من كنوز المعرفة القديمة فلن تقدر بثمن..

- بكل تأكيد يا عزيزى، ومن الجيد أن تلك المقبرة ليست تحت إشراف هيئة الآثار، وقتها كنا سنحصل عن نسخ فقط.. أمّا الآن فنحن سنحصل على الأصل..

- دعنا لا نستبق الأحداث يا براد.. فسنقيم الوضع على الأرض.

أنهى الاثنان حديثهما عن المقبرة وبدآ يتجاذبان الحديث فى أمور أخرى هى أساس هذا اللقاء الذى تصادف معه وصول تلك المعلومات عن المقبرة مما جعلهما يتأكدان أكثر من مصداقيتها ومن أنهما أمام أحد كنوز المعرفة القديمة كما وصفها دكتور سميث والتى لا تقدر بثمن وعليهم الحصول عليها بأى شكل ممكن..

***

مرة أخرى نحن فى المقبرة، ولا أعلم لماذا لا نأتى لها إلا ليلاً.. فصدق من قال إن الليل ستّار.. مع تلك الظّلمة يمكنك أن تنهى ما تريد إخفاءه من أعمال فقد استعد الرّجال للأمر، الثلاثة موجودون عتمان وصابر ويحيى، ومعهم عمران ورجاله بدؤوا فى تنظيف المكان فى هذا الجدار حيث المدخل، عملوا بعناية شديدة على إزالة كل شىء بجواره وتدعيم المكان بقوائم خشبية خشيةَ أىّ انهيار ممكن، فمهما بلغت قيمة المقبرة فهى قديمة بدرجة قد تجعلها تنهار عليهم من دون أىّ مقدمات.. عملوا بمنتهى الدقة والجهد حتى انتهوا من نصب العروق الخشبية فى جميع أنحاء الغرفة وربطوها جميعها ببعضها البعض، فقد حدد

لهم مكان البدء بالحفر، والحقيقة هنا أنهم لن يحفروا فهم سيفتحون بابًا فى أحد الجدران يمرون منه إلى نفق هابط إلى الأسفل حيث رآه كريم وقاده إلى مكان البهو العظيم الذى رأى فيه المقبرة الكبرى..

إنهاك واضح قد حل بالجميع وتركيز شديد على محيّا الثّلاثى عتمان وصابر ويحيى، يرشدون الجميع ماذا يفعلون وكيف يتم العمل بينما عمران يراقب الوضع عن كثب منتظرًا لهذا الفتح المبين الذى سيجلب عليه الكثير من الأموال..

- كده تمام يا حج عمران.. خلصنا كل حاجة..
- تمام يا سالم، ها يا عتمان نعملو إيه دلوقتى؟
- يحيى اللى هيجول يا جح عمران إذا كنا نبدأو الشّغلانة ولا لأ..
- ها يا يحيى يا ولدى..
- كفاية كده النّهارده يا حج عمران، بكره نكمّل الشّغلانة..
- كفاية إيه يا ولدى؟ هو إحنا لسّه عملنا حاجة، والليل لسّه طويل فنكسبوا وجت أحسن..
- لا يا حج عمران.. مش هينفع النّهارده..
- يعنى إيه يا ولدى؟
- يعنى لسّه مخدناش الإذن يا حج.. يحيى لسّه مخدش الإذن بالفتح ولا إحنا.
- وهنستنى لحد إمتى؟
- لحد ما الإذن ييجى فى الغالب لحد بكره.. ولا إيه يا يحيى؟
- ممكن بكره يا عم صابر. بس يا حج عمران الرّجالة يخرجوا من المجبرة دلوجتى ومحدش يدخلها لحد بكره عشان منتأخرش

تانى فى الإذن..

أذعن عمران لكلامهم فقد سبق له أن تعرض لمثل هذا الموقف من قبل لكنه شديد اللهفة على فتح المقبرة من أجل ماله الذى يراه فى باطن الأرض الآن، حتى يتحصل عليه بأسرع وقت ممكن، أمر رجاله بالخروج من المقبرة والبقاء خارجها اليوم وغدًا سيكون موعد العمل.. تذمر بعضهم لكنه أخبرهم بأن يوميّتكم كاملة فلا تخشوا أن ينتقص هذا من أجركم، فخرجوا جميعًا وذهب عمران لمنزله وصاحبه صابر الذى يحل فى ضيافته ومعه سالم بينما عتمان ويحيى فكل منهم توجه إلى منزله ليأخذ راحته بعد هذا اليوم على أن يلتقوا فى يوم غد من أجل استكمال هذا العمل من جديد فعلهم يأتون بما هو جديد..

***

أخيرًا، استقر كريم فى بيته مرة أخرى بعد أن أنهى جلسته رفقة شريف، وجد صباح تنتظره، وقد أعدت الطّعام، بشوشة الوجه سعيدة بعودته، ضمها بين ذراعيه طابعًا قبلة حانية على جبهتها، شعر بها فى حال أفضل عما تركها عليه قبل أن يسافر رفقة سميح..

- حمد الله بالسلامة.

- الله يسلمك يا صباح.. إيه الحلاوة دى؟! أيوه كده ارجعى زى ما كنتى..

نظرت له مبتسمة محاولة أن تخفى كل ما بها من آلام ولو

للحظات تقضيها بجواره:

- أنا لمّا سمعت صوتك برّا مع دكتور شريف قمت حضرت العشا..
- وكده تتعبى نفسك..
- لمّا انتَ كلمتنى وقُلت إنك جاى النّهارده طبخت لك كل اللى انتَ بتحبه..

ذهب برفقتها إلى تلك المائدة الشّهية التى اعدتها إليه، طعامها يكفى عائلة بأكملها وليس فردين، شعر فيها بشىء من الماضى الذى اعتاده فيها، تطعمه بأيديها وهو يبادلها الأمر.. مرت الدّقائق من دون أى حديث سوى عن الطّعام وعن مدحه لها وسعادته بعودتـها لطبيعتـها.. بعدها أخبرتـه بأنـها قـد أعـدت لـه ملابسـه وحمامه حتى ينفض عن جسده غبار السّفر وإنهاكه، سعد بحالها الجديد، ذهب ليضع جسده تحت الماء محاولاً عدم التفكير فى أى شىء إلا في قسط من الرّاحة يحصل عليه، أمّا هى فقامت بواجباتها المنزلية من تنظيف المائدة وما حوته من طعام مع غسيل الآنية المتسخة ووضع ما تبقى فى ثلاجة المنزل من أجل وجبة أخرى..

لم يعلم كم من الوقت مر عليه فى حمّامه لكنه وقت كافٍ لصباح حتى تُنهى أعمالها وتتزين فى انتظار خروجه.. وجدها كما عهدها دائمًا فاتنة فى ناظريه حتى وإن كانت عكس ذلك جالسة على فراشه فى انتظاره، اقترب منها مبتسماً ساعيًا للحديث معها لكنها عاجلته بقُبلة على شفتيه شعر بلهيبها وأشعلت فى داخله كل اللهيب الذى كبته منذ مضاجعتهما الأخيرة فياللعجب من يومها

وهو لم يواقع أى امرأة أخرى أو حتى صباح نفسها.. شىء قد يكون غريبًا على عادات كريم الذى أبدًا لم يلهِه عمله عن غريزته وشهوته تلك..

أخذ يتلذذ بها ويرتوى منها ويرويها من عبقه مشتاقًا لجسدها ورغبتها الجامحة التى هى دائمًا أهم ما فيها، لكنه لم يلمس هذا الجموح بالشّكل المطلوب، دائمًا ما كان يشبهها بهذا الفرس الجامح غير القابل للترويض، لكنها الآن مُهرة أليفة خاضعة لسيدها، سعى ليروى ظمأه من أنوثتها، يدك حصونها بكل ما أوتى من قوة على أعتاب نصر اعتاد على تحقيقه لكنه دائمًا ما يأتى بصعوبة عكس تلك المرة التى انهارت فيها كل قلاعها أمامه ولم تُبدِ تلك المناورات المطلوبة فأوشك على إرسال جنوده إلى داخل رحمها لكنه شعر بها، شعر بحزن فى داخلها، دمعة تنساب على وجنتيها، لكنه لم يرحمها بل أطلق كل ما لديه من جنود فى ساحة المعركة لم يعد يتحكم هو فيها..

ارتمى بجسده فوقها مقبّلاً إيّاها لكنه لمس الحزن يزداد والدموع تنهال، أخذ يطيب خاطرها لا يعلم ماذا يفعل فأبدًا لم يجدها هكذا، هل جرح كبرياءها أم حطم أسوار كرامتها، أبدًا لم يهتم لهذا لكنه فجأة وجد كل تلك المسميّات تدور فى خاطره.. تنهد تنهيدة طويلة قبل أن يحدثها:

- مالك يا صباح.. بتعيطى ليه؟

استمرت فى بكائها، لم تُجبه.. كرر سؤاله لها عدة مرات محاولاً إيقاف الدّموع فى عينيها التى تجرى مجرى السّيل لا تتوقف عن

الهطول من عينيها.. لحظات مرت قبل أن تتمالك نفسها مجيبة إيّاه بصوت متهتك من أثر البكاء:

- مفيش.. افتكرت ولادى..

قالتها فشعر هو بدمعة تنسل من بين براثن عينه مطلقة لنفسها العنان تشق طريقها على جنبات وجهه إلى أن اختفت سريعًا بين طيّات ذقنه، ضمها بأقصى ما يملك من قوة ضمة حانية مليئة بكل المشاعر، لم يعد يعرف ما هى هُويّتها أهى شفقة أم رغبة أم أنه حب حقيقى!! فياللمفارقة، هو يتذكر نفسه لم يبكِ منذ وفاة والدته والمرة التى سبقتها هى وفاة والده، تذكرهما، شعر كأن مشاعره قد فارقته فى السّنوات الطّويلة الماضية ولكنها عادت إليه مجددًا عن طريق صباح، تلك المرأة الضّعيفة التى تحمل فوق كاهلها أكثر مما تحتمل من آلام وحزن..

شعرت بدموعه فأخذت تجفف هى دموعها.. قلب الأنثى بداخلها تحرك مجددًا، نسيت همها وفقط ركزت كل جوارحها على إزالة ما فيه من هموم، حبها الجارف تجاهه يجعلها تفعل أى شىء من أجله، بل إنها فعلت أكبر الكبائر عندما وهبته جسدها فى الحرام فى حياة زوجها ومن بعدها، تعلم أن عقابها شديد عند ربها لكن الدّنيا قد أبهرت عينيها، أخذت تتحدث إليه من دون أى إجابة منه وكأنه شارد فى عالم آخر منعزل عنها وعن الدّنيا بأكملها، سعت جاهدة لإخراجه من هذا الوضع، فمن شدة حبها له لا تريد أن ترى أى مصاب يقترب منه، لكنه فجأة نظر إليها وبكل جمود الدّنيا على وجهه تحدث إليها:

- تتجوزينى يا صباح؟

لم تكن تعلم ماذا تقول، شعرت وكأن الدّنيا تدور بها.. كلماته صادمة لها رغم انها تتمناها، لكنها اكتفت بلحظات تختلسها معه فهى تعلم أنهما كشمس وقمر لا يلتقيان إلا فى كسوف أو خسوف يجمعهما..

- إنتَ بتقول إيه؟!
- باقول لك تتجوزينى؟

لم بتُجبه بلسانها لكن عينيها ووجهها قد أجابت، دقات قلبها قد شعر بها رعشة انتابت جسدها من الفرحة قد أوصلت له إجابتها ب "نعم" فهذا ما تتمنى.. مسح دموعها ودموعه، اقترب من شفتيها يقبّلها، التقى ثغراهما فى قُبلة أعلنت أننا قريبًا سنشهد زواجهما..

***

فى قلب الجحيم كامنًا يشكو من وهج النّار متأثرًا ببراثن اللهب طامحًا فى مخلص له من سخونة جدران ملمسه النّحاسى الملتهب بغليان ما بداخله من ماء، برّاد دُفس بعناية بين جنبات النّار معلنًا عن دور جديد من الشّاى ليأتنس به رجالات اعتادوا السّهر، حتى قام أحد الرّجال القابعين على حراسة المقبرة بإخراج هذا البرّاد الذى تحول لونه النّحاسى إلى أسود كالفحم من أثر النّار فقد وُضِع على موقدا أشعلوه من الحطب، بدأ فى إفراغ

شاى بثقل الحبر وبسكر كالعسل من جراء طن من القصب قد وُضع فيه، عادة صعيدية أصيلة، شاى ثقيل سكر كثير، بدأوا بالاحتساء منه عله يعينهم على سهر ليلة أخرى فى حراسة المقبرة بينما مغاورى جلس معتدًا بنفسه متفاخرًا كأنه من علية القوم يشعر بالبهجة لمكانة ابنه، بل إنه أصبح كبير الخفر متحذلقًا أمامهم من فرط فخره أثار الغيرة فى مكمن الصّدور خاصة ربيع، هذا الرّجل الذى استاء من كون مغاورى قد أصبح كبير الخفر وأن ابنه يحيى أصبح يأمر الجميع مثل عتمان..

- وانتَ مالك إكده فرحان جوى يا مغاورى تجولش إنتَ اللى بتعمل إكده مكان والدك؟!

- أديك جولت يا ربيع "ولدى"، يعنى صُلبى، سندى، وتدى، وضهرى فى الدّنيا وعزوتى، وبعدين شيل الغل والكُره اللى فى جلبك ده يا راجل..

- غل وكره ليك انتَ وابنك!! أنى بس صعبان عليّا الحج عمران إنه ماشى ورا حتة عيل وكمان مهوش خابر الشّغلانة زين..

- مش هرد عليك بس الشّيخ عتمان والرّاجل بتاع مصر همّا كمان مفاهمينش..

- تلاجيها حركة عاملها ولدك ويّاهم عشان ياخدوا من الحج شويّة جرشينات..

- ولدى مش محتاج يعمل إكده، ولدى عينه مليانة مش خسيس، والحج عمران يؤمر وإحنا رجابينا تحت رجيله..

- أهو كلام، وأنا الصّراحة إكده مش داخل عليّا اللعبة البلدى بتعاتكو دى..

- خلاص المجبرة جدامك أهى إنزل واشتغل إذا كنت راجل ولا هتكسر كلام الحج عمران..

ثارت الدّماء فى عروق ربيع الذى شعر بالإهانة من كلام مغاورى محاولاً إثبات زيف ما يقوله ابنه، ساعيًا لكسب رضا الحج عمران، صاح فى مغاورى مهددًا إيّاه أنه سينزل إلى المقبرة ويعمل فيها بمفرده حتى يثبت زيف ما يقول، سارع غاضبًا لحمل معوله وانطلق إلى داخل المقبرة، حاول الجميع منعه لكنه لم يقف ولم يقوَ أحدهم على النّزول خلفه فقد اعتادوا دائمًا أن ينفذوا الأوامر بعدم النّزول طالما طُلب منهم ذلك..

***

هبط ربيع إلى قلب المقبرة، المصابيح موقدة بالأسفل، ليست بكامل طاقتها لكن يمكنه الرؤية، تقدم حيث المكان المحدد للحفر، رفع معوله مطوّحًا به خلفه راميًا بكل عزمه للأمام، سمع صوتًا هائلاً عن طرقة معوله فتح على إثره عينيه فرحًا لكنه وجد معوله قد وقف فى اللاشىء، نعم فى اللاشىء، معوله معلق، تركه من بين يديه وبقى المعول فى مكانه صامدًا يفصل بينه وبين الجدار سنتيمترات عدة، انفتحت عيناه على مصراعيهما معلنتين عن فزع كبير قد دب فى قلبه فقد انطفأت كل الأنوار من حوله، صرخ جاهدًا لكنه شعر بصوته قد كُتم مرة واحدة بعد صرخته الأولى.

تلك الصّرخة سمعها مغاورى وباقى الرّجال فأرادوا النّزول لإنقاذه لكن لم يجرؤ أحدهم على فعلها خصوصًا عندما انطفأت كل الأنوار، فبادر مغاورى بالاتصال بعمران أو بيحيى.

***

شعر ربيع بكل شعرة فى جسده قد اقشعرّت وكأنها جميعها قد تحولت إلى أسنان حادة تنهش فى جسده الواهن الآن، الذى رآه فتيًّا قويًّا منذ ثوانٍ بسيطة مضت، برزت حدقتا عينيه على آخرهما علها ترى شيئًا فى هذا الظّلام الدّامس محاولاً التوجه صوب الدّرج الذى أتى منه مهتديًا على ضوء القمر الخافت الذى أتى إليه، خفق قلبه بشدة شاعرًا بالرّعب فى كل جنباته محاولاً التماسك مما هو فيه لكنه لم يجد ذرة واحدة من التماسك أو الشّجاعة تمكنه من هذا، حتى ماء حلقه لم يجده ليرتوى به، اقترب من الدّرج قبل أن يرى هذا الشىء العظيم يقف أمامه مغلقًا طريقه فى برهة من الزّمن، لم يكن هذا الشىء موجودًا من الأساس، أغلق عينيه قبل أن يشعر بطرقات خفيفة على كتفيه وكأنه شخص يقف خلفه بمنتهى اللطف يريده أن يأذن له فى شىء، التفت إليه ففوجئ بضوء الأنوار قد عاد مجددًا ليجدهم جميعًا فى انتظاره قبائل لا قبل له بهم..

***

مع عودة الأنوار اقترب الرّجال مجددًا من فتحة المقبرة، حاول أولهم أن يهبط فيها لكن الأضواء قد خبت مجددًا فعاد للخلف وفى قلبه ريبة فقد تمكن الخوف من كل الرّجال الأشدّاء هؤلاء فهم الآن أمام مالا قِبَل لهم به..

***

لحظات بسيطة هى التى أضاءت فيها الدّنيا أمام ربيع فرأى

عشائر من الجان تحرس المكان واقفة مصطفة أمام المدخل الذى حاول فتحه بمعوله الهزيل، ومن خلفه آخرون أغلقوا أمامه طريق العودة.. كلمات بسيطة سمعها لكنه وعاها جيدًا: "أنت لم تحفظ العهد"؛ فعرف أن مصيره المحتوم قادم لا محالة، قبل أن تغلق الأنوار أمامه مجددًا سمع طقطقة عظامه كلها وكأنها للرماد قد تحولت، لفظ نفسه الأخير متألمًا لكنه أرحم من البقاء حيًّا..

***

منزل كريم.. التاسعة صباحًا..

قضى كريم ليلته رفقة صباح بعد أن تواعدا على الزّواج، سكنا إلى النّوم مخبرًا إيّاها أنه فى الصّباح سيذهب إلى شركته لأن لديه بعض الأمور المتعلقة لكن النّوم من أثر إرهاق السّفر وإجهاد تلك الليلة يسيطران عليه بينما صباح قد انسلت من جواره باكرًا وقد سعت لتحضير الفطور المناسب لهما وأعدت له الحمّام عند استيقاظه، بالفعل وبكل حب وحنان فعلت الأمر ليستيقظ من نومه يجدها أمامه مبتسمة، أخبرته بأن السّاعة تقارب التاسعة صباحًا وأنها أعدت له الإفطار والحمّام من أجل أن يبدأ يومه بنشاط..

بدأ كريم يومه بنشاط وسعادة لم يشعر بهما منذ وقت كبير.. لا يعلم ماذا أضفت عليه صباح لكنها منحته سعادة بشكل مغاير.. تناولا الإفطار معًا متحدثًا معها بكل بهجة، وكانت هى الأخرى كذلك، ينبئها عن مستقبل مشرق ينتظرها وأنه سيعوضها عن كل ما فاتها فى حياتها.. عليها فقط أن تنتظر حتى تنتهى عدتها وسيكون الزّواج هو مصيرهما..

- طيب لو طلبت منك طلب تعملهولى؟
- إنتى تؤمرينى يا صباح..
- أنا عارفة إنك تعرف ستات كتير وإن أنا واحدة منهم وكنت راضية بده، بس لو انتَ هتتجوزنى أنا مش هرضا بكده، وقتها كل حاجة هتختلف..

شعر بغيرة الأنثى بداخلها تتجلى، شىء طبيعى لا تتحكم هى أو غيرها به، بل إنه حقها، فهو حبيبها وعليها أن تحميه من الجميع وهو الآن سيصير زوجها فى المستقبل.. ابتسم لها فى بهجة واضعًا ذراعه على كتفها مقرّبًا إيّاها منه:

- بتغيرى عليّا يا صباح؟
- طبعًا بغير عليك ومن زمان بس وقتها انتَ مكنتش ملكى لكن لما تبقى ليّا مش هسمح لحد إنه يشاركنى فيك، أنا ممكن أموّتك وأموّت نفسى وقتها..
- لا، بعد الشر عنك، أوعدك ميكونش فيه حد تانى إلا لو واحدة حلوة أوى يعنى ومقدرتش أقاوم..

لوت شفتيها إلى الأمام فى حزن منه ضاربةً كتفه بيدها لكنه ابتسم لها مداعبًا إياها أخذ يقربها منه مجددًا فابتسمت له فى ود مرة أخرى:

- وليّا كمان طلب..

- لا، دا إنتى طلباتك كترت أوى، بس إنتى تؤمرى يا عروسة اتدلعى براحتك..

- هو بخصوص شغلك..

- عارف يا ستى، السّتات الحلوين اللى بيجوا فى الشّغل من السّياح مليش دعوة بيهم.

- لأ، مش ده، شغلك التانى..

- شغلى التانى!!

- الآثار، أنا عارفة كل حاجة ومن زمان سمعتك بتتكلم كذا مرة فى التليفون ومع سى شريف وهو بينصحك متعملش كده..

شعر بارتباك لحظى مما تقول فلم يكن يعلم أبدًا أن مدارك صباح قد تفطن إلى مثل هذا الأمر لكنه زفر تنهيدة طويلة معبرة عن نفاد صبر، فكل من فى هذا العالم يقفون فى وجه هذا العمل حتى صباح البسيطة التى يعتبر أقصى طموحها عبارة عن عيشة بسيطة.. حكّ جبينه ثم نظر إليها مستفسرًا منها عما تقصد:

- طيب تعرفى إيه وعاوزة إيه منها؟

- مش مهم أعرف إيه لأن كل اللى أعرفه إنك بتبيع آثار، إنما المهم أنا عاوزة إيه..

- طيب عاوزة إيه يا ستى أنا؟

- عاوزاك تبطّله خالص..

قالتها صباح وهى تستجمع كل قواها، تعرف أن مطلبًا مثل هذا قد يقضى على مستقبل علاقتها مع كريم لكنها طلبته منه بكل شجاعة ولم تهب الأمر أو تخافه، بينما هو قد تحلى بنوع من

الصّبر والهدوء قبل أن يجيبها:

- طب وعاوزانى أبطّله ليه يا صباح..
- مش عاوزاك تكون إنسان وحش أو إنك تتسبب في أذى لحد..
- بس أنا مبأذيش حد، أنا ببيع وبشترى.. يعنى تجارة يا صباح..
- ما هو برده فيه تجارة بتأذى زى المخدرات وفيه تجارات تانية بتأذى زى المتاجرة بالناس، انتَ فاكر إن اللى موّت ولادى كان حد مسئول؟ لأ، ده واحد عديم الضّمير مرعاش ربنا فى شغله وهو بيبنى البيت، أو موظف كسلان فى شغله أجِّل ورق المعاينة للمكان، أو ناس كتير أوى يا سى كريم كل واحد شارك ولو بكلمة كلهم قتلوا ولادى وأنا مش عاوزاك تكون سبب فى أذى لأى حد ولا حد زيى يقعد مقهور بسبب حاجة إنتَ عملتها، إنتَ أحسن منهم كلهم..

كلمات قد تكون بسيطة لكنها عرفت طريقها مباشرة إلى قلب كريم، لم تمر بأى نوع من الحواجز..

أمور عديدة تحدث له فى هذه الفترة لكنه لم يجد أحد يحدثه بتلك البساطة والسهولة التى تتحدث بها صباح.. إنها نابعة من فطرة امرأة بسيطة، لكنها كلمات كبيرة تحمل كل ما تعانيه من أسى.. طبع قُبلة على جبينها واعدًا إيّاها أن ينهى هذا العمل لكن أمامه فقط عمل واحد سينهيه ويكون هو الأخير بالنسبة له.. لم يكن يعرف هل هذا الكلام صادق نابع من داخله أم أنها مجرد كلمات لكى يُسكت بها صباح التى صدقته مباشرة مستحلفة إيّاه بكل شىء عزيز لديه حتى لا يعود إلى هذا العمل مجددًا..

***

على وجه السّرعة انتقل سميح إلى قصر فريد المرشدى بعد أن أطلعه على آخر المستجدات فى المقبرة ووفاة ربيع فيها، ليلة ساخنة قضاها سميح رفقة المرشدى، أجريا فيها العديد من الاتصالات مع عمران لإنهاء الأمر بشكل ودى وألا يتحول الأمر إلى يد الشرطة أو غيرها حتى لا تتم مداهمة المقبرة وغلقها، وقتها سيتم غلق المكان أو أن تضع هيئة الآثار يدها عليها ويضيع كل جهدهم على هذا العمل..

حسنًا المال هو مفتاح كل شىء، هو الحل دائمًا، لكن علينا أن نبدأ من المكان الصّحيح، أولاً توجه يحيى وصابر وعتمان مسرعين للمقبرة قرابة السّاعة عملوا على إخراج ربيع من داخلها، عمل شاق استنفد قوى ثلاثتهم فى مفاوضات مضنية مع حراس المقبرة، استقر فى النّهاية على خروج ربيع وإكمال العمل فى وقت آخر، الخطوة الثّانية تمت كما خطط فريد المرشدى بدقة؛ فقد ذهب عمران إلى أهل ربيع فهو رجل بسيط يقتات من العمل مع عمران لا يوجد له أرض أو حرث، الأمر لم يأخذ الكثير من عمران لكى يقنعهم بأن إحدى قِطَع الأخشاب وقعت عليه فى العمل وأنهم عليهم أن لا يبلغوا عن شىء، فقط سيتم دفنه، وتكفينه قد تولاه عتمان، فإن تلك مهنة أخرى يقوم بها، لكن هم لم يوافقوا من دون مقابل، فقد كان المقابل فدانًا من الأرض كُتب باسمهم، اقتطعه عمران من أرضه بعد أن وعده فريد المرشدى بدفع ثمنه، وأيضًا عدة آلاف من الجنيهات لهم مع شهرية مستمرة إلى أن يكبر أبناؤه، مع التأكيد على أن بيت عمران مفتوح لهم فى أى وقت وكل حين..

الخطوة الثّالثة هى الأهم، تقرير الصّحة بالوفاة، فى الغالب وفى مصر أنت تذهب للوحدة الصّحية تخبر عن أمر الوفاة تأخذ شهادة الوفاة من دون أي معاينة طبيّة أو خلافه إلا فى حالات البلاغات أو الحوادث، وهنا الأمر سهل فقد اتصل عمران برئيس الوحدة الصّحيّة فى البلد وأخبره أن أحد رجاله توفى ولا يوجد أى شبهة جنائية ويريدون تصريحًا للدفن، لكن الطّبيب استغل الموقف وعلم عمران بذلك فما كان منه إلا أن أظهر له عدة أموال فوافق الرّجل عليها وتكتم على الأمر واعدًا إيّاه بالشّهادة فى الصّباح الباكر لكن عمران أرادها فى الحال وبالفعل تحصل عليها.

الخطوة الرّابعة بإخفاء آثار الجريمة بأن واروا ربيع فى قلب الثري، صلوا عليه عقب صلاة الفجر؛ فإكرام الميت دفنه لكن ليس بتلك السّرعة المبهرة.. سدوا عليه مقبرته ليتركوه وحيدًا دون مال أو أهل، فقط عمله وملكان أتيا لسؤاله عما فعل فى دنياه تلك، وقتها عرف أن الموت لم يكن أفضل..

أُنهك سميح وفريد المرشدى طيلة الليلة فأمر المرشدى لسميح بغرفة ينام فيها حتى الصّبيحة بينما هو خلد إلى مضجعه طالبًا النّوم لكن الأرق لم يترك أيًّا منهما قبل أن يجلسا ليتناقشا فيما حدث..

- معاليك تؤمر بإيه يا باشا؟
- هتروح دلوقتى حالاً على الشركة، أنا هكلم عصام هناك هيديك شيك بتمن الأرض والفلوس اللى عمران دفعها، ده ممكن يوقف الشّغلانة كلها عشان شويّة ملاليم..

- تمام معاليك..

- بعد كده هتطلع بنفسك لهناك وتقعد معاه ومع أهل الرّاجل اللى مات لو نفع، هيوصلك فلوس نقدية تديها لهم وتعزيهم وتأكد عليه إن الشّغلانة تتم ويحط رجالة نعتمد عليهم مش عيال يتشاكلوا مع بعض..

- تمام معاليك هقوم دلوقتى أعمل كل ده.

- تدينى التمام النّهارده يا سميح..

***

فى أحد المطاعم الفارهة جلس حسين رفقة مايا حسبما اتفقا، وصلت فى موعدها ووجدته بانتظارها هذه المرة، أخذا فى البداية يتحدثان بشكل روتينى عن أمور الحياة وفى الأسئلة الاعتيادية عن حالك وأبنائك وعائلتك وعملك وما إلى آخر تلك القافلة من الأسئلة..

- طيب نتكلم فى الجد بقى يا دكتورة مايا.. طبعًا إنتى عارفة كل اللى إحنا فيه لحد دلوقتى، وإذا صدقت التوقعات فالمقبرة هتكون كشف علمى عظيم؛ عشان كده أنا عاوزك تحطى إيدك فى إيدى ونشتغل سوا عشان نخرّجها للنور..

- ليه يا دكتور؟ هى ممكن متخرجش للنور؟

- كل شىء وارد.. واحد زى فريد المرشدى هدفه إنه يكسب فلوس وبس فممكن يكتفى بالآثار ويبيعها ولو لقى إن فى الإعلان عن المقبرة مخاطرة عليه ممكن يلغى كل شىء، وصدقينى وقتها مش هنعرف نفتحها تانى..

- إزاى يعنى يا دكتور والآثار والوزارة..

- مقبرة زى دى ملهاش عندنا خرايط ومش موجودة فى مناطق الوزارة وفتح واحدة زى دى بييجى بطريق الصدفة ولو اتقفلت صعب تتفتح تانى..

- بس حضرتك عرفت عنها وتقدر...

- لا، مقدرش، هاتسأل أسئلة كتيرة: عرفت منين؟ ومن مين؟ وإمتى؟ وهلم جرًا.. وده هيفتح عليّا بلاوى وأنا قربت أطلع معاش.

- يعنى إنتَ هتشترى نفسك وقتها ويضيع كل ده؟

- عشان كده عاوزك تتعاونى معايا كويس جدًا فى الفترة اللى جاية، كل حاجة وليها حل، وده فى إيد دكتور سميث ودكتور برادلى؛ الاتنين مهتمين بالمقبرة جدًا وكلمونى أكتر من مرة..

- طب يا دكتور ودول هيفيدونا إزاى؟

- دول مشترين مميزين عند فريد المرشدى وهو ميقدرش يزعلهم لأنه بكده هيخسر كتير ويمكن ميعرفش يوزع البضاعة من غيرهم..

- آه، يعنى حضرتك عاوز تفهمنى إن دكتور برادلى ودكتور سميث سماسرة عالميين؟

- دول ناس بيقدّروا التاريخ والعلم ويدفعوا فيه أى شىء.. والمخطوطات دى لازم نستفيد منها وتظهر للنور..

- حتى لو ظهرت برّه واتباعت؟

- لأ، هما مش هيشتروها هما هيترجموها ويعملوا عليها الدّراسات المطلوبة..

- بس كريم مش موافق على كده أبدًا..

- وده اللى أنا عاوزك فيه، كريم دلوقتى مش فاهم قيمة

الحاجات دى لكن هما هيفيدونا وإنتى تقدرى تقنعى كريم.

ارتباك شديد انتاب كل جنبات مايا، لماذا يخصها دكتور حسين بالأمر ولماذا هى التى تستطيع إقناع كريم؟ أيعرف ما كان بينهما يومًا ما؟ لكنها سعت للتماسك مجددًا لتعود سريعًا للحديث:

- وليه أنا يا دكتور اللى ممكن أقنع كريم؟
- بصى.. أنا معرفش اللى بينكم إيه، بس إن كريم يتكلم مع حد فى الشّغل ده وممكن يعرض نفسه للخطر وكمان اللى بيكلمه ده من بره الشّغل أكيد مش حد طبيعى، ده حد كريم بيثق فيه جدًا وبيأتمنه على حياته فبالتالى ممكن نلاقى العكس..

قالها حسين بكل الخُبث والمكر بين عينيه وهو يحدث مايا.. حاولت أن تخفى حالة الارتباك مرة أخرى لكنه كان بفراسته قد تمكن منها فأصبحت بين فكيه لقمة سائغة..

- طب أنا أقدر أعمل إيه؟
- تقدرى تكلميه وتفاوضيه، لازم نبقى مستعدين لكل حاجة، المقبرة دى لو مكانتش فى إيدينا ودخلت هيئة الآثار يبقى يوافق على البيع لبرادلى وسميث..
- طب فريد المرشدى فى إيده كل حاجة..
- فريد المرشدى من غير كريم ولا حاجة، هو بيثق فيه ثقة عمياء فى شغله، بيعتبره ابنه اللى ربّاه فى الشّغلانة دى وممكن فى أى لحظة يقلب بسبب كريم، والكشف ده كله يضيع من بين إيدينا؛ علشان كده عاوزك تتخيلى الكشف ده مهم قد إيه وإنتى

تقدرى تعملى فيه إيه!!

- طب وإنت ليه متبلّغش؟

- أنا ماقدرش أبلّغ لأن فريد المرشدى ماسك عليّا حاجات كتير وإنتى كمان متعرفيش تبلّغى لسببين، الأول إن المرشدى ممكن يخلّص عليكى وعلى أهلك والتانى عشان متأذيش كريم..

***

منزل عمران.. السّادسة مساءً..

يوم عصيب يمر بسميح ولم ينتهِ بعد، نفذ ما طلبه منه فريد المرشدى فذهب إلى شركته وحصل على شيك بأموال عمران ومبلغ مالى لأهل ربيع مباشرةً، ثم سلك طريقه إلى بلدة عمران التى عاش فيها فى الأيام الماضية فتراه أكثر مما قضاه فى بيته لكنه فى هذه المرة ذهب منفردًا دون أن يصطحب كريم معه..

عندما وصل استقبله عمران فى حزن وترحاب وحذر، استراح قليلاً ثم ذهبا معًا إلى أهل ربيع، شد من أذرهم وحثهم على الصّبر بكلمات تقليدية تقال فى مثل هذه المواقف لكن الأمر هنا مغاير، جلسا بعض الوقت قبل أن يختلى هو وعمران ببعض من أقارب ربيع المقربين، منهم زوجته وشقيقه وأكبر أبنائه، حاول مواساتهم وتعزيتهم فى مصابهم الجلل لكن عمران دخل إلى قلب الموضوع سريعًا عارضًا عليهم الأموال التى أتى لهم بها سميح كما أعطاهم حجة امتلاك الأرض التى وعدهم بها.. هكذا تمكّن من شراء سكوتهم أبد الدّهر مع الشّهرية التى وعدهم بها.

أنهى سميح العمل ولأول مرة يجد نفسه يشترى "ميّت" من أهله.

نعم، هو سمسار لكن فى الآثار وليس البشر وأرواحهم التى أُزهقت بسببها.

أنهيا كل شىء وعادا مجددًا لبيت عمران، التزم سميح الصّمت لكنه لم يعد يقدر على التحمّل فانفجر بكل ما به من غضب فى وجه عمران:

- اللى حصل ده تهريج يا عمران وكان ممكن الشّغل كله يبوظ.
- ما خلاص يا أستاذ سميح، أبّاى عليك عاد ما، احنا حليناها أهاه.
- آه، حليناها وربنا ستر، بس كان كل حاجة ممكن تروح فى داهية. وبعدين إحنا محليناهاش ببلاش، المفروض إن انتَ اللى تشيل كل حاجة مش الباشا..
- وأنا ذنبى إيه يا سى سميح؟
- ذنبك إنه واحد من رجالتك انتَ اللى اخترته وإحنا منبّهين عليك إن اللى يكون موجود يبقى راجل مش شوية عيال كانوا هيبوّظوا الشّغلانة، عاوزين رجّالة بتفهم مش ناس تتهايف وتضيّع شغل بملايين وتودّينا كلنا فى داهية..
- خلاص يا سى سميح.. امسحها فيّا ومش هتتكرر تانى.
- يبقى تغير كل الحراسة وييجى ناس بتفهم.
- بس دول رجّالتى وده شغلى أنى، إنتَ مليكش صالح بيه..
- بص يا عمران.. طالما انتَ مش قادر تمشّى الشّغل يبقى أمشّيه أنا، الشّغلانة دى مصروف فيها كتير وأنا من يوم ما جيت وأنا مقفول منها، دى تعليمات الباشا، وبيقول لك لو مش هتجيب رجّالة زى النّاس هو يبعت رجالته..

خرجت كلمات سميح -الهادئ دائمًا- كالصّاعقة على عمران هذه المرة، احمرّ وجه سميح وأخذ يتصبب عرقًا من شدة الانفعال لكنه يخشى على ضياع العمل فعلاً، موجة من التعنيف والتأنيب لعمران الذى رضخ فى النّهاية بعد تهديدات سميح التى لا تأتى إلا بتعليمات من فريد المرشدى..

بعدها انتقل هذا التوبيخ إلى رجال عمران الذين وُجِدوا فى المكان وقت الحادثة.. انتهى الأمر بأن غيرهم عمران جميعًا وفى مقدمتهم مغاورى والد يحيى حتى إن يحيى نفسه وافق على الأمر وطالب بتغيير الجميع، وبعدها وضع عمران مجموعة جديدة من رجاله على رأسهم سالم، رجُله الأول الذى يعتمد عليه فى كل شىء..

***

عاد كريم لمنزله فقد قضى يومًا طويلاً يرتب لعدد من الأفواج التى نجح فى التعاقد عليها فى الفترة الأخيرة لشركته ففى مثل تلك الفترة كلما وجدت فوجًا حتى وإن تمثل فى فرد واحد فتعاقد معه أنت فى أسوأ مراحل السّياحة فى مصر، شعر بأنه قد أهمل شركته فى الأيام القليلة الماضية فهو مهما بلغ انشغاله لم يتركها هكذا فهو يحبها ويحب عمله ويرى أنها مستقبله، فيومًا ما سيتقاعد عن الآثار لكن لا يعلم متى هذا اليوم هل عندما يُقبض عليه أم عندما تنضب الآثار بباطن الأرض أم عندما يتوب عما يقترفه من ذنب..

لكن اتصالاً أتاه من سميح أخبره بكل ما حدث إلى الآن.. قلق

كريم فى البداية إلى أن طمأنه سميح بأن الأمر يسير بشكل جيد لكنهم سيحتاجون إلى يوم أو يومين للبدء فى العمل كما أخبره يحيى وعتمان وصابر.. طلب كريم أن يتحدث مع يحيى الذى أخبره أن ما فعله ربيع كاد يقضى على كل آمالهم فى فتح المقبرة لكنهم فى النّهاية نجحوا فى التفاوض مع الحراس من أجل فتح المقبرة لكن يحيى أخبره بشىء واحد فى نهاية المكالمة:

- اللى جاى صعب يا أستاذ كريم، وعشان تبجى عارف أنا مش هخلف بوعدى وإلا هيكون مصيرى زى ربيع وإنت كمان خَدوا منك العهود.

- متخافش يا يحيى، أنا هعمل كل اللى أقدر عليه..

- ميكفيش يا أستاذ كريم، لازم كل اللى تعمله يوفى بالعهود..

- حاضر يا يحيى، المهم انتَ شوف الشّغل كويس..

- إنتَ تؤمر يا أستاذ كريم.. أنا مش مآمن إلا ليك انتَ، أو هما اللى واثجين فيك.. وكمان عيّنوا حراسة عليك علشان تحميك من أى شىء..

- إنتَ كده قلقتنى مطمنتنيش..

- عارف، ومكنتش عاوز أجول لك بس بَجى لازم تعرف إن احنا دخلنا فى الجد يا أستاذ كريم.. ووقت ما يدّونا الإذن بالحفر مش هناخد أكتر من يومين..

- فاهم يا يحيى، ومتخافش هنكون جاهزين..

- أستاذ كريم.. بيجولوا لك متآمنش لكل اللى حواليك ممكن اللى معاك يكون عليك واللى عليك يبقى معاك..

- يقصدوا إيه؟

- مخابرش، بس حاذر يا أستاذ كريم اللى جاى مش سهل..

أنهى كريم حديثه مع يحيى ثم مع سميح مجددًا، وبعدها جلس يفكر بما يقوله له يحيى، أيوجد مّن يراقبه من الجان الآن، عاد وتذكر قدراتهم عندما غاص إلى باطن الأرض وهو فى بيت عمران ليرى المقبرة من الدّاخل ثم جلس مرة أخرى يفكر بكل ما قاله يحيى عن الحذر وأنه يجب عليه ألا يثق فى أحد، ظل شاردًا بعض الوقت إلى أن أتت له صباح بالطعام فقد رفض أن يتناول أى طعام فى عمله حتى يتناوله رفقة صباح التى يرى فيها صباحًا جديدًا له وإشراقة عمره فربما تضعه تلك المرأة البسيطة على طريق الصّواب من جديد..

***

هندم شريف من نفسه داخل سيارته عندما وصل إلى بيت نسيم العتال، فقد وعده أن يقوم بزيارته للاطمئنان عليه.. استقبله ابنه فقد كانوا ممتنين جدًا لمدى العناية التى وجدوها فى مشفاه، ذهب برفقته إلى غرفة نسيم وجلسا معًا لكى يطمئن عليه..

- أخبار معاليك إيه يا باشا؟
- الحمد لله يا دكتور شريف.. إنتَ اللى أخبارك إيه؟
- إحنا بخير طول ما معاليك بخير..
- ما أنا قُلت لك سيبك من الرسميّات دى؛ إنتَ زى ابنى..
- ده شرف ليّا معاليك. وبرده حبيت أطّمن على حضرتك فكلمت الفريق المتابع لحالتك وطمنونى..
- آه، هما كانوا هنا النّهارده. بس هو أنا هفضل كده كتير؟

- حضرتك ممكن أسبوعين كمان فى السّرير وبعدين نبدأ الحركة والعلاج الطّبيعى..

- كتير يا دكتور..

- يا باشا الشرخ ده مش كسر كنا هنجبّسه والسلام لازم نسيبه يلم براحته وبعدين منطقة الحوض دى صعبة شوية فعشان كده هنحتاج شوية صبر..

- لكن أنا مش متعوّد على كده..

- معلهش يا باشا، كلها كام يوم ترتاح فيهم وناخد بالنا إننا نغير وضعية السّرير كل شوية عشان منصابش بقرحة فراش وممكن كمان يومين نبدأ نقعد على كرسى ونتحرك بيه.

وجّه شريف كلماته الأخيرة لزوجة نسيم العتال وبعدها بدأ يطمئنهم على صحته ويتحدث معهم بشكل ودى فى جلسة لم تكن قصيرة قضاها معهم ثم استأذن مغادرًا واعدًا إيّاهم بزيارة جديدة ليطمئن فيها على نسيم العتال.

***

بعد مكالمة هاتفية تلقاها من مايا استبدل كريم ملابسه مستعدًا للخروج، وعندما استوقفته صباح أخبرها أنه ذاهب إلى عمل فأخبرته أنها سمعت الاتصال وأن من يحدثه هى امرأة.. تحركت غيرة الأنثى بين جنبات صباح، احتضنها وأخبرها بأنها معه فى العمل، لكنها لم تصدقه فلم يكن أمامه أى مفر سوى أن يحكى لها بعض التفاصيل عن المقبرة التى يعمل عليها حيث وعدها من قبل أن يتوقف عن عمله فى هذا الأمر فور انتهائه منها. بالتأكيد لم تفهم صباح كل شىء لكنها أحست فيه بالصّدق، ثم ودّعها

مغادرًا إلى لقاء مايا حيث انتظرته فى المطعم نفسه الذى التقت به صباحًا الدّكتور حسين، وجدها قد وصلت قبله فالمطعم أقرب لها منه لكن وجد برفقتها طفلتها الصّغيرة، سألها عنها ووجدها قريبة الشّبه بها، أخبرها عن ابنته وأراها صورتها، تبادلا بعض أطراف الحديث التقليدى قبل أن ينتقلا للجلوس بجوار قسم الأطفال حيث يقدم هذا المطعم مكانًا خاصًّا لهم، وضعت ابنتها هناك وهى تراقبها وتتحدث مع كريم، أخبرته بكل ما قاله لها حسين والحديث الذى دار بينهما صباحًا..

- يعنى حسين بيقول لك إنه هيدخلهم رسميًّا فى الموضوع ويبيع ليهم وياخد نسبته منهم ومن فريد المرشدى؟!

- طب ما انتَ كده كده هتبيع؟!

- لأ، أنا كنت هبيع تماثيل إنما مخطوطات وأسرار لأ، حسين كده هيبيع كله.

- طب مش تعرف الأول همّا عندهم الحل إزاى؟

- إزاى.. حسين قال لك إيه؟

- دكتور حسين قال لى إنهم يقدروا يعملوا مخطوطات أثرية قديمة يكون فيها إشارة لمكان قريب من المقبرة ويفتحوها بعد كده بمنحة خارجية، لكن ده لو همّا مشتروش من الأول..

لم تكن تلك النّظرة على عيني كريم من الدهشة والانبهار كما توقعتها مايا لكونه لم يصدق الأمر، بل إنه توقع شيئًا مماثلاً، ضحك بصوت خافت حتى لا يلفت الأنظار ممررًا يديه بين خصلات شعره قبل أن يحك فروة رأسه بيده ليعود مجددًا ليثبّت ناظريه فى مواجهة عينَي مايا التى اضطربت قليلاً قبل أن يعاود

حديثه مجددًا:

- مش قُلت ليكى النّاس دى عندهم استعداد يعملوا أىّ حاجة عشان إحنا منستفيدش بالعلوم دى؟!

- بس لو المقبرة مش هتتفتح والحاجة تطلع يبقى ده أسلم حل.

- إنتى بقيتى بتثقى فى حسين أوى كده ولا إيه؟

- لأ، أنا من البداية ضد الموضوع لكن لو إن الاستفادة بالبرديات دى لو ثبتت صحتها مش هتيجى إلا كده يبقى أنا معاهم؛ أنا عاوزة العالم كله يستفيد، أنا بأتكلم من وجهة نظر بحثيّة..

- مش فاهم..

- بص.. أنا اشتغلت مع دكتور برادلى وده واحد من أهم الأثريين فى العالم..

- وأنا بعت له آثار وأقول إنه من أهم مقتنى الآثار فى العالم..

- مش مشكلتنا، هو بيقتنيها ويدرسها ويقدمها علميًّا بشكل كويس وده المطلوب، فلو همّا اللى فى إيديهم إن الحاجة دى تظهر يبقى أهلاً وسهلاً، أنا مع العلم مش مع سرقة الآثار..

- طب وليه منطلّعش إحنا الحاجة دى؟

- طيب ما إحنا بنحاول.. أنا بأتكلم لو فشلنا..

حاولت مايا أن تناور كريم لمرة أخرى فيبدو أنها اقتنعت بكلام حسين وتريد إقناع كريم، هى ليست مع السّرقة لكنها مع رؤية تلك المقبرة وأسرارها تخرج للنور وأن تعلم بها البشرية كمقبرة أثرية عملاقة ستغير من التاريخ القديم إن صدق ما يتوقعونه عنها.. استعدت لجولة جديدة لكن كريم هو مَن عاجَلها بأخذ زمام المبادرة موجهًا لها سؤالاً لم تفهمه:

- تعرفى وثيقة بانرمان؟!
- أنا أعرف بس بانرمان رئيس وزراء بريطانيا السّابق.. تقصده؟
- بالظبط، فى بداية القرن الماضى الدّول الاستعمارية درست الوضع فى الشرق الأوسط وأفريقيا..

و "بانرمان" كان المسئول عن الدّراسة وعمل وثيقة سنة 1907 وقعت عليها الدّول الكبرى مفادها أن الشرق الأوسط وأفريقيا هما أرض المستقبل لحضارة الإنسان الأبيض وقالوا إنهم لازم يخلوا الدّول دى متأخرة ومتخلفة ونحارب التقدم والتطور فيها وخيراتها ميستفيدوش بيها لأنها مستقبلهم فى الأرض وهمّا وقتها فعلاً كانوا بيحتلوا البلاد دى..

- وده إيه علاقته باللى إحنا بنقوله دلوقتى أو بالمقبرة؟
- علاقته بسيطة، إن الماسونيين اللى بيتبع ليهم دكتور برادلى ودكتور سميث بيقولوا الكلام نفسه وإن فى آخر الزّمان هيحكموا العالم من أرض مصر ويطلّعوا هيكل سليمان من هضبة الأهرامات ويحكموا منها العالم..
- برده هترجع لنظرية المؤامرة؟!
- طب ليه إصرارهم على المقبرة دى بالذات وليه عاوزين العلوم اللى فيها؟
- هافترض حتى يا كريم إن كلامك صح بس هى العلوم دى هتفيد فى العصر الحالى فى إيه؟
- ممكن متكونش تفيد بحاجة بس على الأقل تعرفى تاريخك،

دا إنتى بتاعة تاريخ يا دكتورة!!

قالها كريم بلغة أقرب للسخرية اضطربت على إثرها مايا وشعر بأنه جرح جزءًا من كبريائها فعاود سريعًا للحديث بلغة جادة حتى يتدارك الموقف:

- أبسط حاجة يا مايا من علوم عند الفراعنة العلم الحديث لسّه فى طور النّظريات فيها، ويا عالم ممكن نوصل لإيه فى المقبرة دى يكون العلم متوصّلش له..
- بس يا كريم انتَ بتفترض إنهم سيئين من قبل ما ييجوا وأنا بقول إننا لو مقدرناش نخرّجها للنور يبقى تخرج عن طريقهم.. وبعدين إحنا لسّه منعرفش المقبرة دى فيها إيه..
- طب تعرفى البنائين الجدد؟
- طبعًا دى حركة ظهرت فى أوروبا بدأت فى ألمانيا وانضموا للمحفل الماسونى طبقًا لنظرية المؤامرة اللى انتَ من أنصارها..
- مفكرتيش ليه بقى بيسمّوا نفسهم "البنائين الجدد"، النّاس دى من وجهة نظرهم إنهم يبنوا العالم من جديد من وجهة نظرهم وإنهم ورثة البنائين القدماء.
- اللى همّا المصريين القدماء مثلاً؟
- مش شرط، النّاس دى بتبحث فى كل العلوم القديمة، والبنائين الأوائل دول ممكن نقول المصريين، أطلنتس، إغريق، صينيين، هنود، بابليين، أيًّا كان، لكن مصر القديمة من أهمّهم..
- كلامك فيه منطقية برده..
- لو تفكرى هتلاقيهم بيشككوا فى الحضارة المصرية القديمة، مثلاً اتبنت بعد ما المصريين سرقوا علوم أطلنتس، ومنهم اللى

بيروّجوا إن اليهود فى فترة وجودهم فى مصر همّا اللى بنوا الحضارة المصرية وعملوا أفلام على كده، بس الشىء اللى يضحّك إنهم جابوهم فى الفيلم موجودين فى عصر الملك رمسيس وبيبنوا هرم خوفو!!

- بس اللى انتَ بتتكلم عنهم دول مش دكتور برادلى أو دكتور سميث..

- طب تعرفى إن واحد زى برادلى أو سميث دول كارثتهم أكبر إنهم مبيطلعوش ينفوا ده أو يكذّبوه..

- طب ممكن نرجع لموضوعنا؟ هنعمل إيه فى المقبرة؟

- بصى يا مايا.. المقبرة دى آخر حاجة أنا هاعملها وبعدها هاسيب الشّغل ده كله وممكن أسيب مصر كلها، لكن تأكدى إنى عمرى ما هاسيب برادلى أو سميث ياخدوها حتى لو هاقفلها تانى.. ده وعد أنا أخدته على نفسى، المقبرة دى يا تطلع للنور صح يا متطلعش.

أنهى كريم كلماته محتدًّا على مايا التى ابتسمت له لتهدئة الأجواء بينهما وزاغت عيناها عنه لكنها وجهتها سريعًا تجاه ابنتها الصّغيرة متحاشية النّظر فى عينى كريم الذى تابع ابنتها هو أيضًا متذكرًا مريم ابنته..

***

قصر فريد المرشدى.. الثّانيةَ عشرةَ ظُهرًا..

سرعة كبيرة تلك التى يتحرك من خلالها حسين، يسعى ليكون شريكًا رئيسيًّا فى كل شىء، يريد أن يرمى شباك صيده على جميع اللاعبين فى تلك المباراة سواء كانوا ذوى أدوار رئيسية أو

طلبه اللحوح لمقابلة فريد المرشدى لم يكن أمرًا غريبًا فقد اعتاد على ذلك، يتحمل كل ما يقوم به حسين من حماقات لمعرفته بأنه ورقة مفيدة يستفيد بها فى بعض الأحيان حتى لو مرات قليلة أو نادرة عندما تقفل كل المنافذ لكنه يظل ورقة لا يستهان بها..

كعادته وصل حسين مبكرًا قبل موعده، وكما اعتاد المرشدى يترك ضيفه قليلاً ينتظر حتى يربكه ويقلل من أهميته.. كلهم يهابون هذا الانتظار ويتصببون عرقًا إلا تلميذه النّجيب كريم الذى دائمًا ما يبدو واثقًا من نفسه.. لكنه الآن يذهب لملاقاة حسين الذى انتظر لما يقارب نصف الساعة رغم علمه أن حسين قادر على الانتظار الدّهر بأكمله فهو لا يكل ولا يمل.. أشعل المرشدى سيجاره الفاخر، أخذ نفسًا عميقًا منه وزفره فى سماء البهو قبل أن يتوجه مباشرة إلى حيث يقبع حسين، وكعادته دائمًا استغل حسين فترة وجوده وانتظاره يرمق المكان والديكور الخاص به، يتفحصه كل مرة وكأنها مرته الأولى، اعتدل واقفًا فور أن رأى فريد المرشدى أمامه، أشار إليه المرشدى بالجلوس.. مرتبكًا كعادته جلس حسين يلملم من نفسه مهندما من حاله قبل أن يبدأ فى الحديث:

- أنا آسف على إزعاج معاليك يا باشا..
- سريعًا يا حسين عشان ورايا مواعيد تانية..

خرجت تلك الجملة حازمة من المرشدى مما جعل الارتباك يتملك من حسين بشكل أكبر جعله يسرع بسرد ما لديه حتى يجذب

انتباه المرشدى إليه:

- دكتور برادلى ودكتور سميث كلمونى وقالوا إنهم هيوصلوا القاهرة بكره..

كانت تلك المعلومة مفيدة لفريد المرشدى، فهذا يعنى أنهم جادون فى الشراء وأنهم سيحضرون فى أسرع وقت وسيتحصل على أمواله سريعًا، فرح فى داخله لكن تعابير وجهه ظلت خالية من أى شىء مما أصاب حسين بالإحباط قليلاً فأشار إليه المرشدى بالحديث..

- هما قالوا ليّا أبلغ معاليك إنهم جاهزين يشتروا الجزء الموجود من المقبرة وإنهم مستعدين يشتروا الجزء التانى برده بأى سعر إنتَ تطلبه..
- وإيه الجديد فى كده؟ ما دكتور سميث كلمنى وأنا شبه اديته كلمة..
- همّا ليهم طلب طلبوه منى بس أنا قلت ليهم إن معاليك اللى بإيدك الأمر والنّهى فى الموضوع ده..
- خير يا حسين؟
- هما عوازين يدخلوا المقبرة..

قالها حسين بأسلوب درامى بعض الشىء، ثم استكان بعده ليرى ردة فعل المرشدى الذى تنهد مستكينًا وكأن شيئًا لم يحدث:

- ده أمر سابق لأوانه؛ لسّه المقبرة الكبيرة ماتفتحتش ولمّا تتفتح ونقيّمها نبقى نشوف وقتها..

- همّا بردو يا باشا بيستأذنوك إنهم يدخلوا المقبرة الأولانية حتى..

- طيب، هاشوف الموضوع ده مع كريم وأقول لك.. المهم خُد بالك منهم لما ييجوا ورتب استقبالهم، ولا أتولى أنا الأمر؟

- لا يا باشا.. همّا قالوا إنهم مرتّبين أمورهم بطريقتهم وهما طالبين يقابلوك بكره..

- هيوصلوا إمتى؟

- المفروض 10 صباحًا..

- خلاص، إديهم معاد بكره 10 بالليل وتجيبهم وتيجى هنا.. تمام؟

- تمام يا باشا.

أنهى المرشدى الحوار وانصرف حسين فرحًا بما قام به حيث يسير على نهج الخطة المرسومة ودوره الموضوع فيها بشىء من الدّقة سعيدًا بأنه أنجز الأمر فقد وُعِد بمقابل مادى مُجز من الطّرف الأجنبى بخلاف ما سيتحصل عليه من المرشدى بالإضافة إلى طموحه فى أن تتحول تلك المقبرة إلى كشف رسمى يزينها اسمه فى قائمة الباحثين المكتشفين، وهذا الأمر سيزيده فى المكانة العلمية وقد يعود عليه بمكافأة فى عمله وترقية تساعده على زيادة راتبه قبل بلوغه سن المعاش، لكنه لم ينظر لهذا الأمر بشكل مادى فهو سيتلقى من الأموال ما يفوق راتبه ولكنه نظر بشكل علمى للوجاهة الاجتماعية التى قد تتبلور فى استضافته فى البرامج التليفزيونية واستدعائه للمثول فى العديد من

المؤتمرات العالمية ليتحدث عن الأمر وجهده الكبير فيه... أخذت الأحلام والطموحات ترتسم فى مخيلته وهو يغادر قصر فريد المرشدى..

***

إرهاق شديد يعانى منه سميح الذى لم يتعب فى عمل منذ وقت طويل مثلما حل به فى تلك المقبرة اللعينة، لا يحبّذ الاستمرار لكن الأموال تغريه، التشاؤم أصبح يتملكه خصوصًا مع وفاة ربيع ومع دخول تلك الغريبة للعمل عن طريق كريم، وأيضًا أن حسين قد علم بالأمر ودس أنفه فيه فهو أيضًا مثل كريم لا يحب حسين ولا يحب تدخّله فى الأمور..

تصبب عرقًا بشدة عائدًا من بلدة عمران إلى منزله لكنه تلقى اتصالاً من المرشدى جعله يتوجه إليه أولاً على وجه السّرعة، والشىء الأكثر إثارة بالنسبة له أنه لا يعلم فيما يريده فقد طلب منه الحضور دون الإفصاح عن شىء وها هو على بوّابة القصر يخترقها بسيارته المنهكة من السّفر كصاحبها قاطعًا مسافة تقارب الخمسمائة متر بين حديقة القصر الخلابة التى يتأملها كل مرة طامحًا فى يوم ما أن يكون مثل المرشدى لكن يعلم أن مناله بعيد..

لم يندهش سميح عندما وجد سيارة كريم قابعة تحتل مكانها فى المنطقة المخصصة لانتظار السّيّارات بساحة القصر، خرج من سيارته مسرعًا وتوجه مباشرة إلى مدخل القصر حيث وجد من يقله إلى غرفة الانتظار التى وجد كريم بها يحتسى فنجانًا من القهوة فطلب هو الآخر فنجانًا مشابهًا علّه يفيق مما هو فيه، ثم

جلس يمسح عرقه الذى قد تراه أكثر غزارةً من المعتاد فى هذا الوقت من العام.. تركه كريم حتى يرتاح فما كان إلا أن تحدث سميح:

- انتَ هنا من زمان ولا إيه؟
- لا، من عشر دقايق تقريبًا.. انتَ قل لى الأخبار عند عمران إيه..
- حلينا المشكلة والمفروض إنهم هيشتغلوا النّهارده من تانى.. ربك يسهل.. أنا مش متفائل..

أطلق كريم ضحكة خفيفة على ما قاله سميح ثم اعتذر له بيديه فهو يعلم أن سميح يؤمن بالقدريات وبالتفاؤل والتشاؤم بشكل قد يكون مبالغًا فيه.

- معلهش يا سميح.. هانت، كلها كام يوم ونخلص من الشّغلانة دى..
- والله شكلها مش باين لها خلصان.. المهم الباشا عاوزنا فى إيه؟
- علمى علمك، كلمنى وقال لى تعالى جيت على طول، أكيد عاوز يطمن منك على اللى حصل هناك.

تبادلا أطراف الحديث، أخبر سميح فيه كريم كل ما دار هناك وكيف قام بحل المشكلة كما خطط لها فريد المرشدى، كما أنّه وصف طمع وجشع عمران حتى دخل عليهم المرشدى مستمعًا للجزء الأخير من حديث سميح، حيّاهما ثم جلس معهم ليبدأ هو الحديث:

- عندك حق يا سميح.. عمران كان لازم هو اللى يتحمل كل حاجة بس المقبرة دى مختلفة والتضحية فيها مش خسارة.

- أكيد اللى معاليك شايفه. أنا بس متضايق منه ومن إهماله..

- عشان كده الحساب هييجى فى الآخر ولما الحساب بيجمع بيبقى أصعب أكيد..

- أكيد معاليك، أنا زى ما كلمت سعادتك فى التليفون عملت كل اللى طلبته منى وخلصت كل حاجة هناك..

- تمام، عمومًا مش ده اللى أنا عاوزه منكم.. حسين كان عندى النّهارده وبيقول لى إن النّاس بتوع أمريكا جايين بكره..

- بالسرعة دى؟ دا دول بالذات أكتر ناس بيتقلوا على الشّغل!!

- شكل كلامك يا كريم صح ومسمّع عندهم، وده بقى اللى عاوزكم تشتغلوا عليه.

- إنتَ تؤمر معاليك وأنا وكريم ننفذ..

- بص يا سميح.. عاوزين أعلى سعر ممكن، السّعر اللى انتَ قايله قبل كده يا كريم زوّده وكل ما السّعر يزيد مكسبكم إنتم الاتنين هيزيد..

- يا باشا من غير حاجة إحنا رجالة معاليك..

- ساكت يعنى يا كريم.. مش عوايدك..

- لو تسمح لى يا باشا.. النّاس دول وقدومهم زى ما انتَ بتقول بيدل على إنهم عارفين قيمة المقبرة، فده السّؤال دلوقتى: إيه مصير المقبرة دى؟

- ده ميخصنيش يا كريم، اللى يهمنى التماثيل تتباع بأغلى سعر ممكن، أمّا المقبرة فدى هتبقى بينك إنتَ وحسين تطلّعوها للبحث العلمى، تقفلوها تانى، مش مهم، إلا لو هتبيعوها وقتها

الوضع هيختلف وهتبقى من خلالى..

- لا يا باشا البيع لأ، دى قيمة وثروة تاريخية كبيرة لو بانت أهميّتها أو قيمتها زى ما إحنا متخيلين حتى لو شوية ورق ملهومش لزوم..

- مش وقته ده يا كريم.. النّاس جايّة بكره.. إنتَ وسميح هتقعدوا دلوقتى تراجعوا الأسعار، الحاجة وصلت الفجر وفى المخازن تحت، عاوزكم تشتغلوا عليها صح.

- بس يا باشا...

- خلاص يا كريم مش وقته..

قالها المرشدى لينهى الحديث عن المقبرة وقيمتها فكل ما يريده هو القيمة المادية التى سيتحصل عليها ولا شىء آخر يعينه فى هذه الدّنيا؛ فالمرشدى رجل أعمال والأعمال بالنسبة له هى أى طريق يؤدى للحصول على المال، فكلما زاد مالك زاد نفوذك وسلطتك بشكل أو بآخر..

***

قد يقول البعض "أى ثرى ذكى غبى هذا الذى يضع مخزنًا لتلك الآثار بقصره؟ ".. لكن عذرًا فأنت لم تدخل القصر، الحدائق الغناء المحيطة بهذا القصر فيها منطقة صُممت بدقّة عالية من أحد أمهر مهندسى تصميم الحدائق لتكون مشابهة لحدائق المناطق الاستوائية كما أنها تحوى أشجارًا عالية ومرتفعة، فهذا يعطى جمالاً جيدًا فى التنسيق فى المساحات الكبيرة والمتسعة، أيضًا لو مررت فى تلك الحديقة الكبيرة لوجدت جزءًا آخر صُمِّم على طراز الحدائق الأندلسية بالإضافة لجزء يشبه فى تصميمه

الحدائق الآسيويّة، فمن يتوقع أن تكون تلك الحدائق البهيّة التى تدهش النّاظرين تحوى فى داخلها سردابًا يؤدى إلى قبو كبير تحت أرض القصر قد تم تصميمه بعناية فائقة يقع مدخله فى الجزء الخاص بالحديقة الاستوائيّة التى تحتل المكان الجنوبى من القصر؟ قليلون هم من يعلمون بذلك وكريم وسميح هم من بين تلك القلة المصطفاة بالإضافة إلى رجال الأمن الخاصين المكلفين بحماية المكان وبحماية فريد المرشدى نفسه..

عن ظهر قلب عرف سميح وكريم الطّريق المؤدى إلى السّرداب، أو بمعنى أصح كل الطّرق المؤدية، ففى كل مرة يذهبون من طريق مختلف لكنهم حفظوا تلك الطّرق كاملة والآن يمكنهم أن يذهبوا إلى حيث يريد المرشدى حتى من دون مرافق، خبرة السّنين قد علمتهم كل دهاليز هذا القصر الذى انتقل إليه المرشدى منذ قرابة عشر سنوات، لكن الدّواعى الأمنية تبقى كما هي مثل البيروقراطية الحكومية، أحد رجال الأمن المخصصين يصطحبهم إلى هناك حيث تراس عادى للجلوس من بين ثلاثة تراسات مختلفة، العجيب أنه فى كل مرة كان يتم طلاؤه بلون مغاير لكنهم كانوا يتعرفون عليه دائمًا، فى البداية انتابهم بعض من الرّبكة لكن بعد ذلك اعتادوا على هذا الأمر..

عند الوصول إلى التراس تجد فتحة مخفيّة بحجم كف اليد فى أحد الأعمدة التى تحملها، يُدخل رجل الأمن المصاحب لهم يده ليحرك قرصًا دائريًا ينفتح على إثره جزء من أرضية التراس تلك، حيث كاد سميح أن يسقط فيه فى أول مرة أتى فيها إلى هنا، بعد ذلك ظهر أمامهم دَرَج بسيط نزلوا منه إلى الأسفل يتقدمهم مُقلهم فى تلك الرّحلة التى تروق لكريم نهايتها للغاية حيث يرى

فى كل مرة تماثيل وآثارًا مصرية قديمة يتمتع بفحصها دائمًا، منها ما يراه قيّماً ومنه ما لا يجذب أدنى اهتمام منه، لكنه دائمًا ما يصر على أن فريد المرشدى متفرد فى هذا العمل..

بينما سميح ينبهر من تصميم المكان، بهو كبير بمساحة عملاقة متأكد أنها فى النّهاية تصل إلى مكان ما فى القصر نفسه حيث إنهم فى كل مرة يذهبون فيها إلى هذا القبو يجدون المرشدى بانتظارهم كما هو الآن بينما القبو من الدّاخل مبطن بالكامل بمادة عازلة للصوت بالإضافة إلى أنها عازلة لتساقط الأمطار والمياه وأى من تلك الأمور فيعلوه شبكة صرف هائلة حتى لا تتساقط المياه من الحديقة أعلاه..

ترى على جدران البهو تُحفاً فنيّة من الرّسومات واللوحات والتى يعد بعضها قد اختفى لأسباب غير معروفة أو سُرق من مكان ما ولكن فريد المرشدى نفسه من هواة اقتناء تلك الأشياء وقد أعد دواليب زجاجية عملاقة تحوى مقتنيات من حضارات مختلفة، تلك من أسطورة هندية وأخرى من حكمة صينية مع ثالثة من عراقة إغريقية، فهو يقتنى وبشدة.. نعم يبيع، لكنه يقتنى فيحتفظ أيضًا بقطع فرعونية نادرة لم يتخلّ عنها لأنه شعر بقيمتها ورونقها الأخّاذ.

جلس المرشدى على مكتبه فى آخر البهو ينتظرهما، يضبط نظام تبريد الهواء فى المكان ويأتى أحد الحراس بمشروبات لهم، اختار سميح البارد منها بينما كريم أراد التركيز فطلب فنجانًا آخر من القهوة حتى يكون فى قمّة وعيه قبل أن يبدأ فى مراجعة القطع مرة أخرى ومحاولة إضافة أثمان أخرى عليها، فهما يعلمان

أن المشترى سيدفع أعلى سعر ممكن لكن شريطة أن لا يكون مبالغًا فيه، بينما المرشدى يراقب العمل معهما وهو فى شدة الانتباه لما يقومان به..

***

استعد رجال عمران لمعاودة العمل فى المقبرة مرة أخرى بعد أن حصل لهم يحيى على الإذن، فالجميع الآن قد آمن بقدراته بعد وفاة ربيع، لكن ما أتى بعمران على عجل هو تخوّف الرّجال من العمل مما جعل سالم يستعجله ليأتى بعد أن رفض يحيى وصابر وعتمان التدخل فى عمل الرّجال فهم يريدون قلوبًا من حديد لدى من يعمل وليست قلوبًا واهنة ضعيفة، لهث عمران عندما وصل إليهم من الإرهاق لكنه بادرهم سريعًا بالسؤال:

- خير يا سالم.. جايبينى على ملا وشى ليه؟
- الرجّالة خايفين يابا الحج ومش عاوزين يشتغلوا..
- بتجول لى مين اللى خايفين!! هو فيه رجالة بتخاف وكمان لما يبقوا رجالة الحج عمران؟!! مالك يا ولد انتَ وهو اتكلموا..

نظروا جميعًا إلى بعضهم البعض فى حرج شديد، تبادلوا النّظرات، شعروا بضآلة حجمهم أمام عمران الذى سارع مجددًا طالبًا منهم الحديث قبل أن يسارع أحدهم بالأمر خشية عقاب عمران لهم جميعًا.

- بصراحة يابا الحج إحنا خايفين من اللى حصل لربيع يحصل

لنا إحنا كمان..

- خايفين من إيه يا خويا.. طب ربيع (الله يرحمه) مسمعش الكلام إنما دلوجتى النّاس بيقولوا ليكوا احفروا..

- ما هو يابا الحج العمر مش بعزجة برده..

- لا يا أخويا بعزجة عشان لو ماشتغلتش انتَ وهوّ أنا هادفنكم مكانكم...

نظر إليهم عمران لكن تهديده لم يؤثر بهم فحب الحياة قد ملأ قلوبهم أكثر من حبهم للمال.. غلت الدّماء فى عروقه، شعر بجسده ينتفض من الغيظ، رأسه كالحمم البركانية تتصاعد إليها الدّماء مندفعة من مظهر رجاله المُخزى الذى لم يعتَده من قبل..

- بقى انتم رجالة انتم، دا النّسوان جلوبهم جامدة عنيكم، أنا بنفسى هافحت المجبرة دى عشان أثبت لكم إن مفيش حاجة..

لم يكن يدرى عمران لماذا قال هذه الكلمات لكنه قد أُلجم بها بعدما غادرت فمه كالرصاص تخترق صمت الليل؛ فذهب إلى أقرب معول وحمله مندفعًا إلى داخل المقبرة... تذكر أول مرة عمل فيها بهذا الشّكل بدأ فى أسفل منزله منذ قرابة أربعين عامًا، وحينها حدث انهيار أرضى مفاجئ فى سفح الدّار، حمل فأسه يومها فكان فتيًّا ويسمع عن الآثار فى كل مكان ولكنه لما يرَ شيئًا، شعر وقتها بالحياة قد ابتسمت له، حفر بكل قوته، استمر منفردًا فى هذا العمل لما يقارب الشّهر حتى وجد مبتغاه فقد كان عبارة عن غرفة بسيطة مربعة الشّكل أضلاعها لا تتخطى المتر الواحد لكل ضلع وجد فيها ثلاثة قطع أثرية حاول بيعها وبالفعل

نجح، أخذ المال لكنه بعد ذلك علم أنه باعه مقابل الفتات لكنه اشترى أرضًا وبنى بيتًا جديدًا، بعدها عمل مجددًا على إيجاد المقابر فقد امتهن الأمر بعد أن كانت مجرد عطيّة وهبه إيّاها القدر فى مرته الأولى..

فى طريقه إلى الأسفل تذكر كل الأعمال التى قام بها وكل المقابر التى فتحها، تذكر أهله وأسرته وكل من عرفهم وأحبهم فى تلك الدّنيا، للحظة خشي أن يلقى مصير ربيع لكن الحج عمران يجب أن لا تهتز صورته، وصل للمكان المطلوب وضرب بمعوله أوّل ضربة خرج صداها لمن هم بالأعلى ينتظرونه، تجمدت الدّماء فى عروقهم عندما توقف الصّوت لوقت قد طال إلى ما يقارب الدّقيقة حتى عمران نفسه لا يعلم ماذا حدث، لقد ضرب ضربته الأولى لكنه تشنج فى مكانه لم يفتح عينيه، شعر كأنه قد قرأ كل ما يعرف من القرآن فى تلك الثّوانى المعدودة، حاول جذب المعول مجددًا لكنه وجده متحجرًا فى مكانه، تملك العرق من كل ذرة فى جسده، عرق داخلى قبل العرق الخارجى الذى تصبب به جسده بغزارة... فتح عينيه فى خوف ووهن ليجد المعول قد شق طريقه فى قلب الجدار الكامن أمامه منذ آلاف السّنين فى حالة من السّكون تحتاج لمن يوقظه من سُباته العميق، تنهد عمران قبل أن يجذب المعول بكل ما يملك من قوة..

ضربته الثّانية أتى صوتها أكثر سعادة على آذان الواقفين بالأعلى فقد انتابهم الخوف.. ضربات عديدة تلتها فى قوة وسرعة، أسرع الرّجال لمساعدة عمران الذى شعر بالدّماء تجرى فى عروقه من جديد عائدًا إلى شبابه وقوته، شعر بهم خلفه فالتفت إليهم ليجدهم واقفين ويحملون أدواتهم مستعدين للعمل لكن عمران

أشار إليهم بالتوقف..

- سالم.. إدى لكل واحد فيهم جرشيناته ومشّيه؛ أنا ميشتغلش معايا نسوان..

كلماته تلك هبطت كالصّاعقة على مسامعهم فسارعوا يترجونه ويتوسلون إليه، يستحلفونه بكل ما يملك من عزيز وغالٍ أن لا يطردهم من جنته الملعونة، تمنّع فى البداية لكنه حقق فى النّهاية ما يريد، خصم فى الأجور التى يتلقونها وفّر به من فاتورة مصروفاته حتى يزيد إجمالى أرباحه فى النّهاية، عقلية تجارية بارعة رغم جهله المدقع بأبسط قواعد التجارة الحديثة..

***

مطار القاهرة الدّولى..

الحاديةَ عشرةَ والنّصف صباحًا..

رغم طول الانتظار لم يتململ هذا الشّاب قوى البنية ذو الطّول الفارع حليق الرّأس، يرتدى ملابس ضيّقة مُبرزةً عضلاته تجذب أنظار كل المارين من حوله، مع نظارة سوداء تحجب تمامًا عينيه عن النّاظرين، منذ قرابة السّاعتين وهو ينتظر فمن المفترض أن تصل الطّائرة التى تقل كلاً من دكتور سميث ورفيقه برادلى فى العاشرة لكنها تأخرت بعض الوقت، وبعد وصولهما انتظرهما حتى يُنيها إجراءاتهما فقد كان هو مضيفهما، حين خرجا من المطار سلم عليهما بحرارة وحمل حقائبهما واضعًا إيّاها فى سيارة خاصة تنتظره، ساعده سائقها فى وضع الحقائب بها، بعدها

انطلقوا إلى حيث سيقطنون فترة وجودهم فى القاهرة لحين إنهاء عملهم، فتلك هى المرة الأولى التى يحلان فيها دون أن يكونا فى ضيافة فريد المرشدى..

- من الرّائع رؤيتك مجددًا يا حازم..
- إنه لشرف لى دكتور سميث.. منذ أن كلمنى نيكولاس وأنا أعددت كل شىء كما أمرت..
- لكن أين مرشدتنا هنا..
- إنها لم تأتِ معى، فهى تنتظرنا فى المنزل، توقعنا أن يكون هناك من يتابعنا وهذا ما حدث، بعض رجال المرشدى موجودون..
- وماذا أعددت؟
- كل شىء كما رتبت، أنا المرشد السّياحى الخاص لكما، ستقضيان فترة فى القاهرة استأجرنا فيلا خاصة، يمكنهم أن يسألوا كما أرادوا، كما أنّنى ورفيقتى أعددنا لكل الاحتمالات ونتمنى أن ينتهى الأمر بشكل سريع..
- حسنًا فعلتما..

سلكت السّيارة طريقها إلى حيث أخبر حازم سائقها حتى وصلوا للفيلا المطلوبة فهناك من يتبعهم بامتياز وهم يعلمون بذلك قبل أن يعرجوا مباشرة إلى مقر إقامتهم فكل شىء يجب أن يسير بشكل طبيعى.

***

وجدوا فى انتظارهم تلك الفتاة الثّلاثينيّة الفاتنة، فهى وببساطة بهيّة الطّلة تمتلك عينين خضراوين مع بشرة بيضاء تسر

النّاظرين، وفم مبتسم دائمًا يجعلك راغبًا فى قطف رحيقه، وأنف يعلوه فى تناسق بديع مع غمازات فى وجنتيها وذقنها تضفى على جمالها جمالاً.. كانت منهمكة فى العمل، هى تعمل وبجد قبل وصولهم حتى سمعت صوت السّيارة فى الخارج، هيئأت نفسها لاستقبالهم حيث دلف حازم ومن بعده مرافقوه برادلى وسميث، رسمت ابتسامة على وجهها وهى تحييهم بشدّة.

- مرحبًا يا عزيزتى.. لم أراكِ منذ زمن بعيد!!
- مرحبًا دكتور برادلى.. يسرنى لقاؤك مجددًا.. مرحبًا دكتور سميث..
- مرحبًا بسيّدتنا الجميلة.. نعلم أننا أنهكناكِ فى العمل لكن أنتِ تعلمين قيمته.
- أعلم أنكما منهكان لهذا أعددنا المنزل جيدًا، يمكنكما الرّاحة الآن وبعدها نتحدث..
- لا، سريعًا أخبرينا بكل ما لديكِ وبعدها سنخلد للراحة بعض الشىء فلدينا موعد فى العاشرة مساء مع فريد المرشدى..

أحضر حازم كوبين من النّبيذ لكل من الدّكتور برادلى والدكتور سميث، بينما هو احتسى كوبًا من العصير لأنه يحافظ على لياقته ويبتعد عما يضره، بينما هى لم تحتسِ أى شىء وهى تشرح لهم:

- لا جديد، كل المعلومات التى لديكم لكن التأكيدات تقول إن كريم هو العقبة وحسين يطمح للمال وإن تم الكشف العلمى يريد أن يكون اسمه فى قائمة الباحثين.. أمّا المرشدى فإن الأمر

بالنسبة له مجرد صفقة، أيضًا سميح فهو سمسار، وكلما زادت العائدات زادت نسبته، كذلك الرّجل الذى يعمل على حفرها عمران لم نعرفه إلى الآن، لكن حسين قد التقى به من قبل مرات قليلة..

- إذن، العائق هو كريم...

- نعم دكتور برادلى.. كريم لا يريد بيع المخطوطات، هو يؤمن بأهميّتها، والأهم أنه هو الذى يمتلك كل المعلومات، فالجميع يحصلون على معلوماتهم استقاءً منه، وأعتقد أنه بعد تحليل كل شىء ما زالت لديه أمور لم يُظهرها للجميع..

- حسنًا، هذا أمر سهل، سيتولى حازم تلك المهمة.. لكن من أين نبدأ؟

- اسمح لى يا سيدى.. أنا درست الأمر، فشركته لا أعتقد أنها تحوى أى شىء، ربما يكون ما لديه من أوراق ومعلومات فى بيته..

- حسنًا يا حازم لتستعد، فإن تعثرنا سيكون عليك الذهاب إلى هناك..

- كل شىء فى الحسبان، لا تقلق دكتور سميث..

- حسنًا، اسمعانى جيدًا، لقاء اليوم مُهِمّ جدًا، أنا وبرادلى سنقوم به.. حازم.. أنتَ ستصاحبنا إلى هناك وبعدها ل ما لدينا..

قالها دكتور سميث وهو يشرح لهم ما ينوى فعله فهو العقل المدبر، بعدها ركن هو ودكتور برادلى للراحة من أجل الاستعداد إلى تلك المواجهة المرتقبة التى قطعوا من أجلها كل تلك الأميال قادمين من واشنطن إلى القاهرة..

***

جلس فريد المرشدى فى مكتبه يتأمل بعض الوريقات أمامه ويجرى بعض الأعمال الخاصة به، لفت انتباهه طرقات باب المكتب فأذن لمن يطرق بالدّخول فبرز أحد رجاله قد أتى إليه..

- ها، عملتوا إيه يا مصطفى؟
- تمام معاليك.. الطّيّارة اتأخرت واستنيناهم، وفيه واحد كان مستنيهم، عرفنا إن اسمه حازم شغّال مرشد سياحى، وهمّا نازلين على إنهم فوج سياحى مرافق ليه، بس واضح إنهم يعرفوه كويس..
- وعرفتوا راحوا فين؟
- لفّفونا حواليهم أكتر من ساعتين وفى الآخر راحوا فيلا خاصة فى المريوطية محجوزة باسم حازم، ده لمدة شهر.. ده اللى عرفناه من مكتب السّمسار اللى هناك وهو اللى أجّر الفيلا وعرفنا منه إنه مرشد سياحى.. اتفضل يا باشا...

قالها مصطفى وهو يعطى فريد المرشدى كاميرا خاصة التقطت بها الصّورة للضيفين الأمريكيين وحازم..

- السّمسار كمان معاليك قال لنا إن حازم ده متعوّد يتأجّر منه على طول كل فترة لما ييجى له فوج سياحى خاص وإن هو زبونه وبيتعامل معاه..
- تمام، برده خلى عينك عليهم وتعرف كل حاجة عنهم..
- تمام يا باشا.. ده اسم حازم وعنوانه ورقم بطاقته..

قالها مصطفى وهو يعطى المرشدى صورة من بطاقة حازم

المرافقة لعقد الإيجار المبرم لتلك الفيلا التى يقطن فيها كل من برادلى وسميث، فأخبره أن يتابع العمل وأن يخبره بأى شىء جديد..

***

"مكتب زين للعقارات".. هكذا كُتب على تلك اللوحة التى اعتلت هذا المحل الخاص الذى يتوسط تلك المنطقة بالمريوطية حيث جلس رجل فى الخمسينيّات من العمر له شارب كث أسفل أنفه مع شعر قد ترك الجزء الأوسط من رأسه مضيئة، يبدو أنه بدين بعض الشىء، لكن يجلس على مكتبه مشدوهًا بالفيلم العربى الذى يدور أمامه فاعتدل عندما وجد حازم يقطع عليه خلوته تلك.

- ها يازين إيه اللى حصل؟
- زى ما انتَ قُلت لى، فيه ناس جت سألت عليك وقُلت لهم زى ما قُلت لى حتى صورت لهم صورة عقد الإيجار اللى باسمك وفيه بطاقتك كمان.
- تمام يا زين..
- بس مش تعرفنى فيه إيه يا عم حازم؟
- هى أول مرة تعملها ولا إيه يا زين، ولا أول مرة حد يسأل على فوج جاى معايا؟ إنتَ عارف البلد مقلوبة اليومين دول وأوقات بييجى أفواج مهمة فبيسألوا على المرافقين ليهم، وامسك يا سيدى آدى أستكين زى ما احنا متفقين..
- والله ملوش لزوم يا عم حازم دا إنتَ زبوننا يعنى..

قالها زين وهو يتأمل الأموال التى أعطاها إيّاه حازم قبل أن يبدأ فى عدها وينظر إلى حازم مبتهجًا، مشيرًا له برأسه أنه فى الخدمة دائمًا..

- تمام يا سيدى.. اطمّنت على الفلوس؟ لو حاجة تانية حصلت بقى عرفنى على طول.

قالها حازم قبل أن يرحل مغادرًا بينما زين بادر إلى حفظ أمواله سريعًا وعاد مرة أخرى لمتابعة الفيلم العربى الذى أوشك على نهايته..

***

قصر فريد المرشدى.. العاشرة مساءً..

استعدّ الجميع لتلك المواجهة، كل منهم يريد أن يبهر الآخر بما يقدمه على أرض الواقع؛ الأمريكيان برادلى وسميث اصطحبا حازم معهما وأدخلاه رسميًّا على أنه رجلهم فى مصر، تلك نقطة قد لا يحسبها المرشدى، خصوصًا بعد أن اطمأن إلى أنه مرشد سياحى عادى، لكن يبدو أن كل طرف يسعى ليناور الطّرف الآخر، بينما سميح وحسين حضرا برفقة المرشدى، أمّا كريم فقد تأخر بعض الشىء قبل أن يدخل وبرفقته مايا، الأمر الذى جعل الاضطراب يبدو على وجه برادلى؛ فهى آخر من يريد لقاءه فى مصر فى هذا الموقف، ها هى تلميذته النّجيبة تراه وهو يتاجر فى الآثار عكس ما أخبرها تمامًا، فضيحة علمية قد تُلِمّ به، لكن ما دامت قد حضرت فهى إذن شريكة فى هذا الأمر.. ربت دكتور

سميث على كتفه فاستكان برادلى قليلاً..

- أعتقد أن الجميع هنا يعرف بعضه البعض باستثناء السّيد حازم فهو الوجه الجديد علينا..
- اعذرنى يا سيد فريد.. فالعمل لا خلاف عليه وحازم هو رجلنا هنا وهو من سيتولى تصريف البضاعة بعد إتمام الصّفقة، هو سيتسلمها منك وبعدها هو يعلم ما سيقوم به.
- هذا يعنى أنكم ستتكفلون بنقلها أنتم دكتور سميث..
- بكل تأكيد ونريحك من ذلك..
- حسنًا دكتور سميث، لكن لندخل فى العمل سريعًا..
- بكل تأكيد يا عزيزى.. ولكن أولاً أعتقد أن عزيزنا حسين قد أخبرك بأننا نريد أن نشاهد المقبرة..
- أعلم، لكن هذا الأمر ليس بيدى بل إن المسئول عنه هو كريم، فهو رجل المقبرة.
- إذن، فلنسأل السّيد كريم عن رأيه فى الأمر..
- أولاً دكتور سميث.. لماذا تريد زيارة المقبرة، أبرمنا العديد من الصّفقات ولم ترغب أبدًا فى زيارة المكان..
- القيمة يا عزيزى.. قيمة المكان هى ما تدفعنا إليه، إن صدقت توقعاتك فسيكون كشفًا مذهلاً ونحن نريد أن نكون مشاركين فيه..
- أتفق معك بكل تأكيد، لكن أولاً دكتور سميث لتخبرنى أنت رأيك فى الأمر..
- سأدَع دكتور برادلى هو من يتحدث عن الأمر فهو أكثر منى خبرةً فى هذه الأمور..

قدم سميث صديقه دكتور برادلى ليتحدث هو عن الأمر فبرادلى هو الأكثر إلمامًا بالعلوم بينما سميث هو الأكثر إلمامًا بالتجارة، كلاهما يشكلان ثنائيًّا متناغماً فى العمل، صداقة طويلة تربطهما ببعضهما البعض وشغف علمى وأيديولوجيّة مشتركة تدفعهما دائمًا ليكونا ثنائيًّا ناجحًا..

- أولاً، مسألة أننا نجد مقبرة تحوى السّجلات والأسرار المصرية القديمة هى فرضية علمية قائمة بذاتها والعديد من البعثات قد أتت إلى مصر ودرست الأمر ونحن بالطبع نؤمن بذلك ونتمنى أن تكون تلك المقبرة بها مواصفات قريبة من ذلك، وإلى الآن كل ما لديكم من مؤشرات يقربنا لهذا الأمر..

- إذن، كل ما لدينا هنا هو تكهنات دكتور برادلى..

- ليس تمامًا يا عزيزى.. فقد وقعت بين أيدينا عدة برديات مصرية قديمة اشتريناها من إحدى دول الشرق الأوروبى، تلك المخطوطات تحوى أخبارًا عن غُرف للسّجلات منتشرة فى أرجاء مصر ومن المفترض أن يوجد لها بقية بعدة خرائط أخرى توضح أماكنها.. لكننا لم نتحصل عليها فقد ضاعت بين طيّات الزّمن، وتلك البرديات قد وصلت إلينا بطرق متسلسلة، فقد خرجت من مصر فى القرن السّابع عشر ولهذا نأمل أن تكون تلك المقبرة من ضمن ما ينطبق عليه تلك الخصائص..

- لكن، أتذكّر دكتور عندما سألتك عن الأمر فى أمريكا لم تخبرنى بهذا..

أتت تلك الجملة الأخيرة من بين شفتَى مايا لتكسر حاجز الصّمت الذى فرضته على نفسها منذ قدومها، فقد اكتفت بالمشاهدة

مذهولة مما يقوله أستاذها الجليل، فيبدو أنها خُدعت فى غضون أيام قليلة فى أستاذين تجلهما وتقدرهما بشدة وأيضًا خُدعت فى حب قديم عاد إليها فى شبح لرجل يعمل كمهرب للآثار.. فعاد أستاذها للرد عليها..

- عزيزتى مايا.. عندما سألتِنى أجبتُكِ بأن هناك نظريّات وفرضيّات لكن عن أىّ تأكيد لا يمكننى أن أؤكد لكِ فحتى تلك البرديّات التى بحوزتنا ربما لا تكون ذات مصداقيّة كبيرة..

- لكنك يا دكتور حتى لم تذكر لى شيئًا عن تلك البرديّات..

- عزيزتى.. ليس كل شىء مباحًا للجميع أن يعرفه، لا تأخذى الأمر بشكل شخصى..

كلماته تلك أصابتها بغصة شديدة فى قلبها.. ألهذه الدّرجة هى ساذجة يتم خداعها من الجميع؟! كادت أن تبكى، فاستأذنت وذهبت للوقوف فى التراس الذى تطل عليه تلك الغرفة فأذن لها المرشدى..

- حسنًا دكتور برادلى، أنت ودكتور سميث.. لتخبرانى إذن ماذا سيحدث لو أن تلك المقبرة ذات مصداقيّة..

- اسمح لى يا عزيزى أن أجيب أنا بدلاً من صديقى برادلى.. نحن نريد أن ندرسها، نتأكد منها، ومن مزاياها مستعدون أن ندفع فيها ما تشاؤون لكى ننقل كل محتوياتها للخارج..

- لكن أنتم أخبرتم الدّكتور حسين أنكم ستأتون ببعثة علمية لها..

- هذا صحيح يا عزيزى كريم ولكن الأمر سيتوقف على شيئين، الأول إنه من الصعب إيجاد البعثة العلمية أو جعل الأمر رسميًا، فبلدكم الآن يتحفظ قليلاً من كل ما هو أجنبى، والأمر ليس بيد حسين بمفرده لكن بكل تأكيد السّيد فريد يمكنه مساعدتنا.. والأمر الآخر يقف على قيمة المقبرة عندما نشاهدها ونحكم إن كانت ذات القيمة المطلوبة أم لا..

- إذن، أنتم هنا للتقييم؟

- بالتأكيد يا سيد كريم. لكن أولاً نريد أن نحسم صفقة الآثار التى بحوزتكم..

- بكل تأكيد سيد سميث.. بعد أن ننهى اتفاقنا بشأن المقبرة سننهى كل شىء عقب العشاء؛ فالجميع هنا الليلة على شرف حضورك أنت والدكتور برادلى..

- شكرًا سيد فريد.. لكن متى سنذهب للمقبرة؟

- أنا آتى لك بما فيها واحكم عليها وبعدها أقرر إن كنت ستذهب أم لا، لكن أولاً لتعلم شرطى الوحيد: لن نبيع شيئًا، فقط يمكنك المطالعة، وهذا الأمر سيكون برسوم تحددونها مع السّيد فريد أو أن تأتوا بلجنة علمية مع الدّكتور حسين.. غير ذلك سأقفل المقبرة.

- حسنًا يا عزيزى.. يبدو أنك تُشبه عزيزنا حازم؛ كلاكما متحاذق بعض الشىء..

- لا، أنا لا أشبه "مختلسًا"، فالسيد حازم مرشد سياحى تم شطبه من قِبَل نقابتنا ويعمل بشكل غير شرعى فى شركة وهمية، لأنه قد تعرض لتهمة اختلاس فى شركة سابقة لكن الأدلة لم تكن كافية، بالإضافة لارتكابه أفعالاً منافية للآداب مع العديد من أفواجه وبيعهم الممنوعات إضافة لإقامة حفلات وطقوس

غريبة...

تلك المعلومات لا يعرفها فريد المرشدى نفسه، لكن كريم يعرفها من واقع عمله فى السّياحة، فيبدو أنه يهتم بكل شىء فى عمله ويعرف ماذا يفعل جيدًا حتى فيما هو بعيد عن الآثار هو أيضًا متميز فى الأعمال الأخرى..

- أعترف أنك أبهرتنى سيد كريم، لكنك لا تعرف عنى كل شىء.
- ربما يا عزيزى.. لكن إن أردت أن ترقص معى فلترقص على إيقاعى الخاص..
- دعونا من تلك التفاهات ولنتحدث فيما هو مهم..
- نِعْمَ الرّأى سيد فريد، نريد رؤية المقبرة..
- إنها لم تُفتح بعد، وكما قال لك كريم هو يراها ويقيّمها أولاً وبعدها نحكم على الأمر.
- وماذا إن خدعنا السّيد كريم أو لا يريد رؤيتنا إيّاها؟
- أنا لست مخادعًا يا سيدى، وحتى تطمئن سأقدم لك عرضًا جيدًا: سآخذ معى الدّكتور حسين ليقيّمها..

كل ما سبق هو باتفاق مبرم بين المرشدى وكريم، لكن خطوة اصطحاب حسين فهى خارج الاتفاق، فقد ارتجلها كريم بحكم الموقف، لكن المرشدى قد تقبّلها؛ فهو بهذا يُطمئن المشترين، بل إنه سارع ليبدى موافقته على تلك الخطوة..

- أعتقد أنه قرار جيد يعطيكم الطمأنينة، فالدكتور حسين هو الوسيط بيننا وهو سيفيدنا جميعًا بخبرته..

- وأنا مستعد للقيام بالأمر فرؤية تلك المقبرة سيكون أمرًا رائعًا..
- حسنًا، أرى أنه عرض رائع..
- اسمح لى عزيزى سميث، اسمحوا لى جميعًا.. أنا لى اقتراح آخر: بالإضافة إلى الدكتور حسين لم لا تذهب مايا هى الأخرى، فهى أيضًا متخصصة وستفيدنا جميعًا..

بدا طلبًا مفاجئًا من الدّكتور برادلى، رآه كريم غريبًا فهو لا يريد أن يُقحم مايا فى أى نوع من المشاكل أكثر من ذلك؛ يكفيها ما حدث الآن.. بينما مايا هى الأخرى قد فوجئت وهى تقف بجوارهم فردت سريعًا ومضطربة من الأمر:

- لا، ليس لى علاقة بذلك، لا أريد أن أذهب إلى أىّ مكان.
- أنا أوافقها الرّأى، أنا من أقحمها فى الأمر ولا أريد أن أزيد من وحلتها به..
- عزيزى كريم.. أنتَ لجأتَ إليها لأنك تعلم مدى قدرتها وبراعتها وهذا سيفيدنا بشدة..
- أنا أتفق مع الدّكتور برادلى يا كريم، وأنتِ يا دكتورة مايا لا تقلقى، فعمران رجلنا هناك سيصونك جيدًا.. نعم من الغريب أن تذهب امرأة لكن لكل مقام مقالاً..

وافق المرشدى سريعًا حتى يعطيهم طمأنينة أكثر كما أنه يريد أن يفرض الأمر على كريم ولا يريد أن يحدث خلاف بينهم فى هذه المرحلة المتطورة من تلك الصّفقة.. اتفقوا فى النّهاية على أن يذهب كريم وسميح وبرفقتهما حسين ومايا لرؤية المقبرة والحكم عليها، لكن الموعد لم يُحدد فعندما تُفتح المقبرة سيتم

تحديده للجميع.. بعد هذا تناولوا العشاء...

بعد أن أتموا البيعة الأولى التى جرت سلسة لم يعترض سميث أو برادلى على الأسعار، وتفاوضهما لم يكن كبيرًا لأنهما أرادا إثبات صدق نيتهم للمرشدى وهو يريد ابتزاز أموالهم بأكبر قدر..

***

انتهت تلك الليلة الطّويلة وذهبت مايا برفقة كريم الذى أقلّها لمكان سيّارتها حيث التقيا قبل الذهاب إلى قصر المرشدى وتركت سيارتها وذهبت برفقته فهو مستاء من إقحامها فى الأمر بهذا الشّكل وهى صامتة وقد حلّ عليها الوجوم مما حدث..

- مايا.. أنا آسف على اللى حصل.. مكنتش عاوز أورّطك كده بس دكتور برادلى فاجأنا..
- أنا نفسى مش مصدّقة، اتنين من أهَمّ أساتذتى يطلعوا مهرّبين!!
- عشان تعرفى اللى بقولهولك من الأول..
- كريم.. سيبنا من نظرية المؤامرة دى، أنا اللى مصبّرنى حاجة واحدة إنها هتكون مقبرة مهمة وإنى هدخلها وأشوفها..
- لسّه زى ما أنتى عندك الشّغف العلمى فوق كل شىء..
- تلميذتك، ما انتَ أول حد علمتنى..

قالتها مايا بحنان أشعل الذكريات فى قلب كريم الذى خفق فى حبها وهو لا يعلم من يحب أساسًا:

مايا أم نور أم أنها صباح أم أن قلبه كأوتوبيس النّقل العام يتسع

لكل الرّاكبين..

***

مفعول كالسحر هذا الذى يتركه شغف اللهفة والاشتياق ولكل منا شغفه، بينما عمران شغفه واشتياقه للأموال التى يراها تقترب منه شيئًا فشيئًا، الرّجال يتقدمون فى العمل للّيلة الثّانية على التوالى، الممر مغلق بالكامل ببناء حجرى ضخم والرّجال يعملون على نحته وتدعيمه، استمروا على هذا المنوال وبدون أى عوائق أو معكرات لصفو العمل فسوف ينتهون عقب ليلة أو ليلتين على الأكثر، ظل يراقب كل ما أمامه رغم أنَّ النعاس يصارعه لكن رائحة الأموال والذهب الدّفينة فى باطن الأرض توقظه دائمًا على نشوة الثراء الفاحش الذى ينتظره..

- ها، يا يحيى يا ولدى ماشيين زين إحنا إكده؟
- كله تمام يابا الحج، زى ما جُلنا لك كلها يومين ونوصل، إحنا شغّالين براحتنا..
- تمام يا ولدى، المهم نلاجى المساخيط فى الآخر وشوفوا إنتو التلاتة لو المجبرة دى طلعت زى ما عتجولوا عاد ليكم حلاوة كبيرة عندى.
- متخافش يابا الحج، اللى يحيى بيجول عليه هنلاجيه، بإذن الله هانت..
- على الله التساهيل يا عتمان يا ولدى..

***

منزل كريم.. العاشرة صباحًا..

أتعرفون المثل الفرنسى الشّهير "فتاتين فى بيجامة"؟ فهو ينطبق على كل شخصين تجدهما باستمرار معًا لا تستطيع أن تذكر أحدهما من دون أن تذكر الآخر، هذا هو حال كريم وشريف دائمًا صديقان وأكثر من الإخوة، عندما استيقظ شريف مبكرًا وعلم أن جدول أعماله اليوم فارغ فى فترة الصبيحة قرر أن لا يذهب إلى أى مكان ولكنه عندما وجد سيارة كريم قابعة فى مكانها أمام منزله قام بالاتصال به مباشرة حتى يجلسا معًا، بينما كريم يغط فى النّوم بين أحضان صباح بعد ليلة مثيرة قضياها معًا، ومثله مثل كل كائن بشرى يريد النّوم أخذ يوهم نفسه بأن صوت الهاتف هذا هو فى أحلامه فقط وليس له علاقة بالواقع قبل أن يقرر أخيرًا أن يجيب عليه:

- آلوو.. مين؟

- مين إيه؟ أنا شريف يا كيمو.. انتَ لسّه نايم ولا إيه؟

- آه يا سيدى، لسّه نايم مش رايح الشركة دلوقتى.. هى السّاعة كام أصلاً؟

- السّاعة عدت عشرة يا سيدى، وأنا صاحى من بدرى وكلهم خرجوا وسابونى وزهقت فقلت مين ليّا فى الدّنيا غيرك أرخّم عليه..

- طب ما تروح شغلك يا سيدى ورخّم على النّاس اللى هناك براحتك..

- لأ، أنا النّهارده معنديش مواعيد صباحية..

- آه، فيطلع على عينى كل ده أنا بقى!!

- قوم يا بنى بقى خلينا نقعد شوية سوا، أنا مشفتكش مش عارف من إمتى، بس هتصحى وخلاص..
- ماشى يا سيدى، ادينى ساعة كده وهكلمك تانى..
- ساعة إيه؟ افتح أنا جاى لك أهو نفطر سوا..
- إيه أنت مفطرتش ولا إيه؟
- لأ، فطرت يا سيدى بس أفطر معاك تانى ما هو أبوبلاش كتر منه..
- أموت وأعرف انتَ دكتور إزاى ولا ابن ناس منين أصلاً؟
- ما هى معرفتك الحلوة يا كريم اللى عملت فيّا كده..
- خلاص يا سيدى مستنيك...

أنهى كريم مكالمته ليجد صباح قد استيقظت بجواره بعد أن سمعت الحوار، أخبرها بأن شريف قادم إليه ليتناولا الإفطار معًا وعليها أن تعود كخادمة لفترة من الوقت لحين رحيل شريف، سعى ليداوى بعضًا من جراحها لكن جراح القلوب لا تلتئم بسهولة، قبّلها وضمّها فابتسمت له مُخفية كل ما فى داخلها فهى تحبه ولا تريد أن تعكر صفوه فى بداية اليوم هكذا..

***

لم يُمهل شريف صديقه كريم كثيرًا فذهب إليه مباشرة، جلسا معًا، تناولا الإفطار، وبعدها طلبا من صباح فنجانين من القهوة ذهبا لاحتسائهما فى الحديقة الصّغيرة المحيطة بالمنزل ليتجاذبا أطراف الحديث..

- ها يا سيدى.. أخبارك إيه اليومين دول؟

- الحمد لله بخير، بدأت أفضى للشركة شوية..

- إيه؟ ناوى تفض الشّغل التانى ولا إيه؟

- فى الغالب كده يا شريف هعملها، أخلص من الشّغلانة اللى أنا فيها دى بس الأول.

- لسّه المقبرة إيّاها برده؟

- آه، لسّه المقبرة إيّاها، بس الليلة شكلها هتكبر يا شريف..

- إيه اللى حصل؟ فهمنى لحسن شكلى فى الآخر هلاقى نفسى معاك فى المقبرة دى..

- النّاس اللى أنا معترض عليهم دول جُم وداخلين بكل ثُقلهم ومستعدين يدفعوا كل اللى ينطلب وأكتر كمان علشان ياخدوا المقبرة..

- وإيه المشكلة فى كده؟

- المشكلة إن ده بيأكد أهميّة المقبرة دى وإن النّاس دى مش عاوزينا نستفيد منها..

- إنتَ برده لسّه فى نظرية المؤامرة دى مش هتخلص؟

- طيب تقدر تشكك فى الأزهر؟

- أكيد طبعًا لأ.

- أهو الأزهر يا سيدى أصدر بيان بيحذر فيه من الانخراط فى الجماعات دى ونواديهم الخاصة زى الرّوتارى والليونز وغيرها لأنها جماعات هدّامة..

- بس اللى أعرفه إن فيه أزهريين أعضاء فيها ومنهم مفتى مصرى سابق وشيخ كمان للأزهر.

- البيان طالع عن هيئة كبار العلماء مش عن أشخاص، وكمان رابطة العالم الإسلامى حذرت من هذا الأمر فى بيان طويل من 10 بنود تقريبًا.. يا شريف، سواء تتفق أو تختلف النّاس دى همّا

أكبر تنظيم سرى فى التاريخ وكتير جدًا اتكلموا عنهم ومشاهير كتير بينتموا ليهم..

- لأ، إنتَ شكلك بتتفرج على برامج التوك شو كتير..

- إنتَ بتتريق، دا انتَ أكتر واحد عارف إنى مبتفرجش على التليفزيون، طيب هقول لك على حاجة تانية، تعرف السّيد قطب؟

- أكيد أعرف السّيد قطب، ده كاتب وروائى مصرى سابق وكتب "فى ظلال القرآن" ويعتبر من قامات الإخوان المسلمين..

- طيب تعرف بقى إن السّيد قطب ده كان ماسونى وكتب مقال فى جريدة "التاج المصرى" اسمه "لماذا صرتُ ماسونيًّا" وكمان ألحد لمدة 11 سنة وهو بنفسه اعترف بكده، وإن اللى أنقذه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد، وبعد كده بقى واحد من أهم الشّخصيات فى الإخوان المسلمين؟!! تخيل واحد أفكاره اتسمّمت لمدة 11 سنة ويبقى من أهم القيادات فى واحدة من أهم الجماعات اللى بتنتمى للإسلام السّياسى سواء بقى تختلف أو تتفق معاهم مش مهم؟

- طيب، وده إيه علاقته باللى إحنا فيه؟

- تخيّل بس كم الأفكار اللى ممكن يزرعها وسطهم؟! مش هو بس، دا كمان الشّيخ جمال الدّين الأفغانى مثلاً كان رئيس محفل الشرق الماسونى وبعدين خرج منه واتنفى من مصر وراح الآسيتانا وبعد كده أكد أنه خرج من المحفل الماسونى واعتذر.

- حتى جمال الدّين الأفغانى؟! دا ناقص تطلّعنى ماسونى..

- طب تعرف حاجة كمان، الدّكتور طه حسين لمّا جه يهاجم الشّيخ محمد عبده قال عليه إنه ماسونى؛

فتخيل بقى الوضع عامل إزاى، وكمان سعد زغلول قالوا عليه كده. يا شريف النّاس دى مبتزرعش إلا قيادات، فككوا كل القوى العظمى فى العالم وكمان لهم قادة تولوا الحكم فى دول كتير، مش بس كده، ده فيه كمان حكام وملوك عرب سابقين، كل ده فى سبيل نظام عالمى جديد هدفهم فيه إنهم يحكموا العالم.. كل ده ميهمنيش، أنا اللى يهمنى إن النّاس دى عاوزة تحرمك من فكرك وثقافتك وتاريخك...

- إزاى يعنى يا كيمو..

- فكر معايا إيه اللى يخليهم عاوزين المقبرة دى بأىّ شكل من الأشكال؟ بص يا شريف.. الحاجات اللى فى المقبرة دى ممكن يكون جار عليها الزّمن وملهاش أى قيمة، بس دى بوابة لحاجات تانية كتير، دى واحدة من أكتر الجماعات اللى سعت وبكل الأشكال للحصول على المخطوطات والعلوم التاريخية والفلسفية والعقائدية، هما عاوزين يخبّوا إيه عن العالم؟ عاوزينك متعرفش إيه؟ دايمًا ابحث عن المستفيد..

- أنا مش هديهم حاجة ولو هتكون آخر حاجة هعملها فى حياتى، وهطلب منك طلب، هاجيب لك شوية أوراق وحاجات تخليها عندك؛ الوضع مش أمان..

- هما ممكن يسرقوك ولا إيه؟

- لا، دى حاجات للشركة وأخاف الورق يروح فى أى حتة..

- طيب هعديها المرة دى..

- شريف.. أنا معرفش أنا داخل على إيه بس فيه حاجة غلط.

***

مرة أخرى يجد كريم نفسه مشتاقًا لابنته مريم، طلب والدتها واستأذن لرؤيتها.. لم تكن نور معتادة على كل هذا الاهتمام من قِبَل كريم لكنها سعيدة بكل تأكيد، استعدت هى ومريم فلقد طلب كريم اصطحابهما إلى نزهة خارجية. فى البداية لم تُبدِ نور موافقة على ذهابها معهما لكنها فى النهاية وافقت بعدما ألح كريم، فتلك هى المرة الأولى التى تخرج فيها نور رفقة كريم منذ انفصالهما، فذهبا إلى إحدى مدن الملاهى، لعبا رفقة مريم محبوبتهما الصّغيرة، عاشوا جوًّا من المرح أحاط بهم جميعًا، بعدها ذهبوا لتناول الطّعام ومريم تلهو بجوارهما، شاعرًا بسعادة كبيرة تغمرهم بينما كريم لم يكن يعرف ما يجذبه إليها مجددًا لكنه موقن أنه من جديد سيدخل فى حيرة قلبه بين ثلاث نساء سبق أن أحب إحداهن وتزوج الثّانية وعشق الثّالثة..

***

قصر فريد المرشدى.. العاشرة صباحًا..

فى موعده وصل حازم وبصحبته بعض من الرّجال للحصول على ما اتفقوا عليه، وبعد أن تأكد فريد المرشدى من أن التحويل البنكى قد تم فى أحد حساباته، خارج حدود مصر، أمر رجاله بإحضار المقتنيات التى سيأخذها حازم فى وجود سميح كشاهد على إتمام تلك الصّفقة..

- شكرًا يا فريد باشا، وأتمنى يكون التعامل بيننا فى الفترة اللى جايّة أكتر.

- متخافش يا حازم.. لسّه الشّغل التقيل جاى، بس الغريب إنى فى الشّغل ده وطول عمرى مسمعتش عنك..
- مش كل حد لازم يبقى معروف يا باشا، نحن نختلف عن الآخرين.

قالها حازم بنوع من الفخر والغرور مما استفز الكبرياء فى داخل فريد المرشدى الذى رد عليه سريعًا حتى يعلم حازم مع من يتحدث لكن بكل هدوء وسخرية على الأمر:

- بس كريم يعرف كتير؛ لأن كريم ملوش زى، أحسن لاعب فى الجيم كله ودايمًا هو الفرس الكسبان..
- هنشوف يا باشا، وزى ما معاليك قلت التقيل لسّه جاى، أستأذن معاليك.
- وصّل سلامى لدكتور سميث ودكتور برادلى ومتنساش تفسّحهم فى الأهرامات كويس..

أنهى المرشدى حواره مع حازم، الذى حزم أمتعته ورحل، ثم بصق خلفه، وكان بودّه أن يكسر خلفه محلاً من القلل الفخار.. ثم بعد ذلك وجّه حديثه لسميح الذى راقب الوضع بأكمله:

- هتروح لعصام الشركة هيديك شيك ببقية حق عمران..
- تمام معاليك..
- وتروح لعمران على طول تخلّص معاه..
- طيب ما نأجّلها لحد أمّا نروح كلنا؛ المشوار متعب يا باشا..
- إيه يا سميح.. انتَ تروح ترتب معاه الأمور وتعرّفه إن فيه

ناس جايين وتشوفوا سوا هتودوهم المقبرة إزاى وكمان شوف هو وصل لحد فين فى الشّغل..

تقدم أحد رجال فريد المرشدى مستأذنًا فى الحديث قبل أن يأذن له بذلك:

- الحج عمران معاليك على التليفون..

أشار له المرشدى فأعطاه الرّجل الهاتف ليجيب عليه:

- آلوو.. أيوه يا حج عمران؟

- ....!

- تمام، تمام، دا سميح عندى وكان لسّه قايم عشان يجيلك..

- ....!

- لأ، كريم مش هييجى معاه النّهارده..

- ....!

- سميح هيرتب معاك شوية أمور وكمان هيديك شيك ببقية المبلغ اللى فات..

- ....!

- تمام يا حج عمران، هسيبك دلوقتى عشان جايلى ناس وهستعد لهم، وسميح هيكون عندك النّهارده..

- ....!

أنهى المرشدى المكالمة مع عمران ثم أعطى الهاتف للرجل فحمله وانصرف، بينما بدأت تتسرب علامات الابتهاج إلى وجه المرشدى

راسماً بسمة دالة على النّصر مما أثار الفضول لدى سميح الذى بادره بالسؤال:

- خير يا باشا بإذن الله..
- عمران بيقول إنهم فتحوا بقية المقبرة، خلّصوا الشّغل بعد الفجر..
- بالسرعة دى يا باشا؟
- شكل رزقها واسع، وبعدين همّا كانوا عملوا الشّغل المهم كله إنما دلوقتى يدوب فتحوا ممر..
- تمام معاليك هنعمل إيه دلوقتى بقى؟
- عمران قال لى إنهم هيسيبوا المقبرة تتهوى يومين أو تلاتة، انتَ هتروح له النّهارده وتديله الفلوس القديمة وتخلّص معاه كل حاجة وترتبوا للجديد..
- تحت أمر معاليك يا باشا..
- سميح.. مش عاوزين غلطة، انتَ شايف النّاس مستعجلين إزاى ودى فرصة متتعوضش..
- طب، وكريم؟
- سيب كريم عليّا أنا، فى النّهاية عارف أنا هعمل إيه.. يعملوا كشف علمى ولا لأ، ده ميلزمنيش؛ إحنا مش شغالين فى وزارة الآثار ولا فاتحينها سبيل هنا، ده بيزنس، وكريم لازم يفهم كده..
- بس يا باشا...
- بس إيه يا سميح؟.. قوم يلا عشان تلحق توصل بدرى ومتتأخرش..

أنهت تلك الجملة الحوار فانصاع سميح لأوامر فريد المرشدى

مستعدًا للرحيل، وأخذ يفكر فيما هو قادم وماذا ستكون ردة فعل كريم.. بينما المرشدى هو الآخر يفكر ماذا سيفعل فى تلك الصّفقة فهو يرغب في تحقيق أكبر عائد ربحى ممكن منها..

***

الطّاعة العمياء هى إحدى أهم مميزات سميح، فهو ماهر وممتاز فى عمله من بين الصّفوة فى مركزه لكنه يمتاز بالطاعة العمياء خصوصًا عندما يكون العمل مع واحد من الكبار مثل فريد المرشدى الذى يفضل سميح العمل معه بشكل أكبر، أولاً يحظى بغطاء وحماية أكبر معه وأيضًا يحظى بتقدير كبير لجهوده فى العمل..

ظل عمران فى الانتظار بفرحة كبيرة، بل فى الحقيقة فرحتين؛ الأولى بعدما علم بأن سميح سيعطيه شيكًا خاصًا ببقية ما له من أموال والثّانى يتعلق بأنهم قد أتموا العمل على فتح الطّريق المؤدى للمقبرة الأم، فهذا يعنى أن المستقبل فيه شيكات بنكية أخرى ستأتى إليه، وفى أسوأ تقدير لن تقل عما تقاضاه فى الأولى..

- حمد الله بالسلامة يا أستاذ سميح..
- الله يسلمك يا حج عمران، ومتشكرين يا سيدى على الاستقبال الكبير ده زى ما عوّدتنا كل مرة..
- هو انتَ أجلّ منها يا سى سميح، وبعدين الاستقبال الكبير صح يوم ما الباشا بنفسه ييجى إهنه..
- يبقى انسى يا حج عمران، وخلينا بقى فى المهم.. اتفضل يا

سيدى..

أخرج سميح من سترته الشّيك الذى ينتظره عمران ومنحه له فى شكل استعراضى، بينما عينا عمران تلمعان فرحًا به كأنه مولود جديد لكنه من فئة ال "بنكنوت"، تأمله لبعض الوقت متأكدًا من الرّقم المذكور فيه قبل أن يعود مجددًا إلى الواقع على إثر نحنحة سميح:

- طب ودلوجتى هنعمل إيه يا سى سميح؟
- العمل عملك انتَ يا حج عمران، انتَ قلت للباشا إن المقبرة اتفتحت..
- أها، خلّصنا الشّغل بعد الفجر بس مدخلنهاش، هنسيبها كام يوم تتهوى..
- خلاص وقت ما تدخلها تعرّفنا باتصال وهنيجى نشوف ونعاين ونشيل.. بس فيه حاجة...
- خير يا سى سميح؟ خبرنى باللى جوّاك..
- هييجى معايا ناس أنا وكريم، اتنين خُبرا هييجوا يتمّنوا المقبرة..
- وماله.. المكان موجود ليهم..
- بس مش عاوزينهم يعرفوا مكان المقبرة..
- إزاى دى؟
- دى هقولها لك بعدين، المهم تزوّد الحراسة على المقبرة ورجالة يكونوا صاحيين، المقبرة دى يا حج عمران احتمال تخش التاريخ وتبقى مقبرة أثرية بس بعد ما نخلص شغلنا فيها ونطلعك فى التليفزيون كمان..

- لا يا سى سميح، أنا اللى عليّا عملته، لسّه ليّا الجرشينات وانتو اعملوا اللى انتو عاوزينه..

قطع سالم عليهما مجلسهما مخبرًا إيّاهما بقدوم يحيى وصابر وعتمان بعد أن ذهب لإحضارهم، فسمح لهم عمران بالدّخول مخفيًا الشّيك الذى بحوزته سريعًا بداخل الصّديرى الأثرى الذى يقبع تحت جلبابه الفضفاض محتلاً موقعه فوق هذا الصّدر العريض الذى يتنفس الهواء العليل الآن لقرب الأموال منه..

- مرحب بالرّجالة.. بيّضتو وشنا الله يبيّض وشكو..
- الله يخليك يا حج عمران.. إحنا بس جُمنا بشغلنا معملناش حاجة كتيرة ولا غريبة..
- إنتَ دايمًا راجلى يا عتمان.. فى البداية كنت زعلان منّيك لكن سماح بعد اللى عملته إنتَ والرّجالة..
- عم عتمان هو اللى عمل كل حاجة يابا الحج هو وعم صابر، أنا مهما كنت لسّه ولد صغير وهمّا اللى فيهم الخير، أنا بس كنت بانفذ اللى بيجولوه ليّا..
- المهم إنها اتفتحت وخلاص. بس سى الأستاذ سميح عاوز يسألكم عن شوية حاجات..
- مبروك عليكم يا جماعة.. حد بقى دخل جُوّه وشاف الموجود..
- لا، لسّه يا سميح، محدش دخل، دى مقفولة بقالها قرون، يعنى الجَوّ جُوّه معطن ومحدش يقدر يستحمل الرّيحة، إحنا سايبينها تتهوى وبكرة ولا بعده نبدأ ندخل نشوف فيه إيه..
- لا يا صابر.. بكره، بلاش بعده دى، والباشا أمَر بحلاوة كبيرة ليكم، ده غير اللى الحج عمران هيديهولكم.. مش كده ولا إيه يا

حج عمران؟

- ما أنا والباشا واحد وطالما الباشا دفع كأنى دفعت..

- لا يا حج.. الباشا بيقول لك اللى يطلبوه تديهولهم، ده غير حلاوة الباشا ليهم..

- ولو إن الكلام مش لادد عليّا، بس اللى يشوفوا الباشا ننفذوه..

انفجر الجميع ضاحكين من تعبيرات وجه عمران حيث إنه سيدفع أموالاً لهم. يعلمون أنه يكسب الكثير وأيضًا يعلمون أنه لا يريد أن يخرج الأموال من بين يديه، يعشقها بكل جوارحه لكنه الآن أصبح مضطرًا للدفع فهو نفسه قد وعدهم من قبل..

***

بدت تلك الفتاة متلهفة وهى تخترق بوابة الفيلا التى يقطن بها برادلى وسميث حيث دلفت إلى الدّاخل حيث كانوا فى انتظارها وبرفقتهم حازم الذى أتى منذ وقت قليل..

- اعذرونى على التأخير، فقد كان لدىّ بعض المهام التى عليّ إنجازها..

- لا تشغلى بالك يا عزيزتى، فحازم هو الآخر قد أتى منذ وقت قليل..

- رائع. هذا يعنى أننى لم يفُتنى الكثير، لكن ماذا حدث؟

- لقد أتممت المهمة على خير، تلقيت الآثار منه وأودعتها لرجالنا الموكلين بإخراجها..

- عمل رائع يا حبيبى.. فأنت تذهلنى دائمًا..

- اسمحا لى أيّها العاشقان.. ليس هذا هو الوقت المناسب..

- كما تريد يا سيدى. لكنى إلى الآن لا أعلم وافقتم على دفع كل هذه المبالغ الكبيرة..

- أعلم يا عزيزتى أنها أكثر من اللازم لكنها هى الطّعم، فالمرشدى لا يريد إلا الأموال وهذا ما سيجعله يطاوعنا على ما سنفعله. المهم الآن أن تكون المقبرة كما نتوقع، وقتها سندفع المزيد وهو سيستغل الأمر جيدًا..

- ولكن يا سيدى اليوم حاول استفزازى بأى شكل ممكن.. إنه ليس بالرّجل السّهل..

- ونحن أيضًا لسنا بالهينين يا حازم. الآن ماذا لديكم عن كريم هذا؟

- إنه يعيش وحيدًا ومن المحتمل أن تكون كل الأوراق فى بيته، وقد أطلعت حازم على كل شىء..

- إذن، أنتَ تعلم ما عليك فعله، وأيضًا عليكما أن تعملا جيدًا من أجل تحديد مكان تلك المقبرة بدقة فيجب أن نزورها قبل أن يسمحوا لنا بهذا.. المفاجأة يجب أن تكون هى سلاحنا الأول، وأنتِ يا عزيزتى سلاحنا الذى لم يبرز بعد..

- رهن إشارتك يا أستاذى العزيز..

نهض سميث وبرادلى، كل منهم متجه إلى غرفته لينالا قسطًا من الرّاحة فإلى الآن لم يتعودا بشكل كامل على الفرق فى التوقيت بين القاهرة وواشنطن.

- واحشانى...

- خلاص، هانِت، كلها كام يوم ونخلّص العمليّة..

- يعنى هتوافقى على جوازنا رسمى؟

- متستعجلش يا حازم أنا يدوب جوزى لسه ميت من سنة..
- الله يرحمه ميت على يدى..

نظرت له بمنتهى الحدة حتى تخبره أن يتوقف عن الحوار فى هذا الموضوع الآن، فتفهّم على الفور، مشيرًا إليها بالاعتذار، محاولاً احتضانها لكنها تمنّعت وابتعدت عنه فتركها كما تريد فهو يعلم حجم العناد الذى تحمله بين جنباتها، فقد أقسمت من قبل على أن تنتقم من شخص ما لا تعلم تركها فى يوم ما..

***

قصر فريد المرشدى.. التاسعة صباحًا..

اعتاد سميح على الأمر، ولم يتذمر كثيرًا فالأيام القليلة الماضية قضى أغلبها إما رفقة الباشا فى قصره أو لدى عمران وحول المقبرة الجديدة التى يعملون عليها، وأيضًا سيّارته التى أقلّته فى كل تلك المسافات فهى صاحبة نصيب الأسد بل إن أهله اعتادوا على هذا الأمر ولا يتذمرون كثيرًا طالما أن المال موجود..

وصل إلى منزله قرابة الثّالثة ليلاً، غط فى نوم عميق قبل أن يقوم فى الصّباح الباكر متوجهًا إلى قصر فريد المرشدى الذى طالبه بالحضور ولم يكن لدى سميح خيار التأخر أو الاعتذار..

لم يفاجأ سميح عندما وجد كريم هناك فى الانتظار ولكن الذى فكر فيه أن شيئًا من نواميس الكون قد تغير بأن يأتى كريم فى موعد صباحى مماثل، هو أمر نادر لكنه اكتشف أن المعجزة نصف مكتملة فكريم نصف نائم أمامه، تبادلا التحية وطلبا فنجانين من القهوة حتى يساعداهما على التركيز، لكن المرشدى دعاهما إلى

تناول الإفطار معه أولاً وبعدها طلب لهم قهوتهما وجلسوا من أجل العمل كما هى العادة..

- ها يا سميح.. إيه الأخبار؟
- تمام معاليك، كله بخير، خلّصت مع عمران والمقبرة يومين وندخلها..
- تمام، ده دورك بقى يا كريم إنتَ وحسين ومايا تروحوا مع سميح وتشوفوا المقبرة وتتمِّنوها..
- تمام معاليك.. بس حضرتك معرفتنيش ناوى تعمل إيه فى المقبرة؟
- إنتَ هتروح وتتمِّن الحاجة وبعدين نعرضها عليهم ونشوف البيعة هتمشى إزاى..
- لا معاليك، أنا مش بأتكلم على الآثار..
- آه، بص يا كريم.. خلينا منسبقش الأحداث، انتَ تروح وتشوف المقبرة أولاً ولو لقيت السّجلات دى فده مش شغلتك دى هتبقى شغلانة حسين وإحنا محدش فينا ينفع يظهر فى الصّورة..
- أيوه يا باشا بس النّاس الأمريكان عاوزين يشتروها..
- والله بقى وقتها دى هتبقى شغلتك، إنتَ تتمّن الحاجة الموجودة فيها وقيمتها وكله بتمنه..
- بس معاليك انتَ قُلت لى إننا هنحوّلها لكشف أثرى..
- وأنا عند كلمتى، ده شغل حسين، وحسين هو اللى جايب النّاس دى وهو بقى يتصرف معاهم، هيعرفوا يجيبوا ليها طريقة وتبقى كشف أثرى مفيش مشكلة، معرفوش وهيشتروا يبقى إحنا أحق بالفلوس، مكانش ده ولا ده هنقفل المقبرة أصل وفصل بعد

ما نطلّع اللى فيها..

- بس يا باشا...

- خـلاص يـا كـريم مـش وقتـه الكلام ده متخليناش نسبق الأحداث. وبعدين أمّا نشوف هنعمل إيه مع النّاس النّهارده أنا اديّتهم معاد..

- خلاص يا كريم أمّا نروح ونشوف المقبرة الأول مينفعش كده الباشا عنده حق..

- المهم يا سميح انتَ عملت مع عمران إيه؟

- تمام معاليك، فهّمته إن فيه ناس جايين معانا واتفقت معاه هنعمل إيه بالظبط...

بدأ سميح فى شرح الخطة التى سيتبعونها هناك وما اتفق عليه مع عمران بينما بدا كريم مستاءً من قرارات المرشدى فشعر أن الرّجل سيبيع كل ما فى المقبرة من أجل الأموال وستضيع كل تلك الكنوز العلمية الكبيرة ويعلم أنه قد أخذ على نفسه عهودًا لحماية تلك المقبرة وأيضًا يشعر بشىء مختلف، فمع كل تلك الشّعارات التـى حـدّث بـها شـريف ومـايا فيجب أن يكون على قدرها وأن يكون مسئولاً ولو لمرة واحدة..

***

جلس حازم ينتظر الدّكتور برادلى والدكتور سميث، وقد جهّز لهما الإفطار فهو من يقوم على خدمتهما فهو قد سبقهما فى الإفطار بعـد أن اسـتيقظ فجـرًا.. لم يتـأخرا عليـه قبـل أن يحـدثه دكتـور سميث:

- إذن، السّيد فريد حدثك وقال إنه يريد لقاءنا اليوم؟
- نعم دكتور سميث.. اليوم فى الثّامنة مساءً حسبما أخبرنى...
- رائع، يبدو أنه لديه جديد.. ما رأيك يا برادلى؟
- بكل تأكيد يا عزيزى، فالمرشدى لن يجتمع بنا لأمر هين فهو رجل دقيق للغاية..
- أنا أيضًا أعتقد ذلك يا سيدى، لكن ماذا سنفعل؟
- حسنًا، سنذهب إلى هناك، وأنت أجِّل كل مواعيدنا المسائية اليوم وأخبر عزيزتنا عن تلك

الجلسة..

***

أنهت مايا محاضرتها الصّباحيّة ثم وقفت مع بعض الطّلاب يستفسرون منها عن بعض الأمور، فكما أخبرتكم سابقًا الطّلاب كلهم يحبونها وهى لا تتوانى فى تقديم العون لهم، وبعد أن انتهت من الأمر أخرجت هاتفها الذى اعتادت جعله صامتًا أثناء المحاضرات فوجدت عدة اتصالات قد أتت لها من بينهم كريم الذى سارعت بالاتصال به فلم يتأخر كثيرًا قبل أن يجيب عليها:

- آلووو..
- آلوو.. إزيك يا مايا.. معلهش لو عملت ليكى إزعاج..
- لا، أبدًا، كان عندى محاضرة بس والتليفون صامت.. خير فيه حاجة؟
- لا، أبدًا، المفروض إن فيه اجتماع النّهارده بالليل، كله هيكون موجود وفريد باشا قال لى أدعيك.. المقبرة اتفتحت..

اضطربت مايا خشية من أن يسمعها أحدهم وهى تتحدث عن هذا الأمر فى الكلية فبادرت سريعًا لتجيب كريم بصوت خفيض:

- خلاص يا كريم.. نتكلم بعدين، أمّا أخلّص الكليّة؛ مش هينفع نتكلم دلوقتى..

...

أنهت مايا مكالمتها مع كريم لتتفقد هاتفها لتجد عددًا من الاتصالات الأخرى فبدأت بمعاودة الاتصال بهم تباعًا..

- آلوو...

- ..!!

- لا، كان عندى محاضرة بس..

- ....

- لا، تمام، أنا عرفت وهشوف هعمل إيه، نتقابل أمّا أخلص الكليّة، سلام..

امرأة وستة رجال كلهم فى حضرة فريد المرشدى، المرأة هى مايا والرّجال السّتة منهم اثنان يحملان الجنسية الأمريكية وأثرى مصرى ومرشد سياحى موقوف وسمساره الخاص ومثمّنه الخاص للآثار..

الجميع حضر حسب الموعد حيث واجب الضّيافة الذى لم يغفله المرشدى:

- أتمنى أن تكون بضاعتنا قد لاقت إعجابك دكتور سميث..
- نعم سيد فريد.. هى جيدة، لكننا ما زلنا نطمح إلى المزيد.. ولكن نحن مجتمعون اليوم من جديد؟
- عندى أخبار جيّدة لكم جميعًا..

سكت فريد المرشدى قليلاً قبل أن يُلقى جملته التالية بشكل سينمائى تشويقى عليهم:

- المقبرة قد فُتحت..

لم يجد فريد المرشدى ردة الفعل التى توقعها من الجميع وكأنهم يعلمون مُسبقًا فشعر أنه ربما يكون قد بالغ بالأمر فسارع مجددًا ليعود إلى وقاره المعهود:

- لقد أتممنا فتحها وهى الآن متروكة للتهوية ويتم تجهيزها الآن.
- سيد فريد.. ما هى الخطوات التالية؟
- حسنًا دكتور سميث.. الخطوة التالية ستكون بذهاب حسين ومايا رفقة كريم وسميح لتقييم المقبرة وبعدها نجلس مجددًا ونتناقش حول ما سيحدث..
- ومتى يمكنهم الذهاب؟
- ربما بعد غدٍ، سميح سيتولى هو الأمر وسيقوم بالاتصال بهم متى يكون جاهزًا.
- سيد فريد.. اسمح لى أن أتحدث..

تحدث كريم للمرة الأولى اليوم، فقد لازَم الصّمت منذ البداية قبل أن يشق طريقه إلى الحوار قبل إنهائه بشكل مباشر فأن تأتى متأخرًا خير من أن لا تأتى:

- أريد أن أسأل الدّكتور سميث ودكتور برادلى عن تصوراتهما للمقبرة وماذا سيفعلون بها..

- سيد كريم.. هذا ليس أول تعامل بيننا رغم أني أعرف أنك بشكل أو بآخر لا تتفق معنا، لكن أبدًا هذا لم يكن عائقًا فى العمل وهذا ما يجعلنى معجبًا بك لأنك تفصل بين هذا وذاك، أمّا عن تلك المقبرة فإلى الأن لا علمَ لنا بما بها؛ لذا أولاً سننتظر لتشاهدوها أنتم وبعدها نقرر..

- وماذا إن كان تقريرنا إيجابيًّا؟

- وقتها أعتقد أنكم لن تمانعوا لو ألقيت أنا ودكتور برادلى نظرة عليها، وهنا يأتى تقييمنا هل ستفيدنا أم لا، وبعدها يأتى التعامل..

- وما هى الأفكار المقترحة منك دكتور سميث؟

- عزيزى.. ربما لا تكون ذات نفع وربما تكون مجدية، وقتها سندرس كل الاحتمالات إمّا أن نعلن عنها للجميع أو أن نشترى محتوياتها أو أن ندفع الكثير من أجل إغلاقها إن لزم الأمر.

لم يُرِد فريد المرشدى أن يحدث أى نقاش جديد فسعى إلى إغلاق الأمر مباشرة حيث دعاهم جميعًا إلى العشاء.. جلسوا يتحدثون فى أمور مختلفة قبل أن يرحل الجميع.. كل سلك طريقه ليعود من حيث أتى..

***

فيلا المريوطيّة.. الثّانية ظهرًا..

تأخرت سيدتهم بعض الشىء فدخلت متعجلة من أمرها وهى تعتذر لهم بسبب العمل والزحام، وبينما كان حازم سعيدًا لرؤيتها فإن الدّكتورين سميث وبرادلى تقبلا اعتذارها بعد أن شرحت لهم الأمر فسريعًا ترك دكتور سميث تلك الأمور جانبًا وشق طريقه إلى العمل:

- حسنًا يا عزيزتى.. ما هو رأيك بما حدث بالأمس وما قالوه عن المقبرة؟

- أعتقد دكتور سميث أن كل شىء لن يحدد إلا إن دخلنا إلى قلب المقبرة وعرفنا ما فيها وقيّمنا ماهيتها هل هى مفيدة أم غير مفيدة كل تلك الأمور مرتبطة ببعضها البعض..

- بكل تأكيد وهذا ما تشاورت فيه أنا ودكتور برادلى لكننا نريد أن نعرف مكان تلك المقبرة قبل أن يأخذونا إليها..

- بكل تأكيد يا سيدى وهذا ما نسعى إليه وسنحدده بكل تأكيد.

- حسنًا، تلك مهمتك أنت وحازم بينما أنت يا حازم لديك مهمة أخرى أنت ورجالك أعتقد أنهم إن ذهبوا إلى المقبرة غدًا، فإن بيت كريم سيكون خاويًا، وستكون هذه الفرصة سانحة بشدة لنا لدخول منزله ومعرفة ما فيه.. نريد كل ما يحتفظ به ويخص تلك المقبرة..

- اعتبر أن الأمر قد تم يا سيدى، سنقوم به وسيظهر كأنه سرقة عادية فى بيت رجل ثرى..

- حسنًا، إننى أعتمد على كليكما..

انصرف كل من دكتور سميث ودكتور برادلى إلى استراحتهما تاركين حازم وفتاته قبل أن يقترب منها ويبدأ فى الحديث إليها:

- أنا معتش طايق الوضع ده..

نظرت له بكل حزم اكتسبته من اسمه قبل أن تجيبه بنظرة نارية من عينَيها مع كلمات شديدة اللهجة خرجت من بين شفتيها الرّقيقتين:

- إحنا هنهرج؟ خلاص كلها كام يوم ونخلص وكل ساعة بتعدى بتقرّبنا من اللى إحنا عاوزينه..
- طب وإنتى هتعملى إيه؟
- هنفذ كل اللى دكتور سميث ودكتور برادلى عاوزينه وإنت تخلص شغلك بكره بدون أى غلطة.
- هو أنا كنت غلطت فى الحادثة اللى فاتت ولا إيه؟

مجددًا رمقته بنظرة حادة منها قبل أن يتحاشى مواجهة عينَيها ويبتعد عنها..

***

فى اليوم التالى شق كريم وسميح ومايا وحسين طريقهم إلى عمران، انقسموا إلى سيارتين؛ سميح وبرفقته حسين، وكريم برفقته مايا، فصابر قد رتب معهم أن يعود رفقة سميح فى طريق

عودتـهم فاسـتقلوا كلتـا السّيـارتين حـيث تبادل كـريم ومـايا الحديث:

- هو إحنا رايحين فين يا كريم؟
- إحنا رايحبن عند الحج عمران، بلده عبارة عن قرية صغيرة وهناك هو بقى هيودينا للمقبرة.. إنتى مستعجلة قوى كده على رؤية المقبرة؟
- مش مستعجلة، بس متعودتش أبقى ماشية كده ومش عارفة أنا رايحة فين..
- إيه مش مطمنة؟ متخافيش مش هخطفك ولا حاجة..
- لأ، مطمنة..
- بس إنتى إيه رأيك فى اللى حصل وكلام دكتور سميث؟
- عن إيه بالظبط؟ أنا لحد دلوقتى مش مصدقة أى حاجة من اللى بتحصل، أنا حاسة إنى كنت عايشة فى عالم تانى أنا بقيت بشك فى نفسى..
- لا، ده العالم الحقيقى.. بس إيه رأيك فى كلامه وإنهم ممكن يدفعوا أى فلوس عشان يقفلوا المقبرة دى؟
- كـريم.. أنـا بجـد معتـش عارفـة حاجـة وبعـدين إحنـا نشـوف المقبرة الأول ونقيّمها ما جايز كل

المؤشرات دى تطلع على مفيش..

- لا يا مايا.. إنتى عارفة كويس إن المقبرة دى مختلفة..
- هو إحنا هنوصل إمتى؟ أنا جُعت..

- متقلقيش فيه استراحة كمان نص ساعة هننزل هناك ناكل ونغير جو بس متاكليش كتير؛ لأنك عند الحج عمران هتاكلى أكل مكلتيهوش فى حياتك..

***

فى السّيّارة الأخرى تبادل سميح وحسين الحوار وراح كل منهما يحكى عن بطولاته وذكرياته فى هذا العالم مع الآثار من بين أعمال شرعيّة وأخرى اتسمت بالقذارة والغش..

- بس قُل لى يا دكتور حسين.. إنتَ واثق فى مايا دى؟
- بص يا سميح.. مايا دى تلميذتى، فخر علمى ليّا إنى علّمتها، من أفضل الباحثين اللى شُفتهم، ورغم انها أستاذة فى الجامعة لكنها شاركت معانا فى كذا كشف رسمى تبع بعثات خارجية كانوا بيطلبوها بالاسم للمشاركة لأنها بتراسلهم كتير وليها أبحاث كتيرة فى التاريخ الفرعونى..
- مش فاهمنى برده يا دكتور حسين.. ما كريم أهوه لا دكتور ولا غيره بس شاف قد اللى شُفتوه 100 مرة، وأنا كمان..
- انتَ هتقارن بيننا وبين كريم يا سميح؟ أىْ نعم هو خبير كبير لكن مش أستاذ دكتور متخصص..
- أوقّفه يعنى دلوقتى وأدخلكم فى مناظرة ولا أعمل إيه؟ وعمومًا يا دكتور مش ده السّؤال.. أنا باتكلم واثق فيها يعنى مش ممكن تفتن علينا أو تودينا فى أبوكلابوش ولا حاجة؟
- إنتَ لسّه جاى تسأل دلوقتى؟ وبعدين دى لو عاوزة تعمل كده كانت عملت من زمان، هى ضد اللى بيحصل لكن فضولها العلمى

بيدفعها للمشاركة والاكتشاف، أنا اتكلمت معاها..

- ربنا يستر، أنا مش مطمن من أول ما دخلت الشّغلانة دى..

***

حفاوة الاستقبال المعهودة هى ما قام به عمران عند وصولهم إليه.. توجهت الأنظار كلها إلى مايا؛ فما دخل تلك المرأة فى عمل الرّجال رغم أنَّ سميح قد أخبر عمران من قبل بالأمر إلا أنه لم يستوعبه بعد، وكذلك لم يستوعبه بقية رجاله خصوصًا عندما رأوها شابة صغيرة فى السّن رائعة الجمال ممشوقة القوام، سال لعابهم عليها وتحرك فى قلوبهم شىء وكأنهم جميعًا محرومون من نعمة النّساء، لكن لم يجرؤ أحدهم أو حتى عمران نفسه على أن يفاتحها ولو بكلمة واحدة. لكن عمران طلب منها أن تبقى برفقة النّساء، فتلك هى الأصول والتقاليد، إلى أن يأتى وقت الذهاب إلى المقبرة، ارتدت جلبابًا فضفاضًا من ملابس إحدى ابنتَى عمران، اللتين جلست معهما تسامرهما وتتحدث معهما، اكتشفت أن إحداهما طالبة فى كلية التجارة والثّانية قد أنهت كلية الخدمة الاجتماعية وعرسها سيتم فى القريب العاجل.

بينما اجتمع الرّجال للحديث، فعمران يعرف حسين من قبل فقد رآه فى بضع مرات لدى الباشا أو أتى حسين بنفسه للقيام بعمل كريم فى حال عدم وجوده لأى سبب ما..

- يا مراحب بيكم يا جماعة نورتو البلد كلتها..

- الله يكرم أصلك يا حج عمران.. خلينا ندخل فى الشّغل على طول..

- طول عمرك إكده يا سميح مبتضيعش وقت..

- يا حج انتَ عارف إحنا ملناش غيره نسابقه.. ها، عملتو إيه؟

- كله تمام، المجبرة وفتحناها وشُفناها، فاضل بس معاينتكم ليها..

- طب طمّنى يا حج عمران عاملة إزاى؟

- دى حاجة يا أستاذ كريم أنى مشُفتهاش جَبْل إكده؛ فيها ييجى 20 أوضة وفسحاية كبيرة بيناتهم، ونُجوش وحاجات كتير على الأرض والحيطان والسجوف.. ده إن كان ليها سجوف، المجبرة دى تحسّوا إنها شبه الهرم أمّا تدخل جُوّاها، حيطانها طالعة بمَيَلان بتضيق كل أمّا توصل فوج..

- أُمّال فين عتمان وصابر ويحيى يا حج؟

- فى المجبرة يا سى كريم، وأنا شيّعت لهم خبر ييجوا وزمانهم فى الطّريج..

***

تحدث حازم مع اثنين من رجاله مخبرًا إيّاهما بما سيقومان بفعله فى أمر عاجل فى تلك الليلة، مشددًا عليهم بأن لا يحدث أى خطأ فى الأمر وأن يتم بمنتهى الهدوء والسهولة..

- أيوه يا حازم بيه، بس البيت ده جُوّا كومباوند، يعنى حراسة وأمن ودياولو..

- عارف يا عامر، وانتَ عرَقك هيزيد المرة دى، ده شكل الكومباوند وده البيت اللى هتروحه، الصّور معاك أهيه، أنا دخلت وصورتهم انتَ بقى مش هتعرف تدخل؟!

- تمام يا باشا.. إحنا خدّامينك برده..

- اسمع يا عامر.. مش عاوز أى غباوة ولا غشوميّة، عاوز العملية دى تتم فى السّريع وبرّاحة، البيت اللى هتدخله فاضى مفيش فيه حد، صاحبه مسافر النّهارده.

- طب لو جه فجأة ولا حاجة؟

- لا، متخافش هو فى الصّعيد، هتشوف بقى كمبيوتر، أى كاميرا تصوير، أى فلاشة، ورق، أى حاجة تجيبها وانتَ جاى، والأجهزة اللى أنا وريتها لك لو لقيت أى حاجة زيها تجيبها وتقلب فى كل حتة فى البيت وبالمرة تسرق أى حاجة تقابلك..

- تمام يا باشا.. وأول ما أخلّص هاعرّفك على طول..

- لأ يا حلو، إنتَ تجيب الحاجة وتخنس فى أى مكان لحد ما أنا أتصل بيك وأقول لك تعمل إيه..

***

لم يتأخر الثّلاثى الهُمام (صابر ويحيى وعتمان) كثيرًا، ابتسامة ماكرة ونظرات من الجد تعلو وجوههم، رحّب بهم عمران والجميع كذلك مشيدين بهم فى فخر وكأنهم قد حرروا الأرض المحتلة من قبل العدو المغتصب، جلسوا فى زهو المنتصرين معهم ليتبادلوا الحديث عما أنجزوه من عمل..

- تسلموا يا رجالة.. الحج عمران إدالكم الحلاوة ولا لسّه؟

- إنتَ جاى تجلبهم عليّا ولا إيه يا سميح؟ وبعدين متخافش أخدوها وزيادة كمان..

- سيبونا من كل ده يا جماعة واوصفوا لنا المقبرة عاملة إزاى

من جُوّه..

- زى ما انتَ شُفتَها يا كريم.. ولا أنتَ مش مصدّقنا؟

- لا يا صابر مصدّقكم بس الشّوف غير الدّخول..

- عندك حج يا أستاذ كريم.. إحنا نفسينا لحد ما دخلنا مكنّاش نعرفو الجيمة اللى فيها..

- مش سامع صوتك يعنى يا يحيى؟

- مينفعش أتكلم والكبار بيتحدتوا يا أستاذ كريم. بس أجدر أجول لك إحنا داخلين على الجد.

- فُضّونا من الحديت عاد دلوجيت وخلونا نجومو ناكلو مُجلة سوا..

دعاهم عمران جميعًا إلى الطّعام فجلس الرّجال معًا جميعًا بينما مايا فى معية النّساء، تناولت الطّعام معهن، علمت قيمة ما قاله لها كريم من أنها ستتذوق طعامًا بشكل وطعم مغايرين بكرم أهل الكرم فى دار الحج عمران..

***

عاد حازم سريعًا إلى الفيلا بعد أن أنهى اتفاقه مع رجاله وأخبرهم جيدًا ماذا سيفعلون، فكل من سميث وبرادلى فى انتظاره على أحر من الجمر، دخل عليهما ويبدو أنه يحمل أخبارًا جديدة إليهما، فهما ينتظران منه تأكيدًا بكلا المهمتين..

- ماذا لديك يا حازم؟ أخبرنا هل من جديد؟

- نعم دكتور سميث.. رجالى سيكونون فى الطّريق لمنزل كريم هذا المساء فقد رتبنا كل شىء..

- هذا أمر عظيم، وأتمنى أن تتم المهمة بالشّكل المطلوب..
- لا تقلق يا دكتور.. فقد اخترت أمهرهم على الإطلاق لتنفيذ المهمة..
- جيد، وماذا عن مهمتنا الأخرى؟
- نسير وفق الخطة، وصلوا إلى البلد المقصودة وأعتقد أنه بعد قليل سنعرف مكان المقبرة تحديدًا..

شعر دكتور سميث براحة من كلام حازم، وشعر أنهم يقتربون من مبتغاهم، فقط ينتظرون تلك الزّيارة للمقبرة ليعرفوا مدى قيمتها.. هل هى جيدة ومفيدة أم أنها لا تستحق كل هذا العناء من أجلها..

***

منزل عمران.. العاشرة مساءً..

تأهب الجميع للذهاب إلى المقبرة لرؤيتها، انتظروا إشارة عمران للذهاب قبل أن يدخل سالم ليخبره بأن الأمر مستتب، فنظر لهم عمران بهمة عالية قبل أن يدعوهم لزيارة المقبرة..

- تمام يا جماعة.. إحنا جاهزين للمرواح بس هو فيه حاجة صغيرة إكده، والله أنا محروج منيكم.. قل لهم انتَ يا سميح..
- معلهش يا جماعة دى احتياطات من عمران زى كل مرة بيعملها معانا كل واحد هيسيب شُنَطه وموبايلاته وحاجته كلها هنا.. هناخد بس معانا دفاتر وأقلام وأى كتب انتم عاوزينها لو معاكم، وكريم هيجيب الكاميرا بتاعته..

نظر الجميع إلى بعضهم البعض فهذا هو الاتفاق الذى أبرمه سميح مع عمران وأخبر كريم مُسبقًا به، بدا الاضطراب على وجه حسين الذى استشاط من الغضب قبل أن يتحدث إليهم:

- يعنى إيه يا سميح انتو مش مآمنين لينا ولا إيه؟ لو كده متجيبوناش يا أخى..

- انتَ زعلان ليه يا دكتور حسين؟ الحج عمران بيعمل معانا كده على طول..

- هو أنا أول مرة أجى لعمران يعنى؟!

- بس كنت بتيجى بعد ما بنكون خلّصنا الشّغل لكن قبل ما نخلّص ده اللى بيحصل..

- إزاى يا سميح يعنى؟

- اهدى يا دكتور.. لا سميح ولا الحج عمران يقصدوا حاجة، إحنا حصل معانا كده أنا وسميح فى كل مرة رُحنا فيها المقبرة..

- ماشى يا كريم.. أمّا نشوف بقى المقبرة دى شكلها إيه؟

- بس هو فيه حاجة تانية برده..

- قول يا سميح..

- كل واحد فينا هيلبس بتاعة من دى..

قالها سميح مشيرًا إلى حقيبة من البلاستيك موضوعة أمام عمران الذى أخرج منها أغطية سوداء ليرتدى كل منهم واحدة حتى لا يروا الطّريق إلى المقبرة..

- ودى إيه كمان؟

- خلاص بقى يا دكتور حسين.. خلينا نروح..
- إزاى يعنى يا مايا دى إهانة..
- يا دكتور إحنا المهم عندنا ندخل المقبرة مش هتفرق بقى ندخل إزاى..
- صح، كلامك صح يا دكتوره مايا.. شايف يا دكتور حسين انتَ متعصب ليه؟
- ماشى يا سميح.. بس أنا ليّا كلام تانى أمّا نرجع القاهرة..

نفذ الجميع تعليمات عمران بترك كل أدواتهم إلا أدوات التنقيب البسيطة وكاميرا تصوير يحملها كريم وأقلام ودفاتر للتدوين كل هذا كان حرصًا من سميح على أن لا يقوم أحد بتحديد مكان المقبرة عن طريق الهاتف وخدمات ال GPS المختلفة التى يمكنك أن تحمل تطبيقاتها بسهولة فهو يخشى حسين بشدة وما أكد له ذلك هو انفعاله الشّديد وأيضًا اطمأن بعض الشىء تجاه مايا التى بدت هادئة وغير مهتمة بالأمر فقط تريد الدّخول إلى المقبرة من أجل تقييمها..

أكثر من ثلاثة أرباع السّاعة قضتها السّيارة التى تقلهم فى الذهاب جيئة وإيابًا فى طرق مختلفة قبل الذهاب إلى المقبرة مباشرة فهم يستطيعون أخذ الطّريق فى عشرين دقيقة فقط على الأكثر..

- هو إحنا رايحين محافظة تانية ولا إيه؟

خرجت الجملة من بين شفتى حسين الذى ضاق صدرة بالأمر برمته فانفجر على إثرها الجميع ضحكًا قبل أن يعاوده عمران

بالحديث فهو من يقود السّيارة وحسين بجواره بينما فى الكرسى الخلفى كريم يتوسط كلاً من سميح ومايا..

- معلهش يا دكتور حسين.. كله مرة بروح من طريج شكل عشان أمرنا ما يتفضحش..
- والنّهارده بقى حظنا نروح من أطول طريق ممكن..
- خلاص يا دكتور متخافش إحنا وصلنا أهاه..

قالها عمران قبل أن يوقف السّيارة ويخبرهم أنهم بإمكانهم انتزاع الغمائم عن وجوههم فنفذوا على الفور وفى مقدمتهم حسين الذى بدا الضّيق جليًّا على مُحياه، بعدها ترجلوا من السّيارة ليلقى عمران التحية على رجاله القابعين عند مدخل المقبرة لحمايتها، فهموا على الفور لتحية عمران ورفاقه القادمين إليهم بعدها أتى إليهم يحيى وصابر وعتمان ليبدؤوا بالنزول إلى المقبرة التى دخلها كريم وسميح من قبل.. عبارة عن سرداب يؤدى إلى غرفة للدفن فيها صندوق يحوى مومياء قد امتلأت بعبق التاريخ وغرفة أخرى حوت مقتنيات ثمينة من قبل لكنها الآن جميعًا أصبحت بحوزة الدّكتور سميث...

بينما اليوم يوجد ما هو جديد فى هذه الغرفة الثّانية هناك طاقة قد فُتحت فى الحائط تؤدى إلى نفق ينخفض بهم إلى الأسفل مرة أخرى، كان كريم قد انتهى من دراسة هذا المكان من قبل ومتشوقًا لرؤية ما هو آتٍ لكن كلا من حسين ومايا أبدى إعجابه بالمكان وظلا صامتين للحظات قبل أن يتحدث حسين من جديد لكن بعين الباحث المندهش بما يراه أمامه الآن:

- ده اللى إحنا شُفناه فيديو من تصويرك يا كريم، لكن المنظر على الطّبيعة أجمل بكتير ولا إيه رأيك يا مايا..
- أكيد يا دكتور..
- أمّال لو دخلتوا بجى وشُفتوا الجديد هتجولوا إيه؟ يلا بينا يا جماعة متخلوناش نضيّع الوجت أُمّال..

قالها عمران قبل أن يشير إليهم بالتوجه إلى الممر الجديد، تقدمه يحيى وتلاه عتمان فى الدّخول لكن كريم لم ينتظر كثيرًا تبعهما متشوقًا لرؤية المكان بعينَيه وهل هو مشابه لتجربة "الرّؤيا" عبر أعين الجان أم أن المكان مختلف في الحقيقة عما رآه من قبل، بعده توالى الجميع تباعًا وفى النّهاية كان صابر وسالم آخر الدّالفين إلى داخل النّفق.. عشرة أمتار مع انحدار فى النّزول إلى الأسفل هى المسافة المقطوعة حتى تصل إلى نهاية الممر الذى يؤدى بك إلى قلب المقبرة الرّئيسى التى هى أقرب لدور العبادة بشكل مغاير بُنى تحت الأرض، يوجد فى نهاية الممر ثلاث درجات تهبط إلى الأسفل ليوجد بهو كبير عرضه يضاهى عشرين مترًا وطوله ربما يكون الضّعف، والارتفاع قد يصل إلى ضعف العرض لكنه مخروطى الشّكل وكأنه هرمى لو رأيناه من الخارج، وهناك رسومات عدة تؤرخ لكل شىء:

الإله آمون يقبع فى الوجهة المقابلة وتحته كرسى عتيق ينتظر من يجلس عليه مع تدقيق فى الرّسومات تجد وكأن التاريخ قد كُتب بأحرف من نور، تبدأ بأسطورة إيزيس وأوزوريس، وتلك صورة عن الملك نارمر ومن بعده مينا موحد القطرين، ورسمة أخرى عن عهد الأسرات وبناء الأهرامات، وعن الغزو الأول للدولة

المصرية القديمة هناك صورة حزينة لدخول الهكسوس إلى مصر ومن بعدها ضعف البلاد.. أيضًا تجد تجسيدًا مبهجًا لقوة الملك أحمس وطرده للهكسوس، يليه حتشبسوت وازدهار التجارة والصّناعة فى البلاد، بعدها الإمبراطور تحتمس الثّالث أول من أسس إمبراطورية فى التاريخ وأول من كوّن جيشًا نظاميًا عرفه العالم.. ما زال التاريخ يتوالى لنصل إلى عهد الخلاف بين إخناتون وكهنة معبد آمون وضعف وشتات البلاد، ثم نصل مجددًا للملك رمسيس مُعيد أمجاد الأجداد ومعركته الشّهيرة (قادش) .. من بعده يأتى ضعف البلاد واحتلال الفرس لها بينما هذا هو الإسكندر يدخل مصر ويأخذ التبريكات من كهنة آمون، أيضًا ها هم البطالمة يحكمون وكليوباترا تهدى البلاد ليوليوس قيصر العظيم، بعدها تُهزم فى معركة أكتيوم لنتبع روما وأكتافيوس قيصرها الجديد.. ثم ظهرت المسيحية وبدأ ينتشر الأقباط وبدأت مصر تتغير فى اتجاه معاكس من دولة وثنية إلى دولة توحيد..

هناك أيضًا رسومات فى جانب بمفردها، هذا هو تجسيد لدخول يوسف الصّديق (عليه السّلام) كطفل صغير وقصته مع عزيز مصر وزوجته "زليخة" التى ألقت به فى غياهب السّجون ثم خروجه ليصير هو عزيز مصر ومخلّصها.. بعده يدخل أبوه يعقوب (عليه السّلام) وبنو إسرائيل تاريخ اليهود فى تلك البلاد، إلى أن خرجوا مع كليم الله موسى.. كل شىء يروى فى تاريخ مُبسَّط على جدران هذا البهو العملاق..

على جانبى البهو نجد عشر غرف، قد تراصت على كل جانب خمس منها قد تم فتحها، وخمس أخرى لم يمسس أبوابها أحد

بعد.. الغرف الخمس التى فُتحت فيها آثار وتماثيل وكثير من الأوانى والمومياوات والمؤن لمن هم هنا من الأموات.. أمّا العشر الأخرى التى ما زالت مغلقة فقد كُتب على كل منها ما تحويه، هذه فى التاريخ وتلك فى السّحر وأخرى لعلوم الفيزياء ورابعة للطب العظيم وخامسة للهندسة والعمارة وسادسة للكيمياء والصّيدلة وسابعة لأخبار الأمم الأخرى وثامنة للفلسفة والحكمة وتاسعة لأسرار الفلك وعاشرة اسمها "الملعونون".. أرض البهو مليئة بالكلمات كلها قد نُقشت وقُسمت إلى شقين يمينًا ترى الهيروغليفية ويسارًا ترى ترجمتها باللاتينية.. الجميع مبهورون، مسرورون، لا يصدقون ما يرون فربما لم ولن يروا فى حياتهم شيئًا مماثلاً أبدًا..

- ها، إيه رأيكو يا جماعة؟
- هو فيه رأى يا حج عمران!!
- يعنى الحاجات دى تسوى يا أستاذ كريم؟
- المقبرة دى متتقدرش بتمن..
- الله يحفظ مجامك..

لم ينتبه كريم إلى أى من كلمات عمران التالية التى خاطب بها سميح ودخلا فى حالة نقاش وجدال لا ينتهى بينما هو ظل مشدوهًا بما يرى أمامه وكذلك كل من حسين ومايا فقد غلبت عليهم أعين الأثريين، فظلوا مبهورين بما يرونه، يراقبهم كل من عتمان وصابر ويحيى بسعادة وفخر بما أنجزوه..

ثلاثةٌ منبهرين بعمل أنجزه ثلاثةٌ قبلهم لاكتشاف مكان إن تم

الإعلان عنه سيغير الكثير وسيكون كشفًا هو الأروع منذ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون فى عشرينيّات القرن الماضى..

- إيه رأيك يا دكتور حسين أنت ودكتورة مايا فى اللى أنا شايفه؟
- دى حاجة متتوصفش يا كريم.. إيه رأيك يا مايا؟
- أنا فى البداية مكنتش مستوعبة حاجات كتير بس دلوقتى مش مستوعبة المقبرة.. إحنا بكده ممكن نكتشف أهم الأسرار فى التاريخ الفرعونى ببساطة من المقبرة دى..
- ده لو فتحنا الأوض دى..
- لا، الأُوَض المجفولة محدش راح يفتحها..
- ليه؟
- انتَ نسيت العهد ولا إيه يا أستاذ كريم؟ انتو ليكو إهنه الآثارات، إنما الأُوَض المجفولة دى مش هتنفتح إلا لما نعرفوا مصيرها وإلا هنجفل المجبرة عليها تانى..
- إنتَ عندك حق يا يحيى.. بس إيه اللى على الأرض ده حد فيكم هيترجم معايا يا دكتور حسين ولا أترجم لوحدى
- ونترجمه ليه؟
- عشان نعرف المكتوب يا يحيى..
- ما أنا فاهم يا أستاذ كريم إحنا نجول لكو اللى فيها..
- إنتَ ترجمتها..
- لا، همّا اللى هيجولوا ليك اللى فيها دلوجتى بنفسيهم..

فجأة انخفضت الأضواء وأصبحت الرّؤية ضبابية تحولت الأجواء إلى حمراء وكأنك تقف وسط عاصفة من الرّمال؛ تشبثت

مايا بيد كريم فربت على يدها بشدة.. أصوات عدة سمعوها من عدة اتجاهات قبل أن يتركز الصّوت وكأنه يأتى من الإله آمون الذى ظلل بالضوء الأحمر وكأننا فى أحد عروض الصّوت والضوء بسفح الأهرامات:

- أهلاً بكم فى مقبرة الأزمان.. حيث دُوِّنت علوم بنى الإنسان وحضاراتهم فى كل زمان.. نحن حملة النّور، مَن جمعوا أسس العلم القويم.. من حضارة المصريين وبابل والفينيقيين وبلاد آشور والميتانيين..

نحن مَن جمعنا سر حضارة عاد وثمود.. ودوّنّا علم بلاد الإغريق والإسكندر العريق.. والهند وعهدى الفرس القديم والجديد.. نحن المنورون جَمعة العلوم.. نترك لكم كنزًا عظيماً. إلى شعب النّيل العظيم.. لتنيروا فى قلب الظّلمات يا مَن أنتم أسياد الحضارات.. كنا من قبل الفائزين.. وبعلمنا زاهين.. لكننا هالكون نحن من قدسنا اللعين.. نحن المخطئون بعد أن ابتدعنا آمون.. وأضللنا عما تركه لنا أوزوريس.. إنه العظيم إدريس وهو الحكيم هرميس.. اهتدى به الإغريق ليخرجهم من الجهل والضيق.. نحن المخطئون أضعنا حضارة دامت لقرون.. ولكننا ظللنا بعدها مؤرخين لعديد القرون.. سيأتى بعدنا مدلسون وللعلم يدعون.. ويقولون إنهم المنورون.. ويبنون دولة الظّالمين.. إنهم أتباع اللعين هم ورثته المفسدون ولكيانه سيدعون ولدولته يعملون.. فإن كشفتم ما لدينا من علوم فستعلمون كيف تقاومون..

***

منزل كريم.. الثّانيةَ عشرةَ ليلاً..

اعتادت صباح ألا تبيت فى غرفة كريم فى حالة غيابه فتقضى تلك الليلة فى الغرفة السّفلية التى توجد فى الدّور الأرضى رغم أنَّه أخبرها أن تبيت فى غرفته لكنها أبدًا لم تدخلها طالما أنه لا يوجد معها.. ملّت من كل شىء فى يومها هذا فآثرت النّوم لكنه لم يأتها سريعًا، أخذت تتقلب فى مضجعها يمينًا ويسارًا ذهابًا وإيابًا بعد أن جافى النّوم عينيَها بعض الشىء، تذكرت أبناءها، شعرت بقربها منهم، قررت أخيرًا أن تفعل شيئًا صحيحًا.. قامت وتوضأت وقررت أن تصلى لعل الله يغفر لها، شعرت بالدّموع تجرى مجرى السّيل من بين عينيها، دعواتها لا تنقطع ودموعها لا تتوقف، ركعات توالت وراء الرّكعات لم يوقفها عما هى فيه إلا الإرهاق رغم شعورها بالرّاحة وهى بين يدى الله.. غفت قليلاً وهى فى مضجعها جالسة لكنها تنبهت لصوت قد سمعته بالخارج، خشيت أن تكون قد تركت أحد الأبواب أو النّوافذ مفتوحًا فيدخل أى شىء إلى المنزل خاصة أحد كلاب أو قطط الجيران التى تراها هنا كثيرًا مدللة أكثر من بشر آخرين ليسوا بعيدين عن المكان سوى فقط كيلومترات بسيطة..

خرجت صباح إلى الصّالة لتجد أن كل شىء فى مكانه، أشعلت الأنوار فى المكان لتجد أن كل النّوافذ والأبواب مغلقة؛ قالت فى نفسها إنه ربما الإرهاق أوحى لها بذلك فقررت أن تعود لغرفتها مجددًا لكن هذا الضّوء الذى تسرب من أسفل باب مكتب كريم ليس ضوء الغرف بل إنه ضوء خافت أتى فى مخيلتها أنه ربما يكون كريم قد نسى إضاءة المكتب فهو عادة ما يفعل ذلك وهى لم تدخل الغرفة منذ سافر صباحًا فقررت أن تذهب لترى ما فيها،

استجمعت كل قواها لتفتح باب الغرفة قبل أن تجد أمامها رجلين يضعان كل محتويات الغرفة أرضًا؛ أطلقت صرخة قوية راكضة نحو باب المنزل إلا أن أحدهم لحقها مكمماً فمها بعد أن استغاثت بالدكتور شريف، الجار الأقرب من منزل كريم، حاولت أن تفلت منه لكنه أحكم الإمساك بها فتحولت إلى فأر صغير قرضت يديه فتأوّه منها مفلتًا فمها فصرخت مجددًا قبل أن يحكم الإمساك بها مجددًا ليخرج سكين حاد يتدلى فى هدوء على خصره ينتظر أن يلامس ضحيته التالية ليقوم بعمله بمنتهى المهارة فقام بتمريره بمنتهى البرود على رقبتها قاطعًا كل ما مر به من أوردة وشرايين.. شعرت صباح باختناق فى أنفاسها، وقد برزت عيناها، قاءت الدّماء من فمها ودماء أخرى تنسال على رقبتها لتلفظ أنفاسها الأخيرة سريعًا قبل أن تسقط على أرض المنزل قرب الباب.

أتى شريكه من الغرفة مسرعًا لكن الأمر قد حدث، نظر لزميله الآخر فى غضب، فهما متشحان بالسواد لا يظهر منهما إلا أعينهما قبل أن يصيح به بصوت خفيض:

- إيه اللى انتَ عملته ده يا غبى؟
- كانت هتفضحنا يا عامر..
- طب يلا بينا بسرعة قبل ما حد ييجى؛ الشّغلانة دى باظت، أنا جبت اللى لقيته وحسابك معايا بعدين..

قالها قبل أن يتجها للباب الخلفى للمنزل محاولين الفرار سريعًا قبل أن يُفتضَح أمرهما.

***

دلف حازم مسرعًا إلى الفيلا، فيبدو أنه لديه أخبار جديدة ليبلغها إلى الدّكتور سميث ودكتور برادلى الجالسين فى انتظاره فهما قليلا الخروج من مقرهما الجديد ويديران أعمالهما منه بينما حازم هو من يقوم بكل شىء..

- لدينا أخبار جيدة يا سيدى..
- حسنًا يا حازم.. أخبرنى بما لديك..
- لقد حددنا موقع المقبرة..
- أمر رائع..
- مبعوثنا فيها الآن، وغدًا يمكننا أن نذهب إلى هناك..
- هذا رائع لكننا ننتظر التقرير عنها أولاً..
- بكل تأكيد سيدى فهو خبير أثرى لا يشق له غبار..

لم يتم حازم كلماته قبل أن يرن هاتفه ليجد أنه عامر من يتصل به، وقد خرجت من بين شفتيه سبّة له فقد حذره من الاتصال به، فاستأذن من دكتور سميث ليجيب على الهاتف..

- خير يا عامر.. مش قُل...

- ....!

- نعم؟! إزاى ده يحصل.. إنتَ غبى؟

- ....!

- خلاص زى ما اتفقت معاك أول ما الجو يهدى هاتصل بيك..

- ....!

- خلاص يا عامر..

أغلق الخط فى وجه عامر قبل أن يكمل كلماته وتغيرت ملامح وجهه بشدة قبل أن ينظر مجددًا لرئيسيه اللذين انتبها إليه منتظرين تفسيرًا لتلك المكالمة التى غيرت من كيانه..

- ماذا حدث يا حازم أخبرنى..
- إنه عامر، يبدو أن أحدهم كان موجودًا فى منزل كريم.. لقد أخبرنى أنهما دخلا المكان وبحثا عن الأوراق فخرجت إليهم امرأة يبدو أنها عاملة فى المنزل فصرخت..
- هل افتضح أمرهم..
- لا، لكن شريكه قام بقتلها.. هذا يعنى أن الأمر سيفضح وسيتدخل رجال الشرطة به..
- هذا غباء منك، فيجب أن تعرف كل شىء عن المنزل ومن يوجد فيه وأيضًا يجب أن تستخدم رجالاً أفضل من هؤلاء..
- سيدى أنا...
- هذا ليس وقت تبريرات، جهز رجالك، غدًا يجب أن ندخل المقبرة قبل أن يحدثنا المرشدى، فجريمة القتل تلك ستؤخرهم يومًا على الأقل..

***

عاد شريف مُنهكًا من يوم طويل فى عمله، وجد نيفين زوجته بانتظاره وابنه مالك قد غط فى سُبات عميق، ألقى بجسده على تلك الأريكة التى وجدها أمامه من شدة الإرهاق بينما زوجته رحبت به متفهمة لعمله، حاولت أن تضفى بعضًا من السّعادة

والابتسامة عليه..

- أخبار حبيبى إيه؟
- حبيبك جاى هلكان وتعبان وجعاااااااااااااان..
- ههههه.. حبيبى يؤمر خمس دقايق ويكون الأكل جاهز..

طبعت قبلة على إحدى وجنتيه فبادلها هو الآخر قبلة على جبينها محتضنًا إياها قبل أن تقوم مسرعة من أجل تحضير الطّعام له بينما تمَلّك الإرهاق منه فلم يشعر بنفسه إلا وهو تائه عن عالم البشر مقبلاً على مرحلة من الهذيان والنّوم إلى أن تأتى زوجته بالطعام..

بينما هو مستلقٍ فى نومه شرعت نيفين تعد الطّعام إلى أن انتزعتها صرخة شاردة أتت من بيت كريم صرخة عالية استطاعت تمييزها مع الهدوء الذى يحيط بالمكان تلاها صيحات عدة واستنجاد بشريف من قبل صباح فرغم انها لم تكن تحبها إلا أنها تشفق على حالها ومصابها الذى ألم بها فى الفترة الماضية بعد ذلك سمعت صرخة عالية منها مرة أخرى قبل أن يتوقف الصّراخ تمامًا ذهبت إلى شريف الذى ظنته قد سمع الصّراخ فوجدته نائمًا، وضعت يديها عليه فى رفق فانتبه فزعًا..

- إيه.. العشا جهز؟
- لأ، بس صباح صرخت دلوقتى وبتنده عليك تلحقها..

اعتدل شريف فى مجلسه محاولاً استيعاب الأمر قبل أن يجيب

عليها:

- دى ممكن يكون جالها الصّدمة العصبية تانى وكمان كريم مسافر النّهارده مش هنا..

- طب وبعدين هتعمل إيه؟

- مفيش، تعالى معايا نروح نشوفها ممكن يكون جالها إغماء أو تشنجات أو أى حاجة..

ذهب شريف وبرفقته نيفين لمعرفة ماذا ألم بصباح، فوجدا أنوار المنزل مضاءة فسارعا نحو الباب لكنهما وجداه مغلقًا، حاول شريف أن يجد أى نافذة مفتوحة فوجد إحداها أمامه فألقى نظرة سريعة من خلف زجاجها فوجد صباح ملقاة على الأرض مغشى عليها دار حول البيت وجد كل نوافذه مغلقة وكذلك الأبواب استدعى الأمن الخاص بالكومباوند من أجل فتح الباب والدخول.. لم يستغرق الأمر كثيرًا لكن من النّاحية الطّبية فتلك مدة كفيلة بإزهاق روح صباح..

بمجرد أن فتحوا باب المنزل اندفع شريف ليجدها ملقاة أمامه وسائل أحمر يحيط بها؛ علم للوهلة الأولى أنها دماؤها لكنه فسرها أن سقوطها هذا قد يكون أصابها بجرح فى وجهها أو أن أنفها ينزف الدّماء.. سريعًا حاول أن يضعها على ظهرها وهنا شهق الجميع بشدة مع صرخة لم تكتمل من نيفين التى لم تتماسك نفسها وسقطت مغشيًا عليها بعد أن رأوها قد ذبحت كما تذبح الشّاة..

***

ساعتان أو أكثر قضاها فى قلب المقبرة.. انبهر حسين ومايا بما بداخلها خاصة بعرض الصّوت والضوء الذى رآه الجميع انشغلت مايا بمحاولة ترجمة ما كُتب على أرض المقبرة لتتأكد أنه مطابق لما سمعته منذ قليل فلم تكمل ترجمتها، بينما حسين أخذ يراقب ما على الجدران يسير فى كل أرجاء المكان يستنشق عبق التاريخ فيه بينما كريم قد شرع فى العمل مباشرة، يفحص الآثار الموجودة فى المكان يقيّمها ويصنفها ويسعرها ويستشير مايا وحسين بين الحين والآخر.. وبعد أن أنهى ذلك قام بتصوير المكان بالكامل كمقاطع فيديو أو حتى كصور ضوئية، بعدها قرر الجميع الذهاب والعودة فى وقت لاحق بمعدات وأدوات أكثر سيحتاجونها فى تقييم الموقع، بينما عمران شعر بالسعادة عندما رأى الانبهار فى أعينهم حتى سميح لم يستطع إخفاء إعجابه فهو لم يرى مثله من قبل، وفى رحلة العودة اتبعوا نفس الخطوات التى حدثت فى الذهاب جلسوا مغمضى الأعين فى السّيارة، كل منهم يفكر فى صمت بدون أن يحدث الآخر قبل أن يقطع عمران حاجز الصّمت متلهفا لمعرفة كم سيجنى من أموال:

- ها، إيه رأيكوا يا جماعة؟

- رأينا فى إيه يا حج عمران.. هى دى حاجة محتاجة رأى.. ده أهم كشف أثرى ممكن يحصل فى التاريخ..

- الله يبشّرك يا دكتور حسين.. سامع الكلام يا سميح؟ إيه رأيك يا أستاذ كريم؟

- زى ما الدّكتور قال لك يا حج عمران بس أنا فاهم قصدك.. متخافش لو قعدت عمرك كله مش هتعرف تجيب فلوس زى اللى

هتاخدها فى المقبرة دى..

- يا سلام عليك دايمًا وش الخير..

- خلاص يا حج عمران.. مش وقته نتكلم بعدين..

- أبّاى عليك يا سميح دايمًا إكده تكتم فرحتى ولا عشان الرّاجل بيقول كلام مش لادد عليك..

بدأ الصّراع مجددًا بين سميح وعمران قبل أن يصمتوا فى نهايته متفقين على أن يستكملوا جولاتهم تلك فى وقت لاحق فليس هذا هو المكان أو الزّمان المناسب.. وصلوا إلى منزل عمران، ركنوا للراحة بعض الشيء، وطلب لهم عمران الطّعام، بينما طلب حسين هواتفهم وأغراضهم.. قام كريم بفتح هاتفه المغلق وبعد ثوانٍ معدودة أتته رسالة بادر لرؤيتها وجدها تخبره بأن رقماً حاول الاتصال به عدة مرات، سعى لمعرفة الرّقم لكنه بادره بالاتصال.. إنه شريف وفى توقيت يقارب الثّانية صباحًا؛ إذن فالأمر خطير أو أن شريف يسعى لإعطائه محاضرة أخرى عن الضّمير فسارع مجيبًا عليه حتى يضع حدًا لكل تلك الشّكوك..

- آلووو...

- ....!

- أنا فى الشّغل يا شريف..

- ....!

- أجى دلوقتى ليه؟.

- ....!

- شريف.. فيه إيه طمنى وإيه الدّوشة اللى عندك دى؟

- ....!

- إيه.. صباح!!

- ....!

- إمتى الكلام ده حصل؟

- ....!

- طيب طيب أنا جاى حالاً..

- ....!

- إدينى ست ساعات على الأقل مسافة الطّريق..

- ....!

- خلاص يا شريف أنا جاى سلام..

أغلق كريم الخط وعيناه قد جحظتا إلى الأمام، يشعر بالذهول مما يحدث، لم يكن يعرف أن الأمر قد يصل إلى تلك الدّرجة وأن تكون صباح هى الضّحية، تلك المسكينة ذنبها الوحيد أنها عرفته وأحبته فأغواها فعاقبها الله بفقد أسرتها ثم ها هى تعاقَب بموتها بسبب أمر لا علاقة لها به.. ومَن هؤلاء اللصوص؟ كل الاتهامات فى عقله لم تذهب إلا فى اتجاه سميث وبرادلى وفتاهم الملعون (حازم) ..

لاحظ الجميع الشرود عليه قبل أن يقاطعه عمران:

- خير يا ولدى؟ مالك إكده؟ إيه اللى حصل؟
- ح... حا.. حا... حرامية دخلوا البيت عندى وقتلوا صباح..
- صباح مين؟
- صباح.. صا...

لم يستطع كريم أن يكمل كلماته وانطلقت الدّموع تأخذ طريقها

على وجنتيه فاقترب منه عمران بروح الأب هذه المرة رابتًا على كتفه..

- إهدى يا ولدى الرّجالة عندنا ميبكوش..
- إهدى يا كريم وبعدين مين صباح دى؟
- دى تبقى الشّغالة يا مايا قتلوها لما لقيوها فى البيت دبحوها..

احتضنه عمران وتأثر كل من حسين وسميح وارتبكت مايا وتجمدت مشاعر كريم الذى بادر فى الرّحيل فوافقه سميح وقرروا الرّحيل جميعًا سميح وحسين وبرفقتهم صابر بينما مايا برفقة كريم تواسيه واتفقوا على أن يأتوا مجددًا من أجل فحص المكان بالشّكل المطلوب..

***

طريق العودة.. الثّالثة صباحًا..

لم يتركهم عمران يرحلون بمفردهم فى هذا التوقيت من الليل فأرسل معهم سيارتين محملتين برجاله لحمايتهم حتى يصلوا إلى منطقة آمنة يمكنهم منها التحرك بمفردهم كى لا يعترض أحد طريقهم.

لم تكن مايا تدرى ماذا تفعل حتى تُخرج كريم مما هو فيه، فقد ظل شاردًا، ينظر أمامه للطريق، صوت أنفاسه مسموع، يشهق كل حين، تهرب من بين عينيَه دمعة، علم وقتها كم أحب صباح وكم هو ضعيف وكم هى مظلومة معه، ليس لها دخل فى أى شىء مما حدث ولكن قدرها أوقعها أمامه...

فحاولت مايا أن تحدثه:

- كريم.. اتكلم متسكتش كده؛ أنا خايفة عليك..
- أتكلم أقول إيه؟
- قول أىّ حاجة..
- أقول إنها ملهاش ذنب؟ أقول إن الشّغل بقى فيه دم؟
- هى أكيد ملهاش ذنب.. بس ليه الشّغل فيه دم، وشغل إيه؟
- الشّغل اللى إحنا فيه دلوقتى.. إيه!! مش عارفة مين اللى قتلها؟! أكيد همّا سميث وبرادلى أو يمكن فريد المرشدى، كلهم عارفين إنى مش هابيع التاريخ..
- إنت ليه متحامل عليهم قوى كده؟
- إنتى كل ده ومش شايفة؟! كل ده ومش فاهمه؟! بلاش همّا، حازم ده واحد من أقذر المرشدين السّياحيين اللى ممكن تشوفيهم؛ ده تم توزيع إخطار لكل الشركات السّياحية بعدم تشغيله من النّقابة أمّال أنا عرفته منين؟ عارف إنك هتقولى إنتَ كمان كده سيئ بس مقتلتش حد..
- أنا مقلتش حاجة، وبعدين متسبقش الأمور مش يمكن ده حرامى عادى؟
- حرامى عادى هييجى يسرق بيتى ليه ويدخل الكومباوند إزاى وإشمعنى دلوقتى؟!
- ماعرفش يا كريم، ماعرفش..

ساد الصّمت بينهما مجددًا بعد أن رأت ثورته فى الحديث فآثرت الصّمت حتى يهدأ..

***

استشاط سميح غضبًا مما حدث، فقد تعطل العمل وهذا الموقف قد يجعل كريم ينقلب على الجميع ويتمسك بآرائه لأن أول اتهاماته ستتوجه لهم فهو فى غاية الانزعاج من الموقف..

- شُفت اللى حصل يا حسين؟
- طب وأنا مالى يا سميح؟ هو أنا اللى قتلتها؟
- لأ، بس كريم هيعند أكتر ومش بعيد يتهم النّاس اللى انتَ جايبهم إنهم همّا اللى عملوا كده.. إنتَ عارف كريم مبيحبهمش..
- يتهم مين وليه؟
- يتهم النّاس بتوع أمريكا..
- طب وهمّا مالهم؟ وبعدين أنا مالى؟ وليه بتقول "إنتَ اللى جايبهم" دى؟
- مش انتَ اللى رُحت وقُلت لهم على المقبرة وجبتهم لينا هنا؟
- لأ، الباشا هو اللى جابهم وهما اتصلوا بيّا يستفسروا وياخدوا رأيى، إنما أنا مجبتهمش..
- يعنى إيه مش انتَ اللى جايبهم؟ دول قالوا للباشا إن انتَ اللى جايبهم..
- وهمّا قالوا لى إن الباشا هو اللى جايبهم.. أنا دورى مش أكتر من تقديم رأى علمى، ووعدونى بعمولة كويسة واسمى يتنشر على البحث العلمى..

صدمة أخرى يتلقاها سميح.. نظر إلى حسين فوجد أن كل ملامحه جديّة وأن الرّجل صادق فى كلامه، بينما نظر فى المرآة

إلى صابر الذى أشار له بأن حسين صادق فى كلامه..

- إنتَ عارف ده معناه إيه؟ على كده فيه حد تانى عارف بالموضوع وحد من برّانا.. يعنى كده كلنا ممكن نروح فى ستين داهية..

قالها سميح، فألقى قنبلة موقوتة أثارت الرّعب فى قلب حسين الذى أخذ قرارًا بين جنبات نفسه أنه سيخرج من الأمر مباشرة إن استشعر فيه خطرًا فهو لن يغامر بنفسه إلى هذا الحد..

***

رجال الشرطة يملأون المكان، يفحصون المنزل، وجدوا خدوشًا فى الباب الخلفى مما أنبأهم أن مَن ارتكب الجريمة قد دخل من هذا الباب بينما الباب الأمامى قد فُتح بواسطة أمن الكمباوند عندما بادر شريف لإسعافها بينما إدارة المجمع السّكنى بالكامل وفريقها الأمنى الذى يتولى الحراسة ليلاً قيد التحقيق مع رجال الشرطة ينتظرهم أمر بالرّفت من الشركة التى يعملون بها، فكيف يسهون عن هذا الأمر وكيف تسلل من قام بالأمر دون علمهم؟

بينما رجال البحث الجنائى يعملون على مراجعة كاميرات المراقبة المحيطة بالمنزل والمجمع السّكنى بشكل كامل، دبت حالة من الذعر فى المكان بأكمله، اقترب أحد رجال الشرطة من شريف بعد أن أنهى مكالمته مع كريم..

- ها يا دكتور.. رَدّ عليك؟

- آه، تمام رَدّ عليّا، كان فى شغل، هو عنده شركة سياحة زى ما قلت لحضرتك وبيسافر كتير وقال لى إنه جاى فى الطّريق، بس هيوصل على الصّبح..

- طيب يا دكتور شريف معلهش هتعبك معايا.. ممكن توصف لى تانى اللى حصل؟

- زى ما قلت لحضرتك.. أنا كنت لسّه جاى من الشّغل وجيت على البيت، زوجتى قامت تحضر العَشا، سمعت صباح بتصرخ وبتنده علينا، جينا بسرعة، خفت ليكون جالها صدمة عصبية لأنها لسّه بتتعالج من صدمة فلقيت البيت منوّر ومقفول من كل مكان وهى مرميّة على الأرض، اتصلت بأمن الكومباوند جُم وفتحنا الباب لقيناها مقتولة فبلغنا الشرطة ومراتى أُغمى عليها فانشغلت بيها علشان أفوّقها..

- تمام يا دكتور.. يعنى إنتَ مشُفتش اللى عمل كده؟

- لا، أبدًا ولو كنت شُفته مكنتش هسيبه..

اقترب أحد الرّجال من الضّابط المكلف بالأمر قبل أن يهمس فى أذنه بأمر ما، فأشار الضّابط إليه متفهّماً الأمر مُجيباً إيّاه بأنه سوف يأتى سريعًا.. حاول أن يُنهى حواره مع شريف قبل أن يدخل إليهم المقدم على السّيد رئيس فريق الحراسة الذى كُلف بتأمين نسيم العتال مؤخرًا بعد الحادث، فقد اتصل شريف بنسيم العتال فدخل ليعرّف نفسه إلى الموجودين إلا أن شريف قد سبقه..

- أهلاً يا على بيه.. معلهش آسف على الإزعاج..

- ولا يهمّك يا دكتور.. خير فيه إيه؟

قالها على قبل أن يمد يده لمصافحة الضّابط المكلف بالأمر معرفًا عن نفسه:

- مقدم على السّيد من الحراسات الخاصة، رئيس موكب نسيم بيه العتال المستشار الرّئاسى، جاى بتكليف منه لمتابعة القضية؛ دكتور شريف عزيز علينا جدًا..

قالها على فبادره الضّابط الآخر مصافحًا إيّاه ومعرّفًا عن نفسه:

- رائد وائل مندور يا فندم.. ونسيم باشا يؤمر..
- طيب، ممكن تعرّفنى إيه اللى حصل؟

نظر إليه الضّابط مشيرًا إلى شريف فاستأذنا منه، أخبره الضّابط بالرّواية التى قصها عليه شريف..

وما حدث منذ أتى إلى الآن..

- تمام يا وائل باشا.. بس إيه توقعات سيادتك للحادثة؟
- بص يا فندم.. لحد دلوقتى لقينا خدوش فى الباب الخلفى، يعنى اللى دخل وخرج أكيد منه، كمان لسّه قايلين لى إن الكاميرات اللى حوالين البيت صورت دخول وخروج شخصين ملثمين فى التوقيت اللى حصلت فيه الجريمة من الباب الخلفى، وحاليًا بيكملوا تفريغ للكاميرات كلها عشان معرفة دول دخلوا وخرجوا من الكومباوند إزاى..

- طيب.. والأمن اللى هنا؟

- اللى تبين إن المسئول عن مراقبة الكاميرات كان نايم وقت الحادثة، ده حتى مفاقش إلا لمّا زميله راح يصحيه، وكلهم بنستجوبهم..

- تمام.. دكتور شريف يهم نسيم بيه العتال جدًا وهو اللى كلفنى شخصيًّا إنى آجى بعد ما دكتور شريف كلّمه..

- متقلقش سعادتك.. كل حاجة هتخلص بسرعة، لسّه مستنيين صاحب البيت ييجى ونشوف لو هو بيتهم حد ولا لأ..

- تمام.. ده رقمى يا باشا؛ لو أىّ حاجة تخصّ شريف بيه ياريت معاليك تعرفنى.

- اطمّن يا على بيه..

حاول على أن يُطمئن شريف بالقدر الكافى ولكنه كان قد فقد كامل أعصابه.. نعم، هو طبيب ويرى من الحالات ما هو أفظع لكن أن يكون الأمر لشخص يعرفه قد توفى مذبوحًا كالبعير فهذا ما لم يكن ليستسيغه بسهولة.

***

وصل كريم فى الصّباح إلى منزله وقد تجاوزت السّاعة العاشرة بقليل، لكن رجال الشرطة ما زالوا فى استجواب كل من له علاقة بالأمر.. الجثة ورجال البحث الجنائى قد غادروا المكان وكذلك رجال الطّب الشرعى.. وصل كريم وما زال مذهولاً مرهقًا من عدم النّوم والطريق والخبر المفجع الذى تلقاه، طلب فنجانًا من القهوة ليحتسيه، حاول الضّابط المكلف بالأمر أن يستجوبه ويسأله لكن لم يُبدِ كريم أىّ اتهامات لأحد بالمرة..

- طيب.. والأمن اللى هنا؟

- اللى تبين إن المسئول عن مراقبة الكاميرات كان نايم وقت الحادثة، ده حتى مفاقش إلا لمّا زميله راح يصحيه، وكلهم بنستجوبهم..

- تمام.. دكتور شريف يهم نسيم بيه العتال جدًا وهو اللى كلفنى شخصيًّا إنى آجى بعد ما دكتور شريف كلّمه..

- متقلقش سعادتك.. كل حاجة هتخلص بسرعة، لسّه مستنيين صاحب البيت ييجى ونشوف لو هو بيتهم حد ولا لأ..

- تمام.. ده رقمى يا باشا؛ لو أىّ حاجة تخصّ شريف بيه ياريت معاليك تعرفنى.

- اطمّن يا على بيه..

حاول على أن يُطمئن شريف بالقدر الكافى ولكنه كان قد فقد كامل أعصابه.. نعم، هو طبيب ويرى من الحالات ما هو أفظع لكن أن يكون الأمر لشخص يعرفه قد توفى مذبوحًا كالبعير فهذا ما لم يكن ليستسيغه بسهولة.

***

وصل كريم فى الصّباح إلى منزله وقد تجاوزت السّاعة العاشرة بقليل، لكن رجال الشرطة ما زالوا فى استجواب كل من له علاقة بالأمر.. الجثة ورجال البحث الجنائى قد غادروا المكان وكذلك رجال الطّب الشرعى.. وصل كريم وما زال مذهولاً مرهقًا من عدم النّوم والطريق والخبر المفجع الذى تلقاه، طلب فنجانًا من القهوة ليحتسيه، حاول الضّابط المكلف بالأمر أن يستجوبه ويسأله لكن لم يُبدِ كريم أىّ اتهامات لأحد بالمرة..

- حضرتك أنا قُلت لك أنا رجل أعمال باشتغل فى السّياحة، إمبارح كنت مسافر مع مجموعة من الأثريين، دكتور حسين النّاظم الأثرى الكبير ودكتورة مايا راجح أستاذة فى كلية الآثار جامعة القاهرة.. أنا مليش عداوات توصل لحد كده، فيه منافسات فى السّوق بين الشركات بنخطف أفواج من بعض ماشى لأن الوضع حاليًا سيئ فى السّياحة لكن منعملش كده.. وبعدين أنا مش عارف أتهم حد؛ أنا مش مصدق لحد دلوقتى.

- معلهش يا أستاذ كريم.. بنتقّل عليك وعارف الحالة اللى انتَ فيها بس ده عشان التحقيق، لكن صباح دى إيه اللى جابها هنا..

- أنا قلت لحضرتك صباح دى بتيجى تنضف البيت كل فترة بعد ما انفصلْت عن زوجتى ومن فترة بيتها وقع وهى استنجدت بيّا وراحت اتعالجت فى مستشفى الدّكتور شريف وبعدين قعدت هنا بتخدمنى لأنها ملهاش حد..

- طيب يا أستاذ كريم.. انتَ فيه بينك وبين صباح دى أىّ علاقة؟

- صباح دى بتخدمنى مش أكتر من كده..

- بس إحنا لقينا ملابس فى أوضتك..

- حضرتك هتلاقى كل ملابسها وحاجتها فى الأوضة اللى تحت دى إنما اللى فى أوضتى دى من ملابس طليقتى وبعدين مين إداكم الإذن تفتحوا أوضتى؟

- أستاذ كريم.. اهدى لو سمحت، البيت دلوقتى كله مسرح جريمة وإحنا بنحاول نوصل للى ارتكبها ومش البيت بس، دا الكومباوند كله بيتحقق معاه..

قالـها وائـل قبـل أن يسـتأذنهما وينصـرف مخبـرًا كـريم بأنـه سيستدعيه للتحقيق معه من جديد أو فى النّيابة، بينما شريف حاول أن يهدئ من روع كريم الذى بدا عليه الغضب مستجمعًا كل ما لديه من أفكار متخذًا قراره:

- شريف.. هُما اللى قتلوها وكانوا جايين عشان يسرقوا الحاجة اللى اديتها لك؛ هات لى الحاجة عشان محدش يضرك..
- طب اهدى دلوقتى وتعالى معايا..
- شريف.. أنا عاوزك تساعدنى عاوز خدمة منك..
- إيه؟ هتعمل إيه؟
- هاقول لك على كل حاجة..

***

قصر فريد المرشدى.. الحادية عشرة صباحًا..

بعد أن انتهى سميح من توصيل حسين وصابر إلى أقرب مكان يمكنهما منه استقلال أىّ وسيلة مواصلات تقلهما حيثما يشاءان، عـرج مباشـرة إلـى قصـر فريـد المرشـدى فوجـده بانتظاره، عند وصـوله قابلـه مباشـرة أشـفق المرشـدى على سميح الذى أُنهك للغايـة مـن عناء السّفر والطريق فأخبره أن يرتـاح أولاً وأمـر لـه بـالطعام والقـهوة حتـى ينتعـش قليلاً، بعدها أخبره سميح أولاً بالكارثة التى حلت لدى كريم فانزعج فريد المرشدى من الأمر:

- طب دول يعنى جايين يسرقوا إيه؟ دول حرامية عاديين ولا

تبع مين؟

- كريم يا باشا مبرمج دماغه إن دول تبع الأمريكان وعاوزين يسرقوا كل حاجة عن المقبرة فى البيت..

- ده وارد، بس ده هيخلى كريم يعند أكتر..

- والله يا باشا ده اللى حصل..

- طيب اطلبهولى على التليفون..

لم يتأخر سميح كثيرًا فى تلبية الطّلب، اتصل بكريم مباشرة فلم يُجيبه فأجرى فريد المرشدى بنفسه الاتصال من هاتفه الخاص، سمع الجرس على الجانب الآخر قبل أن يأتى صوت كريم مجيبًا:

- آلووو..

- ......!

- أيوه يا كريم.. قل لى إيه حكش عليّا، انتَ ل عندك بالظبط...

- ......!

- طيب أنا هكلم لك حبايبنا فى الدّاخلية يخلّصوا الموضوع بسرعة واللى عملوا كده ييجوا بسرعة..

- ......!

- يعنى إيه؟ لأ، أنا بنفسى هجيلك أطمّن عليك..

- ......!

- طيب طيب خلاص..

- ......!.

- هتروح النّيابة للتحقيق..

- ......!

- تمام أنا هبعت لك رجالة من عندى لحمايتك وأول ما تخلص

تيجى لى على طول..

- ......!

- خلاص، إنتَ أمّا تيجى أنا هبعتهم معاك..

- ......!

- استنى، هكلم فؤاد عونى المحامى بيجى معاك النّيابة أو يبعت حد من رجالته..

- ......!

- خلاص أنا هكلمه برده وإنت كمان كلمه وطمنى عليك..

- ....!

- سلام.

أغلق فريد المرشدى الخط مع كريم قبل أن ينظر بشك إلى سميح الذى بدا متلهفًا لمعرفة ماذا يحدث فى الأمر الآن..

- خير يا باشا؟

- كريم منهار ومتدمر يا سميح، وده مش حلو..

- إزاى يا باشا؟

- كريم ممكن يحاول ينتقم أو يوقف العملية كلها خصوصًا لو اتهاماته طلعت صح..

- ده ممكن يا باشا، بس فيه حاجة تانية، أو بالأدق حاجتين..

- خير يا سميح؟ قول..

- المقبرة.. أنا قلت لمعاليك عليها لكن العشر أُوض اللى فيهم المخطوطات يحيى قال لكريم مش هنفتحهم إلا أمّا نعرف مصيرهم.. يعنى دول مينفعش يتفتحوا..

- نشوف حد تانى غيرهم يفتحهم؛ مش هنقف عليه..

- معلهش يا باشا، لو معاليك شُفت المقبرة واللى حصل فيها هتعرف إن الواد ده عارف هو بيعمل إيه ومهما جبنا ناس مش هتتفتح إلا بيه، حتى لو فجّرنا الأبواب دى.. ولا معاليك نسيت ربيع؟

- يبقى الواد ده يتاخد بالسياسة..

- ما هو سياسته مع كريم وهو مش واثق إلا فيه..

- خلاص يبقى نضمن إن كريم معانا.. إيه تانى؟

- حسين بيقول لى إن مش هو اللى جاب الأمريكان، وإن معاليك اللى جايبهم، همّا قالوا له كده.

- يعنى إيه مش حسين اللى جايبهم أمّال مين اللى جابهم؟ ده دكتور سميث قايل لى إن حسين اللى مكلمه..

- معرفش يا باشا.. أنا من ساعتها ودماغى بتلف؛ الليلة كلها مفاجآت.. بس أحلى مفاجأة إن المقبرة دى هتبقى خبطة العمر يا باشا..

- سيبك من المقبرة، لازم نعرف مين اللى جاب النّاس دول.. اطلب لى حسين حالاً..

***

ظل سميث وبرادلى برفقة حازم فى انتظار سيدتهم التى دلفت إلى داخل الفيلا مسرعة غاضبة قبل أن تصفع حازم بشدة على وجهه، ثم اعتذرت لهم جميعًا عن ذلك، بينما حازم يريد قتلها رغم حبه لها لكن دكتور سميث أشار له بالهدوء..

- تلك الصّفعة هى درس لك حتى تختار رجالك بشكل جيد فى

المرة القادمة..

- لكن أنتِ من أخبرتِنى أن البيت خالٍ..

- أخبرتك أنه وزوجته منفصلان لكن لا أعلم بأمر الخادمة، لقد أفسدت الأمر أكثر مما هو بسبب تلك الفعلة الحمقاء..

- حسنًا، لتتوقفا عن الشّجار مثل الصّبية هكذا.. فى المقابل نحن لدينا أخبار جيدة وتلك الجريمة ستعطلهم بعض الشىء..

- هل حددتم مكان المقبرة؟

- نعم، حددها حازم بالأمس بنجاح، واليوم سنذهب جميعًا للدخول لها.. أعدّى نفسك فستكون ليلة شاقة على الجميع..

- الليلة؟

- نعم، يجب أن نسبقهم، فالمرشدى لم يتصل بنا ليخبرنا بأىّ شىء فهو بكل تأكيد يسعى لاحتواء كريم وتلك ستكون فرصتنا..

- ليكن هذا، لكن على حازم أن يختار رجالاً جيدين هذه الليلة حتى لا يفسدوا الأمر مجددًا..

***

توجّه شريف بعد أن أنهى حديثه مع كريم إلى فيلا نسيم العتال مباشرة، فهو يريد منه العون لإنهاء قضية صباح، وأيضًا يريد أن يطمئن عليه، فقد وعده مُسبقًا بأنه سيأتى إليه.. وجد العتال فى انتظاره جالسًا على تلك الأريكة الموجودة فى المدخل فسارع شريف يهلل له محيّيًا إيّاه..

- لا يا باشا، أنا كده خلاص مطمّن على معاليك ومعدتش جاى..

- وهو أنت بتيجى عشان انتَ دكتور بس ولا إيه؛ إحنا خلاص بقينا أصدقاء.

- وده شرف ليّا يا نسيم باشا.. حمد الله على سلامة معاليك وآسف على إزعاج سيادتك بالليل..

- إنــتَ متعـرفش مَعزّتـك عنـدى، وبعـدين المقـدم علـى كـلّمنى وطمّنى وهو بيتابع التحقيقات..

- إحنا شاكرين أفضال معاليك، بس خلينى الأول كده أطمن على صحتك..

- ماشى يا سيدى..

قـدمت زوجـة نسيم العتـال لشريف آخـر التقـارير الطّبيـة التى يـدونها الفـريق الطّبـى المسئول عـن علاجـه، نظـر فيـها شريف بإمعان مبتسماً للأمر قبل أن يعاود الحديث مجددًا:

- تمام يا باشا، زى الفل، بس هنطلب الحركة تبقى مرة فى اليوم مش أكتر..

- أهو قَلَب دكتور فى ثانية..

- يا نسيم باشا.. أنا دكتور ابن دكتور فلازم الطّب ينقح عليّا..

- وأنا سعيد جدًا بمعرفتك يا دكتور شريف..

- طيب، حيث كده بقى أنا كنت عاوز من معاليك خدمة..

- أنت تؤمرنى.. خير؟

- هى بخصوص جريمة القتل اللى حصلت.. بس الكلام يعنى...

تفهمت زوجة نسيم العتال أن شريف يريد أن يتبادل الحديث مع زوجـها دون أن يسـتمع إليـهما أحـد فاسـتأذنتهما تاركـة المكان

لكليهما فقط...

- تقدر تتكلم يا دكتور شريف..

- هو الموضوع معقد شوية، وأتمنى سيادتك تفيدنى وتساعدنى على حله..

***

قضى كريم يومًا طويلاً فى التحقيق بين استجوابات فى بيته وبين الشرطة وسريعًا طلب للنيابة بعد تدخل نسيم العتال ليجعل الأمور أكثر سرعة، أُنهك تمامًا وهو إلى الآن لم يتذوق طعم النّوم لدرجة أنه استدعى أحد السّائقين من الشركة ليقود سيارته فمعنوياته الآن محطمة وهو مرهق للغاية فلا يعلم حتى كم تذوق من المنبهات سواء من الشّاى أو القهوة أو أى نوع ينتمى إلى عائلة الكافيين..

استلقى كريم فى الكرسى الخلفى لسيارته، فتح هاتفه المغلق بعد أن وضعه على شاحن السّيارة قليلاً فقد نفدت منه طاقته كما نفدت من صاحبه كل قواه، نظر فيه ثوانى معدودة قبل أن تأتيه العديد من الرّسائل تخبره بالمتصلين به.. حمد اللّه أن هاتفه قد أُغلق.. وجد نور قد هاتفته فقرر أن تكون أول من يعاود الاتصال بها مجددًا، لم ينتظر كثيرًا فأجابته بلهفة وقلق يظهر كم حبها الشّديد له رغم انفصالهما:

- آلووو..

- آلوو.. إزيك يا كريم، انتَ فين، أنا قلقانة عليك قوى، إيه اللى حصل؟

- مفيش، حراميّة دخلوا البيت وقتلوا صباح الشّغالة..

- البقاء لله.. نيفين قالت لى، المهم انتَ بخير؛ أنا ومريم قلقانين عليك قوى..

- أخبار مريم إيه؟ واحشانى..

- هى بخير بس نامت.. انتَ فين دلوقتى؟

- أنا لسّه خارج من النّيابة، عندى كام مشوار وهروح أنام. ممكن تلاقينى بايت عند شريف لأن البيت الشرطة معسكرة فيه بيقولوا إنه مسرح جريمة.

- ده بسبب الشّغل إيّاه يا كريم؟

- تتجوزينى؟ ....!

- آلوووو.. رُحتى فين؟

- أنا.. أنا.. أنا هنا أهوه..

- طب تتجوزينى؟

- إنتَ بتقول إيه؟

- باقول لك تجوزينى تانى؟

- إنتَ بتتكلم بجد؟

- هو الجواز فيه هزار؟

- والمشاكل اللى بينّا واللى كانت قبل كده؟

- إدينى أسبوع واحد وأنا هحل كل حاجة.. تتجوزينى؟

- كريم.. إنتَ عارف أنا بحبك أد إيه بس مش عاوزة مريم تتربى وسط مشاكل بينّا.

- لو حصل مشاكل تانى اقتلينى.. تتجوزينى؟

- آه يا مجنون، أتجوزك بس أمّا تعقل.

***

وصل كريم إلى قصر المرشدى بينما سائقه مبهور بما يراه حوله فهذا يفوق تخيلاته.. دلف كريم إلى حيث ينتظره المرشدى وبرفقته سميح وحسين، وجدوا كريم فى حالة يُرثى لها، كل منهم قد أخذ قسطًا من الرّاحة أما كريم فلم يَذُق طعمه.. وقف المرشدى مستقبلاً إيّاه ليشد من أزره على ما حدث، لم يتحدث كريم إلا بكلمات بسيطة، نظر إليهم جميعًا وجلس فى إرهاق شديد..

- والجثة دفنتوها ولا لسّه؟
- هنستلمها بكره من المشرحة..
- البقاء لله يا كريم.. شد حيلك..

لم يكن أحدهم يعرف ما يشعر به كريم.. لم يتوقف عقله عن العمل، دبّر وخطط وعرف ماذا سيفعل، حزم أمره ولن ينتظر أىّ خطوات أخرى فلا يعلم إن كان قد اتخذ أفضل القرارات فى ظل تلك الصّدمة أم أنه من دون استئذان منه قد خطط لنهايته هو شخصّيًا..

- كريم.. أنا عارف إنك فيك الكتير، بس فيه مشكلة تانية ظهرت قُدّامنا..
- خير يا باشا؟
- حسين بيقول إن مش هو اللى جاب الأمريكان وعشان كده أنا

أجّلت القعدة معاهم لبكره..

- يعنى إيه حسين مش هو اللى جايبهم؟ أمّال جايين عن طريق مين؟

- ماعرفش، أنا الدكتور برادلى كلمنى فى الأول وسألنى عن المقبرة وشرح لى كل اللى فيها وفكرت إن فريد باشا هو اللى جايبهم، وأنا كمّلت معاه بعد ما وعدونى بإنى أكون فى الفريق البحثى..

- أما أنا فإن دكتور سميث هو اللى كلمنى وقال لى إنهم عرفوا بالمقبرة وإن حسين هو اللى قال لهم، فقلت عادى ممكن يكون حسين بيحاول يكسب بُنط ومش غريبة؛ حسين يا ما جاب لينا مشترين..

- أمّال مين اللى جابهم؟ ما هو مستحيل يكون أنا أو سميح اللى جبناهم، مفيش حد تانى يعرف بالمقبرة أصلاً..

- لأ، فيه يا كريم.. مايا..

- بس مايا أكتر حد ضد الشّغلانة ومايا اتفاجأت لما عرفت إن دكتور برادلى است...

عاد عقل كريم للعمل مسرعًا ليجمع كل الأفكار.. مايا هى الفرد الوحيد الذى أخبره بالأمر، هى من أخبرت حسين بالمقبرة وأدخلته اللعبة رغم تحذيراته العديدة لها بألا تُحدث أىّ أحد.. دكتور برادلى هو أستاذها فى أمريكا وتعرفه جيدًا، هل يكون قد خُدع لتلك الدّرجة؟ هل مايا هى التى أتت بهم إلى هنا؟

***

المقبرة.. الحاديةَ عشرةَ ليلاً..

أخذ رجال عمران مكانهم حول النّار يتناوبون على حراسة المقبرة بينما أحدهم قد أنهى جولته مخبرًا إيّاهم أن المكان آمن كالعادة، فمن يجرؤ على أن يقترب من منطقة معروف أنها تابعة لعمران، بينما ظلمة الليلة قد ظللت هؤلاء الرّجال المتشحين بالسواد وهم يراقبون رجال عمران، فهم يفوقونهم عددًا، اقتربوا بما فيه الكفاية منهم، ألقى حدهم قنبلة من الدّخان أعمت رجال عمران وعزلتهم عن العالم من حولهم، بدأوا في السّعال مختنقين مما هم فيه، لم يكادوا يفهمون ما يحدث إلا وهم يجدون رجالاً سودًا لا يظهر منهم إلا أعين صارمة وفوهات الأسلحة موجهة إلى رؤوسهم، حاول أحد رجال عمران أن يصرخ بهم إلا أن ضربة قوية على رأسه أسقطته أرضًا بينما ظهر رجل يبدو أنه قائدهم تحدث لهم:

- كل واحد يقعد ساكت ومش هيحصل له حاجة.. إحنا هندخل جُوّه وهنخرج على طول، هنبص بصّة سريعة مش أكتر على المكان..

قالها الرّجل بمنتهى الجد فانصاع رجال عمران على مضض، فهناك رجال غُرباء يبدو أنهم ليسوا من هنا يهددونهم بالسلاح، نزعوا منهم أسلحتهم وقاموا بربطهم كالبعير مهددين إيّاهم، بينما قائدهم أخرج جهازًا ليتحدث فيه بلغة بدت لهم إنجليزية قبل أن يجدوا ثلاثة يقتربون منهم ومعهم رجلان خلفهم يحملان الحقائب، لم يعرفوا الأشخاص الثّلاثة لكنهم ميّزوا بينهم امرأة لم تكن غريبة عنهم فقد أتت إلى هنا بالأمس وتحدثوا عنها طيلة الليلة متأملين في جمالها يقارنونها بنسائهم.. إنها مايا..

نعم، إنها مايا، تلميذة الدّكتور برادلى النّجيبة، درست كثيرًا عن الماسونية ودرست عن الحضارات القديمة والعلوم الفلسفية والفكرية، وصلت لمرحلة البين بين إمّا أن تلحد وإما أن تكون شديدة الإيمان والتقرب من خالق الكون الأعظم أو أن تكون من الدّراويش، ظلت بين الأولى والثّانية، لاحظها الدّكتور برادلى فشرح لها الكثير، ولم يكن الأمر صعبًا دخلت إلى المحفل الماسونى، فرأت فيه العلم والنّور وأناسًا لا يبغون إلا البحث عن العلم.. زياراتها المتعددة إلى أمريكا رفقة دكتور برادلى جعلتها تدرس فى التاريخ وتنهل من الأسرار الماسونية، فقد رآها الدّكتور برادلى إضافة قوية لنبوغها وعقلها الرّاجح، كُلفت بمهمة واحدة: أن تبحث عن غرف السّجلات.. حللت الكثير من المخطوطات والعديد من الآثار، لم تترك مكانًا أثريًّا إلا زارته باحثةً عن مبتغاها، لم تيأس أبدًا..

نعم، أصابها بعض الإحباط لكن الدّكتور برادلى كان دائمًا يدفعها للأمام، فجأة وجدت كريم أمامها، رجل قد أقسمت سابقًا على أن تدمّر حياته لكنها وجدت معه كنزًا وخبرًا سارًّا لها، القدر أرسل إليها ما تبحث عنه، بوّابة إلى إحدى غرف السّجلات، أخبرت أساتذتها، رسموا الخطة جيدًا ونفذوها بكل دقة، أما حازم فتعرفت عليه فى أمريكا، أحبته حبًا من نوع آخر، اتفقا على أن يبقى لبعضهم البعض لكن كان أمامهم مشكلة زوجها.. دبّر حازم حادثة موته ليفارق الدّنيا، قررا الزّواج بعد المقبرة مباشرة، بل إنهما بعدها سيغادران البلاد.

دخل حازم ومايا والدكتور برادلى والدكتور سميث وعدد من

الرّجـال إلـى داخـل المقبـرة.. لـم يصـدق الأثريـان الشّهـيران مـا وصفته لهم مايا إلا عندما دخلا المقبرة، انبهرا بكل شىء، قاما بطقـوس عجيبـة وكأنـهما يقدمان التحيّة والإجلال لأساتذتهما الأوائل، تأكدا من كل شىء، المقبرة تساوى الكثير، قرروا فتح أحـد الأبـواب فـانبرى أحـد الرّجـال ضـاربًا بكل قوتـه ولم يشعر بنفسه إلا وهو يُقذَف لمكان بعيد يرتطم بالجدار خلفه، سقط على الأرض مغشيًّا عليه فى الحال؛ هلع الجميع، أشار الدّكتور سميث بـالرّحيل مكتفين بما حـدث، خصـوصًا مع بـدء تغير الإضاءة، فسارعوا للخارج بينما حمل أحد الرّجال الرّجل المصاب ليغادروا سريعًا، ليس المقبرة فحسب بل البلدة كلها..

***

علا صوت هاتف كريم وهو يجلس رفقة المرشدى، فسارع لمعرفة المتصل، لم يكن إلا يحيى، فانبهر كريم بالأمر وأخبرهم فأشار له المرشدى أن يرد عليه سريعًا:

- آلووو.. أيوه يا يحيى..
- فيه خيانة يا أستاذ كريم.. فيه خيانة..
- خيانة إيه؟
- السّت اللى جت معاك إمبارح جت وجابت رجالة غُرب وراحوا المجبرة وحاولوا يفتحوا الأبواب..
- ورجالة عمران فين؟
- كـانوا كتـير، أنـا لـسّه فـى الطّريـج للمجبرة وكلمت عم الحـج عمران يلحجنى، هو لسّه ميعرفش اللى حصل..

- طب وإنت عرفت إزاى؟

- الحراس خبروني يا أستاذ كريم.

- اهدى يا يحيى.. إنتَ عرفت اللى حصل لى، أنا هشوف إيه اللى أقدر أعمله وهاعمله على طول..

- أنا عارف إنتَ عملت إيه، كلّه وصلنى، أول ما تخرج من عنديك كلمنى، اللى انتَ عملته زين وأنى موافج عليه..

- ماشى يا يحيى.. هكلمك تانى، سلام دلوقتى.

أنهى كريم المكالمة ليجد الجميع ينظرون إليه فى لهفة لمعرفة ما حدث فقد توالت الأخبار سريعًا فى السّاعات القليلة الماضية..

- يحيى بيقول لى إن مايا كانت فى المقبرة ومعاها ناس أغراب وحاولوا يفتحوا الأبواب بس الجن الحارس اتصدى ليهم..

- ورجالة عمران فين؟

- معرفش يا باشا، هو لسّه رايح المقبرة وعمران كمان..

- كده اللعب بقى على المكشوف وأنا ميتعملش معايا كده..

سريعًا أجرى فريد المرشدى اتصالاً بعمران الذى أجابه مرتبكًا وخائفًا، عنفه المرشدى كثيرًا على ما حدث مخبرًا إيّاه أنه سيبعث له بعدد من رجاله ليقوموا بتأمين المقبرة وسيكون معهم سميح الذى لم يستطع الاعتراض..

لم تدُم الجلسة طويلاً.. بعد ذلك ذهب سميح رفقة رجال المرشدى فى الحال إلى بلدة عمران بينما المرشدى طلب من حسين أن يخبر السّادة المشترين أن موعد لقائهم سيكون فى مساء الغد، بينما طلب من كريم أن يذهب ليرتاح ويأتى مساءً

فى الموعد الذى طلب من حسين تحديده.

***

فور أن خرج كريم من قصر المرشدى واستقل سيارته عاود مجددًا الاتصال بيحيى:

- آلووو..
- آلوو.. أيوه يا أستاذ كريم.. كيف حالك، البجاء لله معرفتش أجولها لك إمبارح..
- البقاء لله يا يحيى.. إنتَ بتقول لى إنت عرفت أنا عملت إيه ليه وعرفت إزاى؟
- يا أستاذ كريم.. إنتَ ناسى إنى جايل لك إنك عليك حراس..
- تانى!! هما مسابونيش؟
- دول بيحموك، بيحموا كل واحد اتّاخد عليه العهد، وهمّا اللى خبروني..
- طب ولمّا همّا بيحمونى محموش صباح ليه؟
- أديك جُلت أها، بيحموك مش بيحموا صباح، هما مرافجين ليك، معاك انتَ وبس..
- طيب يا يحيى.. أنا كنت هاكلمك وأقول لك إنتَ وعتمان وصابر على اللى أنا عملته..
- إحنا عارفين نواياك، وأنا اتصلت بعم عتمان وعم صابر بالتليفون وأجول لك بجى هنعملو إيه.
- طيب قول إنا معاك أهوه..
- بص يا سيدى .....

***

أمام مشرحة زينهم ظل العديد من الأهالى ينتظرون ذويهم فمنهم من أتى فى حادث مرورى، وآخر فى انهيار عقار، وثالث فى انفجار، بينما تلك المجموعة الصّغيرة وقفت فى انتظار صباح، فهم مؤلفون من كريم وشريف وزوجته نيفين ونور برفقة كريم تربت على يده، لم يزد عددهم عن ذلك، فصباح معدومة الأهل فى هذه الدّنيا، حملوا جثتها فى عربة الموتى، صلّوا عليها صلاة الظّهر فى أحد مساجد القاهرة حيث شُيّعت منه عدة جنازات، فتاهت صباح بين زحام التّعوش وكأن كل هؤلاء قد أتوا لتشييعها بعد أن خرجوا من المسجد، انفض كل جماعة خلف فقيدهم بينما صباح ذهبت فى تلك السّيارة التى تحملها تتبعها سيارتان إحداهما تُقِل شريف ونيفين والأخرى تُقِل كريم ونور..

عاد كريم وشريف مرة أخرى إلى تلك المقابر التى استقبلت منذ أيام قليلة عائلة صباح لكنهم هذه المرة يودعونها بين الثري حزنًا من أجلها لكنها فرحة بلقاء أبنائها عائدة إلى عائلتها من جديد..

حاول كريم أن يتماسك بينما نيفين أخذت تبكى بعدما تذكرت مشهدها مذبوحة أمامها، أخذ اللحّاد يواريها فى مثواها الأخير وشيخ يجلس أعلى قبرها يدعو إليها وهم من خلفه يؤمِّنون لعلَّ الله يغفر لها ما اقترفته من ذنوب..

***

وصل سميح وبرفقته رجال فريد المرشدى إلى المقبرة فعمران ما يزال هناك برفقة رجاله، حاول أن يفهم ما حدث فجرى لقاء

متوتر بينه وبين سميح بينما سارع رجال المرشدى لتأمين المكان وعاونـهم رجـال عمـران، جعلـوا المكـان وكأنـه دشـمة عسـكرية ينتشرون فى عدة أماكن ونقاط مختلفة..

- خلاص يا سميح.. المجبرة لسّه بخير ومخدوش منها خربوش صغير حتى..

- هو الموضوع أخدوا ولا لأ، إحنا كده بقينا لعبة فى إيديهم، ودى مش أول غلطة خد بالك الغلطات كترت..

- انتَ بتهددنى ولا إيه يا سميح؟

- لا أنا مباهددش، أنا باعرّفك عشان لما الباشا يغضب عليك متجيش تقول إنى معرّفتكش..

- هو الباشا حزين؟

- الباشـا لـو فاضـى كـان جـه بنفسـه. وانـت يـا يحيـى.. إيـه اللـى حصل؟

- أستاذ سميح.. إحنا كلنا اتضحك علينا. السّت اللى جت من طرفكو هيّا اللى جابتهم إهنه..

- طب هى جابتهم إزاى؟ دا إحنا أخدنا التليفونات وكل حاجة وتوهناهم.. عرفوا المكان إزاى؟

- مخابرش.. ده شغلكو انتو.

- مش انتَ حارس المقبرة يابنى وبتاع جان وعامل لى البحر طحينة؟!

خرجت نبرة سميح حادة تلك المرة فهو يعى خطورة ما حدث ويخشى أن يضيع كل شىء سُدى.

- أنا مجدّر اللى انتَ فيه، بس أنى فتحت المجبرة ليكو والكتابات مش هتبان إلا لمّا نعرفو مصيرها، والنّاس دول خطرين. اسمعنى يا أستاذ سميح.. اللى جايّة دى حرب يا تكونوا قَدَّها يا إمّا تخرَّجوا الأثارات وتجفلوا المجبرة ويا دار ما دخلك شر..

- ما تهدى بجى يا سميح.. إحنا من إمبارح منمناش.

- أنا من ساعة ما كنت عندك منمتش يا عمران، وبعدين ده شغلك وانتَ قصّرت فيه..

***

قصر فريد المرشدى.. العاشرة مساءً..

الوضع أشبه بساحة حرب، كل الخطط قد تغيرت.. سلاحك السّرى أصبح سلاح عدوك الأوّل، بل إن عدوك باغتك بهجمة غير متوقعه دك بها كل دفاعاتك وعاد أدراجه مجددًا دون أن يحدث له شىء..

مايا قد وصلت لكن تلك المرة مع أستاذَيها برادلى وسميث وبرفقتهم حازم، كذلك وصل حسين بينما سميح لن يأتى لأنه الآن يعسكر بقيادة الجيش فى حصن المقبرة، وكريم قد تأخر؛ اتصل به المرشدى فأخبره أنه فى النّيابة للتحقيق فى مقتل صباح مجددًا وأنه فى الطّريق إليه.. انتظر المرشدى ولم يدخل تلك الجلسة إلا برفقة كريم..

- نعتذر للتأخير أيها السّادة.. فلدى كريم عدد من الأعمال أنجزها قبل قدومه.

- لا تعتذر سيد فريد، فنحن نعرف ما ألمّ به ونريد أن نقدم له تعازينا..

- لا دكتور سميث.. فأنا لا أتلقّى العزاء إلا بعد الثّأر..

- وهل تعرف من فعل هذا الأمر لكى تنتقم منه يا عزيزى؟

- حسنًا دكتور سميث، ما أخبار رجلكم الذى أصيب بالأمس فى المقبرة.. أهو بخير؟ إن رأيته يهذى قليلاً فلا تقلق فتلك تسمى "لعنة الفراعنة"..

- دعونا نَعُدْ للعمل يا سادة، فهذا هو الأفضل.. أعتقد دكتور سميث أن زيارة كريم والدكتور حسين ومايا قد أثبتت قيمة المقبرة وكذلك زيارتكم غير المرحب بها..

- عزيزى فريد.. لا تأخذ الأمر بشكل شخصى، لكن العمل هو العمل، ونحن فقط ذهبنا من أجل الزّيارة..

- وأعتقد أنك تأكدت من صدق ما نقول..

- بكل تأكيد، والآن علينا أن نتفق..

- حسنًا دكتور سميث.. ولكن...

- معذرة سيد فريد.. اسمح لى أن أضع أنا قواعد الاتفاق، فالأمر لم يَعُد بيد أىّ منا جميعًا.. وأعتقد أنكم رأيتم قوة المقبرة بالأمس..

- أريد أن أسمع منك يا كريم، فلتسمح له يا سيد فريد..

- بكل تأكيد دكتور سميث، فكريم هو بمثابة ولدى..

- شرف كبير لى سيد فريد.

اسمعنى دكتور سميث.. ستأخذ المقبرة وما فيها بالمقابل الذى

نطلبه منك دون أى مناقشة، وحارس المقبرة هو الآخر يريد نصيبًا خاصًّا به منك أنتَ مباشرةً بخلاف ما سنتقاضاه نحن.. سنعطيك كل شىء حتى المخطوطات فسنعطيها لك أيضًا، لكن بشروطنا، أولاً ستدفع ثمنها، ثانيًا ستأتون كفريق بحثى، الدّكتور حسين يمكنه أن يرتب لكم الأمر كى توهموا الجميع بفتحكم للمقبرة و تُخرجوا المخطوطات.

- لكن أنت تعلم أننا نريد المخطوطات لأنفسنا..
- أعلم ذلك؛ لذا ستأخذها لنفسك وتنشرها للجميع وما تراه أكثر إفادة يمكنك الاحتفاظ به..
- موافق.. ما هو المبلغ المطلوب؟

أخرج كريم ملفًّا ورقيًّا من حقيبته، ناول لكل منهم نسخة منه، فيها ما فى المقبرة والأسعار والتى تعتبر خرافية ومبالغًا فيها بحد كبير.

لم يتوقع فريد المرشدى تلك الأرقام فهو لم يكن يطمع بذلك أبدًا، فبادرت مايا لتكون أول من يتحدث حول تلك الأسعار:

- أنا شاهدت المكان والمبالغ المطلوبة هى أضعاف قيمة ما فيه..
- عندما يتحدث السّادة فعلى العبَيْد أن يصمتوا...

خرجت تلك الكلمات من كريم فأحرقت مايا مما دفع حازم للرد بدلاً منها:

- كيف تتحدث معها هكذا؟
- ما رأيك دكتور سميث أنت ودكتور برادلى؟
- أعترف أن الأموال كثيرة ولكن يبدو أنك مصر على ذلك..
- أخبرتك من البداية أنه لا نقاش فى هذا الأمر..
- سيد فريد.. ما رأيك؟
- بالتأكيد أنا أوافق كريم فقد تشاورنا فى الأمر من قبل، أنتم كسرتم الحواجز وعليكم أن تقبلوا بالشروط..

لم يكن المرشدى قد تحدث مع كريم قط لكنه بائع ماهر أراد أن يروّج بضاعته بأعلى سعر ممكن واستغل الموقف أفضل استغلال مما دفع كريم للارتياح لتصديق المرشدى على كلامه..

- حسنًا يبدو أننا مضطرون لذلك، لكن سنقسّط المبلغ..
- هذا يعود للسيد فريد. لكن ما أريده المبلغ الذى طلبه الحارس..
- بكل تأكيد يمكننى أن أعطيك شيكًا به..
- لا، هو يريد أن يتسلّمه فى المقبرة وهو يسلّمكم إيّاها؛ فهو يريد الجميع فيها..
- ومتى يمكننا الذهاب؟
- يمكنكم غدًا إن أعددتم أموالكم..
- حسنًا فليكن، بعد غدٍ نُعد الأموال ونذهب إلى هناك..
- سيد فريد.. ما رأيك؟ فأنت أستاذى..
- مسألة تقسيط المبلغ ليست مشكلة، شيكات مستحقة الدّفع أتسلّمها قبل الذهاب للمقبرة..
- حسنًا سيد فريد.. غدًا يأتيك حازم بتلك الشّيكات..
- إذن، يبدو أننا جميعًا متفقون؛ لذا أيّها السّادة لدى كل منكم

نسخة من الأوراق فى أسفلها يوجد خانة للتوقيع سنوقع جميعًا عليها وكل فرد يحتفظ بالنسخة التى لديه فى حال إذا خان أحدنا الاتفاق..

- عن أى توقيع تتحدث؟

- ليس هذا فحسب..

قال كريم كلمته تلك ثم أخرج ورقة أخيرة من حافظة أوراقه قد امتلأت بالرّسومات والكلمات والأرقام باللون الأحمر المعهود لطلاسم السّحر والجان..

- هذا عهد لنا جميعًا مع خُدّام المقبرة، سنوقع عليه بالدّماء قطرة دم من كل منا عن طريقها يمكنهم اقتفاء أثر كل واحد منا فى أىّ مكان.. هل من أىّ اعتراض؟

- كل هذا كثير سيد كريم.. لكن سأثبت لك حسن نيتى وأنى أريد المقبرة بأى شكل ممكن وسأوقع أيًّا كان الأمر.

قالها الدّكتور سميث ثم بدأ بالتوقيع على نسخته وكذلك فعل الدّكتور برادلى بعدها تبادل كل منهم نسخته وعلى الفور وقّع كريم على نسخته ثم بدأ ينظر الجميع كل منهم إلى الآخر إلى أن قاموا جميعًا بالتوقيع على كل الأوراق... ورغم امتعاض المرشدى فإنه وقّع فى النّهاية، بعدها وقعوا بالدّماء على وثيقتهم تلك مع خدّام المقبرة..

بدأ الحديث فى التفاصيل حول طريقة السّداد وطريقة الإتيان بلجنة من أجل الكشف العلمى، وأخبرهم حسين أنه سيبدأ فى الأمر من الصّباح وسيسعى للإسراع فيه.. جلس كريم برفقتهم ثم

نهض ليقف بعيدًا عنهم بعض الشيء فتبعته مايا التى وقفت بجواره لفترة من الصّمت يراقبهما حازم قبل أن تتحدث هى إليه:

- إنتَ سبتنى ليه؟

- تعرفى.. فيه واحد صاحبى بتاع جن قال لى مرّة إن فيه جنيّة بتحبنى وعاشقانى وهى اللى بعدتنى عنك.. وقال لى كمان إنها بتبعد عنى شر كتير؟!! عمرى ما اقتنعت بده بس أول مرّة أعرف إن أنا عندى قِصَر نظر وهى عندها بُعد نظر..

***

قضى كريم يومه برفقة نور وابنته مريم، كما أنّه طلب من شريف ونيفين أن يرافقاهم فى يوم عائلى بامتياز، أما الخبر الذى أخبره كريم ونور لشريف ونيفين فكان سعيدًا لهما وهو بعودتهما لبعضهما البعض لا يعلمان متى ولكنهما اتخذا القرار وقد اشتركا فى قرار آخر أن تكون الفترة المقبلة بمثابة الخطوبة مجددًا..

ذهبوا إلى العين السّخنة التى هى أقرب مكان يمكنهم الخروج فيه للاستجمام.. يوم جميل ورائع قضاه الجميع، ذهبت نور ونيفين برفقة الأطفال فى جولة نسائية بينما ظل كريم وشريف معًا أمام البحر يتحدثان..

- مبروك يا كريم..

- الله يبارك فيك يا شريف.. أدينى يا عم ريحتك أهوه..

- لأ، مريحتنيش..

- ليه؟ ما هنرجع أنا ونور لبعض وهسايب الشّغل التانى بعد العملية اللى أنا فيها دى..

- مانكرش إن أنا نفسى فى ده، بس لو كل قراراتك مجرد رد فعل على موت صباح فده برده غلط لازم تكون مقتنع من جواك بالأمر..

- عندك حق يا شريف، بس لو تفتكر أنا قُلت لك إنى هسيب الشّغل بعد العملية دى..

- عارف، وده قرار كويس جدًا لكن لو هترجع لنور من تانى فى خطوة سريعة وترجع تظلمها بعد كده فبلاش؛ لأن نور بتحبك، بس لو جرحتها تانى هيبقى صعب جدًا..

- ما هو علشان كده قررنا ناخد كل حاجة تدريجى زى الخطوبة لكن اتفقنا على مبدأ القرار..

- ده كويس، بس ياريت وقت ما تاخد القرار تكون دارسه كويس ومتظلمهاش تانى..

- أكيد يا شريف.. أنا نفسى مش حِمل صدَمات تانى..

- كل ده بسبب مايا والصّدمة اللى أخدتها فيها؟! طب قل لى هتعمل إيه؟

- بكره كل حاجة هتخلص بإذن اللّه.. وانتَ كفاية عليك اللى عملته معايا..

- ربنا معاك يا كريم..

***

المقبرة.. الحادية عشرة ليلاً..

باستثناء فريد المرشدى، كان الجميع فى قلب المقبرة: كريم،

يحيى، سميح، عمران، حسين، مايا، حازم، سميث، برادلى.. فى البداية تجول سميث وبرادلى مجددًا لمشاهدة المقبرة بشغف أكبر فلم يسعفهم الوقت فى المرة الماضية بينما الآن أمامهم القليل قبل أن يدركوا هدفهم.. كل منهم انشغل فى عالمه:

عمران يطمئن على ماله من قِبَل سميح، مايا وحازم وبرادلى وسميث وحسين ما زالوا يتجولون فى المقبرة، كريم ويحيى يتحاوران معًا... قبل أن يقطع كريم عليهم ما يفعلونه:

- أرى أن ندخل فى العمل مباشرة دكتور سميث.. هذا هو يحيى حارس هذه المقبرة لكنه لا يجيد الإنجليزية لذا طلب منى أن أسألك عن ماله..
- حسنًا يا عزيزى.. لتخبره أن الأموال موجودة فى تلك الحقيبة التى يحملها حازم، لكن نريد أن نعرف أكثر عما فى داخل المقبرة..

تشاور كريم ويحيى قليلاً قبل أن يتحدث كريم من جديد إلى السّيد سميث لينقل له ما يخبره به يحيى تباعًا وكأنه يعمل كمترجم فى لقاء مهم ينقله التلفاز للمشاهدين فى كل بقاع الأرض:

- يخبرك أن هذه المقبرة مثلها مثل غيرها من المقابر التى تم بناؤها من أجل حفظ أسرار كهنة المعبد المصرى، هذه هى غرفة السّجلات التى افترضتم وجودها، وقد خُزِّن فيها نسخ من كل ما يخص التاريخ المصرى القديم، ليس هذا فحسب بل إن بها نُسخًا

أخرى من الحضارات التى شهدتها البلاد الأخرى التى علم عنها المصريون القدماء، تلك الجماعة عملت برعاية المعبد، كانت تجمع كل شىء، بحثوا عن: العلم، الحضارة، التاريخ، المستقبل، السّحر، الجان، الفسوق، والفساد، بحثوا عن الحكم والسلطة والسيطرة، كل الطّرق التى تؤدى إلى قوة المعبد وإلى رفعة مكانته وعلو شأنه.. تنظيم من بين الأكثر سرية فى التاريخ لولا حظنا ولولا وجود يحيى لما كشفنا عنه، فيحيى هو الحارس من بين بنى البشر ليس الحارس الأول فالحراس من قبله كثيرون لكن يحيى هو الحارس المختار الذى أُذن له بفتح هذه الغرف دون غيرها في هذه المقبرة، هناك أيضًا حراس مثله لغرف أخرى، وتلك الغرفة فُتحت من أجل شىء واحد: تنوير بنى الإنسان..

- معذرة سيد كريم.. أيعنى بكلامه هذا أن هناك غرفًا أخرى غير تلك المقبرة التى نحن فيها.

- نعم، هو يقول هذا ويعرف سؤالك القادم فهو غير مسموح له بالحديث عنها.. ما يهمه فقط أن تصل تلك العلوم لمن يستحق.. وهو لا يراكم كذلك، لكنه يرى أنكم قد تكونون أداة فى إخراجها وإبرازها للجميع، فمجرد وجودكم بحد ذاته يعطى قيمة للمكان لدى الدارسين والرّاغبين فى معرفة ما حدث هنا وما سيحدث إن عرف العالم أجمع عن هذه الأسرار..

- أُقَدِّر له كل هذا، لكن ليخبرنا عن هذه المقبرة لماذا أُغلقت ومتى وكيف..

- لقد بُنيت هذه الغرفة مع غيرها فى عهد الأسرات الأوائل، فقد عملت تلك المجموعة بشكل سرى وساهمت فى الوصول إلى قمة الرّقى للدّولة المصرية، أيضًا نشط دورهم فى الحروب بتسخير العلوم لخدمة البلاد فكُلفوا بجمع المعلومات عن العدو فعملهم

السّرى لسنوات عدة أكسبهم مهارات عديدة حتى عندما انتهت الحضارة الفرعونية ظلت تلك الغرف تعمل بشكل منفرد من أجل جمع البيانات والعلوم، والتحديث والتصويب ظل هو عملهم، حذف ما هو مدلّس من التاريخ وكتابة الصّحيح، ظلوا لعصور وعصور إلى أن أتى عهد التوحيد مع دخول المسيحية فى مصر أصبح من يعملون هنا من الأقباط، تغيرت عقيدتهم وتغير عملهم فأصبحوا يجمعون العلوم من أجل محاربة الفسوق، رأوا أنه ما دمر الحضارة الفرعونية عندما تركوا دين النّبى إدريس وبعده كفروا بيوسف وبموسى.. كله بقوة الإله آمون، ظلوا حتى منتصف القرن الثّالث الميلادى، كانوا على وشك أن يُكشفوا لكنهم أغلقوا تلك الغرف وأصبح الحراس من نسل آخر الكهنة هنا، يتوارثهم الأجيال.. إلى أن قُطع هذا النّسل عندما وصل إلى رجل عقيم لم يرزق بأبناء، ترك بعد ذلك اختيار الحارس لحراس الجان من يرون فيه الصّواب والرّشد..

ظلوا لسنوات عدة دون حارس من بنى البشر إلى أن استأنس أحدهم إلى يحيى فأصبح هو الحارس الجديد فى سن الرّابعة عشرة، أى قبل ثلاث سنوات، قضاها كلها فى تعلم تلك العلوم إلى أن أقنعهم بأن يُخرجوها إلى النور، لكنه أخذ العهد أن تخرج لمن يستحقون وإلا فلن تخرج أبدًا، لم يكن شىء متروكًا للصدفة..

هم خططوا وسيّروا كل الأمور كيف تسير إلى أن فُتحت المقبرة.. أمّا المصادفة فهى أن أتيت أنا وعرفت قيمة المقبرة فانشغلت بها، وهذا هو بداية النّهاية: نهاية السّر الذى حُفظ هنا ليخرج الآن..

- جيد هذا الكلام يا سيد كريم.. لكن لما الآن بالتحديد؟

- يرون أنه الوقت المناسب من أجل خروج العلوم من أجل أن يعرف أهل هذا البلد قيمة ما لديهم، أن يعرفوا أن الحضارة ليست مجرد كلمات، أن يعلموا أنهم أيضًا يمكنهم أن يكونوا أمة كبرى بالعلم وبالعمل، بالصّدق مع أنفسنا وبإيماننا القويم.. كل شيء ممكن أن يحدث، يريدون أن يوصلوا لكم أنكم لن تحكموا من هنا بل نحن من سنحكم من هنا..

- إذن، لماذا أتيتم بنا لنأخذ ما فيها..

- ومن قال إنك ستاخذ شيئًا من هنا؟!

ألقى كريم بتلك الكلمات فاضطرب الجميع، فقد تحدث إليهم بمنتهى الجديّة ولم يظهر عليه أنه يداعبهم ولو للحظة واحدة..

***

لم يكن يجرؤ أحدهم يومًا أن يقترب من قصر فريد المرشدى، لكن ما يحدث الآن هو أمر مغاير تمامًا.. قوات الأمن تقترب من القصر، استوقفهم حراس الأمن الموجودون بخارج القصر قبل أن يُبرز لهم رجال الشرطة إذن النّيابة من أجل الدّخول للتفتيش.. أخبر رجال المرشدى سيدهم بالأمر فأخبرهم أن يدعوهم يدخلون بينما سارع إلى إجراء عدة اتصالات سريعة لمعرفة ماذا يحدث، فمن ذا الذى يجرؤ على أن يقتحم عرينه، لكن الجواب أتاه من كل الأطراف: لا نعرف شيئًا ولم يخبرنا أحد بالأمر..

خرج بعدها ليقابل قائد تلك القوات التى اقتحمت عرينه دون رغبته، لكنه لا يريد أن تحدث أيّ مشاكل فى ظل هذه الظّروف

التى تمر بها البلاد، فمن يسقط فى هذه الأيام تُعلّق له المشانق فما بالك برجل بحجم فريد المرشدى:

- خير يا فندم.. ممكن أعرف حضرتك مين وجايين هنا ليه؟
- مع حضرتك رائد وائل مندور.. حضرتك متقدم فيك بلاغ للسيد النّائب العام بالاتجار فى الآثار وإنك بتحوز وكر مخبأ فيه آثار هنا فى القصر..
- إنتَ عارف إنتَ بتكلم مين يابنى؟
- باكلّم فريد المرشدى، أحد أهم رجال الأعمال فى مصر، وحضرتك أنا عندى تعليمات من النّائب العام ووزير الدّاخلية ومن مؤسسة الرّئاسة إنى أتعامل بشكل مباشر، فتحب معاليك نفتش بالراحة ونمشى ولا نستعمل القوة..
- أشوف الإذن لو سمحت؟
- اتفضل..

فحص فريد المرشدى الإذن الذى أعطاه إليه وائل مندور ليجده سليماً تمامًا ولم يجد أمامه أىّ حيلة سوى أن يسمح لهم بالتفتيش فهو يعلم تمامًا أنهم لن يجدوا شيئًا فى هذا القصر، لكنه تساءل: من الذى يتجرأ على فريد المرشدى ويقوم بالإبلاغ عنه ويحرك القضية بتلك القوة دون علمه؟

تحرك رجال الشرطة للانتشار فى كل بقعة فى قصر فريد المرشدى، يعلمون ماذا يفعلون من مبادئ الانتشار السّريع وتأمين المكان، لم يكن كل هذا ليرهب المرشدى لكن ما أرهبه حقًا هو توجّه هذا الضّابط إلى الحديقة الخاصة بالقصر وكأنهم يعلمون

إلى أين يذهبون، وكأن معهم خريطة تفصيلية بالمكان على ما يبدو، فقد شقوا طريقهم إلى الحديقة الاستوائية ووصلوا إلى التراس الموجود بها.. تقدم وائل وكأنه يعلم ما يفعله فقام بمد يده فى تجويف العمود وأدار القرص فانفتحت الأرض ليظهر أمامه الدّرج الذى هبطوا منه إلى سرداب المرشدى الخاص، هذا البهو العملاق بما يحويه من آثار وسلاح..

- فريد باشا.. أعتقد إن معاليك متعرفش ده إيه أو إيه اللى جابه هنا..

قالها وائل بمنتهى السّخرية من فريد المرشدى الذى تم تقييده هو ورجاله مباشرة ولم يذهبوا بل تم استدعاء فريق البحث الجنائى وخبير من وزارة الآثار لتقييم هذه الأشياء مع فريق من النّيابة العامة للتحقيق بالأمر.. كل شىء تم بشكل سريع أسرع مما يتوقعه فريد المرشدى للدفاع عن نفسه..

***

الوضع أمام المقبرة مشابه أيضًا لما جرى فى القصر: رجال عمران ورجال فريد المرشدى يقومون بالتأمين بينما رجال القوات الخاصة التابعة للداخلية تتقدم شيئًا فشيئًا تحت ظلمة الليل مستترين به من أجل عنصر المفاجأة قبل أن يحكموا حصارهم على محيط المقبرة بالكامل، بعدها خرجت تلك الجملة التحذيرية الشّهيرة من أحد مكبرات الصّوت:

- المكان محاصر.. كله يسلّم نفسه..

لم ينتظر رجال عمران كثيرًا بل أطلقوا النّيران تجاه القوات التى ردت عليهم بكل حسم، حيث قام رجال القناصة بإسقاط خمسة رجال ممن يقومون بتأمين المقبرة من بين رجال عمران ورجال المرشدى، مع تواصل تحذير رجل الأمن للمقاومين بأن يقوموا بتسليم أنفسهم حفاظًا على أرواحهم.. من رضخ سريعًا ألقى أسلحته على الأرض رافعًا يديه إلى الأعلى ومنهم من فضّل المقاومة وتم التعامل معه ثم تراجع فى النّهاية، وبعضهم الآخر قفز إلى قلب المقبرة يحتمى بها والبعض الآخر حاول الفرار لكنهم وجدوا أنفسهم محاصرين بشكل كامل..

***

ما زال الجميع مذهولين من الكلمات التى ألقاها عليهم كريم منذ قليل، وأنه لن يسلم لهم أىّ شىء؛ مما دفع سميث لسؤاله مجددًا:

- ماذا تقصد يا عزيزى؟ ألن تسلّمنا المقبرة الآن؟ هل قُمت بإرجاء الأمر لوقت قادم؟

- لا يا دكتور سميث.. أظن أن حديثى مفهوم لك وللجميع، لن أسلم المقبرة أبدًا..

- عذرًا سيد سميث.. أعتذر عن الأمر؛ فكريم ليس له صلة به الآن أنا هو وكيل السّيد فريد هنا والسيد عمران هو صاحب الحق فى المقبرة.. يبدو أن كريم يهذى..

- لا يا سميح.. أنا لا أهذى، بل أنا أتحدث بمنتهى الجديّة.. حقًا لقد تذكرت، عليك أن تطمئن على السّيد فريد أولاً فهو فى موقف

صعب هو الآخر..

- كريم.. كفاكَ استهزاءً بنا، أنتَ...

قطع كلمات سميح صوت إطلاق النّار بالخارج، فنظر الجميع تجاه كريم ويحيى اللذين ارتسمت على شفاههما ابتسامة ماكرة..

- معذرة.. لقد نسيت، أو تناسيت، إخباركم بأن لدى رفقة هنا..

- هل استأجرت رجالاً من أجل سرقة المقبرة منّا؟ هل جُننت يا كريم؟!

- لا يا سميح.. بل استعنت برجال لحماية المقبرة.

ظهر أحد رجال عمران الذين قفزوا فى قلب المقبرة يسارع بالرّكض فى اتجاههم لكنه فوجئ بأنه يرتطم بشىء غير مرئى أمامه يمنعه من النّفاذ من النّفق الذى يفصل بين الغرفتين الأوليين وبين بقية المقبرة..

- معذرة مرة أخرى.. يبدو أن يحيى قد استعان برفاقه من أجل تركيب زجاج غير مرئى عند المدخل، هذا إلى أن يأتى أصدقاؤنا إلى هنا..

***

فى أحد الأحياء الشّعبيّة فى القاهرة أقام عامر رفقة شريكه الذى قام معه بعملية السّطو على منزل كريم منعزلين عن الجميع فى أحد المنازل البسيطة إلى أن يأذن لهم حازم بالخروج مرة أخرى، مستكينين يتبادلان الحوار لكنهما فجأة شعرا وكأن السّاعة قد

حان وقتها ودون أىّ مقدمات تدلى أحدهم من فوق سطح العقار وقام بكسر زجاج الغرفة ملقيًا منها شيئًا ما قبل أن يختفى سريعًا، لم يكن هذا الشىء سوى قنبلة للغاز، بعد ثوانٍ قليلة امتلأ المكان به مما أعماهما وأدخلهما فى نوبة من السّعال، حاولا سريعًا التقاط أسلحتهما لكن رجال المداهمة كانوا قد قاموا بكسر باب الغرفة عليهم مرتدين الأقنعة التى تقيهم من الغاز، مشهرين أسلحتهم فى وجهيهما قبل أن يعلن عامر ورفيقه استسلامهما فى سرعة كبيرة..

***

بدأ رجال الشرطة يتقدمون بحذر على حدود المقبرة، مطالبين الرّجال الملقين بأسلحتهم أن يتقدموا للأمام ببطء وأغلبهم من رجال فريد المرشدى بينما أغلب رجال عمران قفزوا إلى داخل القبرة.. سلم رجال فريد المرشدى أنفسهم وأحكم رجال الأمن سيطرتهم على المكان.. قنبلتان من الغاز أُلقيتا فى قلب المقبرة، بعد ثوانٍ معدودة ارتفعت أصوات السّعال من الرّجال فى داخلها ولم يمهلوهم كثيرًا بل إن فرقة اقتحام مُدَرَّبة هبطوا إليهم، تحركوا بسرعة مع أقنعة الغاز، أحكموا قبضتهم على رجال عمران الذين تم إخراجهم تباعًا إلى الخارج..

***

فى فيلا المريوطية كان فريق الاقتحام الرّابع يتقدم وبقوة، دخول سهل إلى الفيلا هو ما توقعوه، لكنهم وجدوا مقاومة مع عدد من الرّجال الموجودين بها، تعاملوا بذكاء مع الموجودين بالدّاخل وتم إلقاء القبض على كل رجال حازم فى الفيلا...

***

مع ارتفاع صوت رجال الأمن بتحذير الجميع فى داخل المقبرة بأن يسلم الجميع نفسه، جثا كل من كريم ويحيى منفذين الأمر واضعين أيديهم خلف رؤوسهم مع دخول سريع لفرقة الاقتحام الخاصة المزودة بالأقنعة.. شلل تام أصاب الجميع فى داخل المقبرة، الأمر كله يتم فى سرعة وتناغم مبهر، لم يستطيعوا فعل شىء إلا أن استسلموا؛ فهم جميعًا عُزّل.. بعدها مباشرة تم تنظيف المقبرة ولم يبقَ فيها إلا كريم ويحيى، دخل رجال المعمل الجنائى ورجال النّيابة المصاحبين للقوة سريعًا ومعهم خبير أثرى من وزارة الآثار.. فى الواقع لم يكن شخصًا عاديًا بل كان رئيس الهيئة العامة للآثار بنفسه، بينما تقدم هذا الشرطى من قبل كريم قبل أن يرفع الكمامة من على وجهه ليتحدث مع كريم:

- سيادة المقدم على.. هو مش حضرتك فى الحراسات الخاصة لنسيم باشا؟

- فى بعض الأوقات بتُكلّف بشغل تانى.. الباشا بنفسه بيتابع العملية فى غرفة عمليات وزارة الدّاخلية..

- طب والأماكن التانية وفريد المرشدى؟

- متخافش يا أستاذ كريم كله تم التعامل معاه..

هنا اقترب رئيس هيئة الآثار من كريم ويحيى ليتحدث معهما فى الأمر فانتبه كريم لقدومه قبل أن يتحدث معه:

- صدقتنى يا دكتور حلمى فى اللى قُلته لحضرتك؟

- أكدب عليك لو قُلت لك إنى مصدق لحد دلوقتى، الموضوع أشبه بالخيال.. آه فيه نظريات اتبنت على كده بس إحنا دلوقتى قدام كنز، قدام تاريخ وحضارة..

- أكيد يا دكتور حلمى.. إحنا قدام أهم كشف أثرى فى التاريخ، قدام أسرار حضارات الدّنيا القديمة كلها، ده كنز يا دكتور لو استغليناه صح هيكون فارق جدًا لينا فى مستقبلنا.. الماضى بتاعنا اتبنى على العلم والتطور والرّقى، فيه ناس عاوزه تسرقه وناس بتسرق منه كل يوم وأنا كنت واحد منهم... إحنا قدام كشف تاريخى لازم العالم كله يعرف بيه..

- لأ، مش شرط يا كريم كشف زى ده لازم يتعرض على القيادة السّياسية الأول.. الأكيد إننا هنستفيد بيه بس مش كل استفادة بالإعلان للعالم عنها..

- حضرتك عندك حق يا دكتور..

- دكتور حلمى.. لو تسمح لى بس أطلب منك طلب؟

- إنتَ يحيى.. صح؟

- إيوه أنى يحيى حارس المقبرة، وعاوزك تديهم العهد..

***

ماذا حدث؟

نعم يا عزيزى.. من حقك أن تعلم ماذا حدث.. كل شىء قد رتب له من البداية.. اتصال مباشر بين كريم ويحيى منذ أخذ كريم العهد فى تلك الغرفة التى جمعته بيحيى وصابر وعتمان..

أولاً، قام عتمان بترديد بعض الكلمات لصرف عُمار المكان من

الجان، توسط كريم الجلسة بين ثلاثتهم، أخبروه أن لا يرتعد مما سيحدث، أتذكرون؟ هم من رأيناهم في بداية الرّواية: رجل وامرأة شديدا الجمال ليسا من تلك الأرض الصّحراوية يداعبان فتى يلعب على التلة... الفتى هو يحيى، ونحن نعرف ذلك، والرّجل والمرأة هما من حراس المكان، لكنهما قد ظهرا في بيت عمران، متجسّدين أمام كريم في أبهى حلة لهما، حلة عصرية.. رغم فزع كريم مما يحدث أمامه فإنه لم يستطِع أن يخفي إعجابه بالسيدة التي ظهرت أمامه لتبدأ هي بالحديث:

- ماذا يا سيد كريم.. أيعجبك مظهري؟
- في الحقيقة لم أتوقع أن توجد جنيّة بهذه الطّلة البهيّة..
- نحن يمكننا أن نتشكل في أحسن الصّور، أنا أرشبان أحد حراس المقبرة، وهذه فيروزة زعيمة إحدى الممالك الأخرى..
- أهلاً بك يا سيدي.. معذرة إن كنت أسأت الأدب بمغازلتها..
- ليس هذا أمرًا غريبًا على رجل مثلك سيد كريم.. لكن هل أنتَ مستعد لما هو آتٍ؟
- أولاً، أريد أن أعلم..
- أعتقد أنك علمت ما في المقبرة وعلمت سرها وأنها ليست كغيرها. لكن دعني أخبرك ببساطة ما في تلك المقبرة يمكنه أن ينقذكم وينقذ مستقبلكم.. أيّ شيء آخر يمكنك أن تعرفه بعد أخذ العهود عليك..
- أيّ عهود؟
- عهود لحماية المقبرة إن وافقت سنأخذ منك العهد وإن لم توافق فلترحل وتنسَ أمر المقبرة..

- حسنًا، أنا موافق..

- يبدو أنك لن تبرح هذه المقبرة. ولكن صدقنى ما ستراه فيها سيغير كل شيء فى حياتك، فلتستعد لذلك..

- إن كان للأفضل فسأكون سعيدًا وإن كان للأسوأ فأنا فى سوء كفاية..

- بيدك أن تحدد الأمر، ما ستفعله هو ما سيكتب لك إمّا الخير أو الشر.

- حسنًا، لنأخذ العهود إذن..

- فليأتِ بقيتنا..

قالها أرشبان ليظهر أمام كريم رجلان آخران وكأنهما قد أتيا من العدم؛ زادت دهشته من الأمر فقد حضر كثيرًا من مجالس الجان لكنه لأول مرة يراهم أمامه..

- هذان هما رحيم وكاماس..

نظر الأربعة لبعضهم البعض: كريم وصابر ويحيى وعتمان، قبل أن يشيروا له بالإيجاب ليقول أرشبان:

- نأخذ العهود، نحن أربعة من قادة عشائر الجان فيروزة ورحيم وكاماس وأرشبان على أربعة من بنى الإنسان هم كريم ويحيى وصابر وعتمان على.....

***

تلك كانت هى مرحلة العهود.. عمل كريم من البداية على أن لا

تذهب تلك العلوم بعيدًا وأن يحافظ عليها، لكن مقتل صباح هو الذى عجّل بكل شىء.. أتذكرون تلك الجلسة بين كريم وشريف عقب جريمة القتل مباشرة؟

- شريف.. همّا اللى قتلوها وكانوا جايين عشان يسرقوا الحاجة اللى اديتها لك؛ هات لى الحاجة عشان محدش يضرك..

- طب اهدى دلوقتى وتعالى معايا..

- شريف.. أنا عاوزك تساعدنى.. عاوز خدمة منك..

- إيه هتعمل إيه؟

- هاقول لك على كل حاجة.. نسيم العتال هو اللى يقدر يساعدنا.. أنا هابلّغ عن السّرقة كلها حتى لو هاتسجن، لكن مجرد مرواحى الشرطة والتبليغ أو حتى النّيابة فريد المرشدى هيعرف على طول لأنه واصل جدًا..

- طب ونسيم العتال إيه دوره؟

- ماقدرش أضرب فريد المرشدى غير بواحد بنفس القوة، ونسيم العتال باعتباره مستشار رئاسى ورجل له ثقله السّياسى يقدر يفيدنا كتير ويخلى كل حاجة تتم فى سرية، وأنا طبعًا ماقدرش أروح له لكن إنتَ تقدر تروح له وتعرض عليه الأمر..

- بسيطة، اعتبرنى رُحت لنسيم العتال، بس خد بالك من نفسك يا كريم..

***

الخطوة التالية قام بها شريف بمفرده حين توجّه إلى زيارة نسيم العتال فى منزله..

- طيب، حيث كده بقى أنا كنت عاوز معاليك فى خدمة..
- إنتَ تؤمرنى.. خير؟
- هى بخصوص جريمة القتل اللى حصلت النّهارده.. بس الكلام يعنى...

تفهمت زوجة نسيم العتال أن شريف يريد أن يتبادل الحديث مع زوجها دون أن يستمع إليهما أحد، فاستأذنتهما تاركة المكان لكليهما فقط...

- تقدر تتكلم يا دكتور شريف..
- هو الموضوع معقد شوية وأتمنى سيادتك تفيدنى وتساعدنى على حلّه.. كريم، جارى، صاحب البيت اللى حصلت فيه جريمة القتل.. هو عنده شركة سياحة لكنه اتورط فى عملية تهريب آثار، ودى هى سبب قتل صباح، وعاوز يبلّغ عن العملية والتسليم وكل حاجة تخصها..
- طيب ده شىء سهل يروح النّيابة..
- بس هو محتاج حد يسنده زى معاليك لأنه هيبلغ عن واحد زى فريد المرشدى وكمان ناس أمريكان تابعين لمعاهد بحثية كبيرة على مستوى العالم ومجرد بلاغه ونشر الخبر النّاس دى هتعرف تأمّن نفسها أولاً وتنسفه ثانيًا؛ لذلك أنا جاى لمعاليك..

تملكت الرّيبة من نسيم العتال مما جعل شريف يروى له الأمر بمنتهى الصّراحة كما أخبره كريم عنه.. وفى النّهاية اتصل بكريم الذى تحدث مع نسيم العتال مباشرة ليحكى له كل شىء متعلق

بالأمر:

- طيب يا كريم.. إنتَ فين دلوقتى؟
- أنا معاليك فى المباحث عشان تحقيق جريمة القتل..
- ده كويس.. ادينى عشر دقايق وهاكلّمك تانى...

فى تلك الفترة أجرى نسيم العتال عدة اتصالات، شرح الأمر بمنتهى الصّراحة والشّفافية للقيادة العليا فى البلاد، خاصة أن الأمر يخص أحد أكبر رجال الأعمال، وكذلك مؤسسات خارجية كبرى، فأتى القرار إليه وبمنتهى الصّرامة: "لا يد تعلو فوق يد القانون.. تعاملوا بمنتهى السّرعة لحسم الأمر"، فتوالت اتصالاته، وكان الاتصال التالى بالنائب العام، تم شرح الأمر بالكامل، تحرك فريق مكلف بالتحقيق فى الأمر بمنتهى السّرية إلى نيابة شرق القاهرة حيث حضر كريم للتحقيق فى جريمة قتل صباح، ليدخل هذا الفريق التحقيقى ويقدم كريم بلاغًا كاملاً عن كل تفصيل المقبرة وحالات السّرقة.. بعدها أمر من وكيل النّائب العام بالتحرى وبسرعة عن الأمر وبمنتهى السّرية..

***

أما الخطوة التالية فهى معرفة يحيى بالأمر حين خرج كريم من قصر فريد المرشدى يوم الحادث..

أتذكرون هذا الأمر؟

- عارف يا أستاذ كريم.. همّا كمان عارفين نواياك وأنا اتصلت

بعم عتمان وعم صابر بالتليفون وأجول لك بجى هنعملو إيه..

- طيب قول أنا معاك أهوه..

- بص يا سيدى.. بكره تسجل كل حاجة بينك وبينهم فى الجلسة وتمضيهم على أوراق بكل حاجة فى المجبرة وعشان محدش يشك صابر هيديك ورقه مكتوبة بالأحمر زى الأعمال توقعوا عليها بالدّم، وتجول لهم إن جان المجبرة هيتبعكو لو خنتو الاتفاج، وتفهمهم إننا هنسلمهم المجبرة بس بشرط يعلنوا عن كل حاجة خاصة بيها للعالم كله ويدرسوها فى مصر وفى حال الخيانة بتوجيعهم بالدّم ده حراس المجبرة ليهم الحق فيهم..

- إنتَ جبت الفكرة دى منين؟

- ده مش أنا يا أستاذ كريم، ده أرشبان وبيسلّم عليك..

***

الخطوة التالية قام بها كريم بعرض الفكرة على فريق النّيابة المكلف بالتحقيق وأيضًا أخبرهم عن يحيى وصابر وعتمان حيث قام صابر بإلقاء شهادته فى اليوم نفسه وأثبت عتمان ويحيى تعاونهما فى مكالمة هاتفية لحين استكمال شهادتهما عقب إلقاء القبض على الرّجال المكلفين بالأمر، أيضًا يومها التقى الدّكتور حلمى رئيس هيئة الآثار بكريم ليطلعه على كل شىء ويخبره بكل الأمور.. فى البداية اعتبر الدّكتور حلمى أن فى الأمر مبالغة، لكنه لم يصدق إلا عندما دخل المقبرة.

***

الآن، أنت عرفت ما حدث.. الشرك نُصِب من البداية، وتم إلقاء

القبض على المرشدى بتهمة حيازة الآثار والسلاح والتواطؤ لسرقة وتهريب آثار أخرى.. أما عمران ورجاله وسميح وحازم ومايا وكل من دكتور برادلى ودكتور سميث فكانوا بتهمة التنقيب وسرقة الآثار.. تهم عديدة تم توجيهها لهم بناءً على البلاغ المقدم من كريم، الذى تم اعتباره بمثابة "شاهد ملك" فى هذه القضية؛ لتعاونه، بعدها عاد لحياته الطّبيعية ولعمله ولنور ومريم..

***

سجن المزرعة..

قمة الغضب هو الشّعور الذى تملّك من فريد المرشدى مما حدث له، وها هو الآن يلتقى أحد رجاله فى زيارة مصرح بها، فجلس ينفث دخان سيجاره الذى لم يفارقه حتى فى محبسه، فهناك فرق بين الحبس العادى والحبس السّياحى لكبار النّزلاء..

- وصلت لحد فين يا عصام؟
- كله تمام يا باشا.. دى التسويات المالية فى الشّهر اللى فات، كل حاجة ماشية زى ما معاليك قُلت بالظبط..
- تمام، وكريم أخباره إيه؟
- بِعِد عن الشّغل معاليك ومهتم بالسياحة واحتمال يرجع لمراته تانى..
- ده لو فضل عايش فى الدّنيا..
- قصد معاليك ....
- محدش على وش الأرض يخون فريد المرشدى ويستاهل إنه

يعيش عليها..

- تمام معاليك..
- عاوز اللى ينفذ واحد يكون محترف..
- تمام معاليك.. موجود واعتبر الأمر تم..

***

فى مكان غير معروف، ربما نتحدث عنه فى مرة قادمة، جلس رجل ذو هيبة وطلة عظيمة خلف هذا المكتب المزخرف بالعاج والأبنوس فى أبهى حُلة يراجع عددًا من الملفات أمامه قبل أن ينظر إلى الشّاب الذى يرتدى حلة رسمية أمامه معطيًا إيّاه الملف مجددًا:

- عمل رائع.. هل من أمور أخرى؟
- نعم يا سيدى.. فريد المرشدى أعطى أمرًا بتصفية كريم..
- مممم.. ومن سيقوم بالأمر؟
- لقد وقع اختيارهم على ثلاثة رجال محترفين، ها هم يا سيدى..

قالها ثم أعطاه ملفًّا لثلاثة قتلة محترفين تم تكليفهم بقتل كريم من قبل المرشدى الذى يسعى للانتقام..

- هل من شىء آخر؟
- لا يا سيدى.. إنه بالخارج حسب موعده..
- حسنًا، أدخله..

خرج هذا المساعد ثم أشار إلى شخص ما فى الخارج ليدخل إلى الغرفة، شاب قوى البنية يبدو أنه فى الثلاثينيّات من العمر، يتجاوز طوله ال 180 سم، على أقرب تقدير خمرى البشرة مفتول العضلات، دخل مبتسماً شاكرًا للرجل خلف المكتب الذى أشار لمساعده بالرّحيل قبل أن يأذن لفتانا هذا بالجلوس:

- دائمًا تأتى فى الموعد..
- إنتَ علمتنا هذا يا سيدى.. الالتزام بالعمل والمواعيد من أهم القوانين..
- حسنًا، كنت فقط أود تهنئتك، لكن يبدو أنك لديك عمل جديد، أنا قدمت لك خدمة وأنت الآن عليك أن تردها لى، لكنى سأعطيك مقابلها..

أخرج الرّجل من درج مكتبه ملفًّا وضعه أمام هذا الشّاب القوى قبل أن يضيف إليه الملف الآخر الذى أعطاه إليه مساعده..

- الملف الأول فيه شاب يدعى كريم مُهِمّ بالنسبة لنا.. المطلوب منك حمايته، أحدهم أصدر قرارًا بتصفيته.. الملف الآخر فيه ثلاثة تم تكليفهم بقتله، عليك حمايته منهم وتصفيتهم إن لزم الأمر.
- لكن سيدى.. أنتَ تطلب منى مهمة مغايرة.. هذا...
- هذا لن يحدث، فأنت أمام الجميع غير موجود، إنك بدون اسم، وهذه خدمة وليست مهمة، أىْ إن خيار الرّفض مستبعد..
- كما تريد يا سيدى..

أصبح الوضع الآن أكثر دراما: فريد المرشدى أصدر قرارًا بقتل كـريم، بينمـا شـخص آخـر أصـدر أمـرًا لرجلـه الغـامض بحمايتـه وتصفية قتلته، أىْ إنه الآن يتبعه أربعة أشباح، ثلاثة شياطين يريـدون قتله، وملاك حارس من أجل نجاته، لكن أى الطرفين سينتصر؟

هذا ما لا نعرفه بعد...

تمت بحمد الله

شكر خاص

إلى أختى الغالية التى لولاها لما تم هذا العمل.. لا أدرى ماذا أقول على دعمك الهائل فلن يجدى أى شكر لإعطائك حقك.. فقط أنتِ تعلمين ماذا أريد أن أقول.

زوجتى وشريكتى.. تحملتِنى فى الفترة القلية الماضية، عشتِ معى لحظات الاحتراق الأخيرة.. شكرًا لكِ على هذا الدّعم الذى أبقانى صامدًا فى أحلك اللحظات.

أختى الصّغيرة.. إنتى كبرتى خلاص يا ست البنات، بالتوفيق لك دائمًا.

القشطوط.. مش عارف أقول فيك إيه، إنتَ ملكش دعوة بالرّواية ده ملناش فيه، لكن إنتَ عارف لو ليّا أخ عمره ما هيكون زيّك.. أخويا الحقيقى ربنا يديم ده علينا أخويا وصاحبى وصديقى والشريك المخالف محمد عبدالحميد قشطة..

الصّديق الغالى والمبدع أحمد جمال.. شكر من القلب.

إلى كل من وجّه لى الدّعم، وأخص:

أسامة خيرى.. ابن عمى الغالى

أحمد خيرى.. حماسك ومجهودك يهدوا جبال

محمد منصور.. عقبالك

هبة قشطة.. رأيك اداّنى ثقة كبيرة.

فى النّهاية أشكرك أنت أولاً وقبل أى أحد.. إلى المحرك الحقيقى الذى ألهم حلم الكتابة بداخلى ودفعنى لبداية هذا العمل وجعلنى أتطلع إلى ما هو أبعد من ذلك..

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/mahmoud.kishta.3

mahmoudkishta87@gmail.com

https://twitter.com/Mahmoud_kishta1__